قمع الحرص بالزهد والقناعة

ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

للإمام أبي عبد الله القرطبي

صاحب التفسير

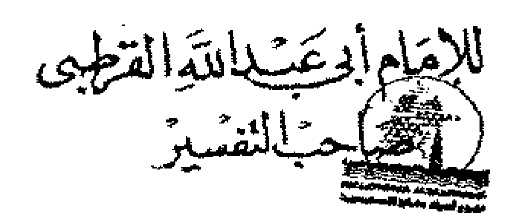


قمع الحرص بالزهد والقناعة

ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

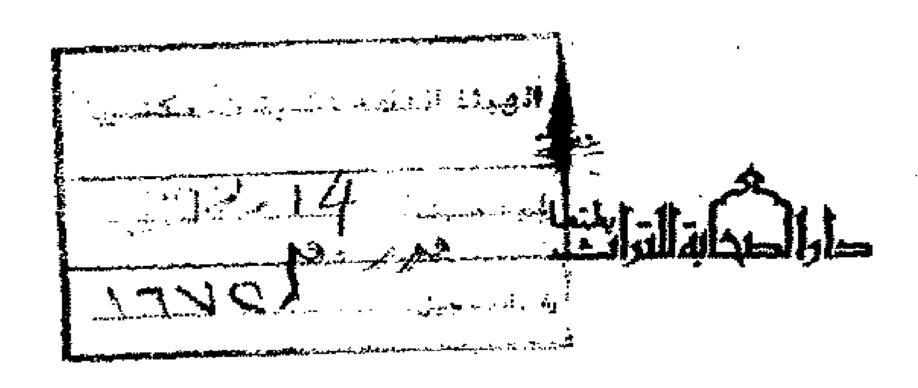
للإمام أبي عبد الله القرطبي

صاحب التفسير



تحقيق

مجدي فتحي السيد



دار الصحابة للتراث بطنطا

كتاب قد حوى دررا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيها

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت : ٣٣١٥٨٧ - ص . ب : ٤٧٧

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله :

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهدأن محمدًا عبده ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾* ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرًا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾** .

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾*** .

---

* سورة آل عمران : ١٠٢ .

** سورة النساء : ١ .

*** سورة الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

عملى فى الكتاب

١ ـ قمت بنسخ الكتاب من مخطوطته الموجودة بدار الكتب المصرية ، ثم حاولت المطابقة بين المنسوخ والمخطوط حتى يحدث الضبط الكامل ما كان إلى ذلك سبيلًا .

٢ ـ خرّجت ما فى الكتاب من الأحاديث النبوية ، مع ذكر أقوال أهل العلم من أهل الجرح والتعديل ، وذكرت درجة الحديث كلما أمكن ذلك ، وتيسر .

٣ ـ قمت بالتعليق على بعض الكلمات الغريبة ، أو الغامضة فى معناها ، حتى نيسر مهمة القارئ .

٤ ـ أعددت مقدمة للكتاب تحتوى على :

ا ـ التعريف بالكتاب .

ب ـ ترجمة المصنف .

جـ ـ وصف مخطوطة الكتاب .

٥ ـ خرّجت الكثير من الآثار والأقوال الموجودة فى الكتاب بعزوها إلى المصادر التى ذكرتها .

٦ ـ قمت بالمقارنة بين أقوال المصنف بالعودة إلى مؤلفه الكبير التفسير الجامع ، وقد استطعنا بتوفيق الله العثور أثناء تلك المقارنات الوصول إلى توثيق المصنف (قمع الحرص) بذكر المصنف له أثناء تفسيره لإحدى السور القرآنية كما سنذكر فى وصف المخطوطة .

أخيرًا

هذا فضل الله عليَّ وتوفيقه ، فقد أعانني حتى خرج هذا الكتاب الطيب إلى النور ، بعد أن ظل حبيسًا لقرون طوال ، وها هو ينضم إلى سلسلة الكتب التراثية التي عزمنا على إخراجها إلى النور .

ولكني أنبه في هذا المقام أنه لابد أن يوجد في كل عمل بشرى بعض النقص ، والهفوات التي يسبق القلم إليها ، أو يذهل الفكر عنها ، والكمال لله وحده ، فهذا جهد العبد المقل .

وحسبي الله ونعم الوكيل ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

أبو مريم / مجدى فتحي السيد

بين يدى الكتاب

من أشد الأمراض التى استولت على قلب الناس فى هذا الزمان ، الحرص على الدنيا ، ونسيان الآخرة ، فصار الواحد لا يقنع برزقه ، ولا يقنع بحاله ، ولا يقنع بما جاء من عطاء ربه ، قليلًا كان أو كثيرًا .

وفى هذا الكتاب يحاول الإمام القرطبى معالجة هذا الداء الوبيل ، داء الحرص على الدنيا ، فيحدد الإمام القرطبى الدواء فى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : قصر الأملَ فى الدنيا .

الأمر الثانى : القناعة .

الأمر الثالث : الزهد .

ومن خلال علم الإمام القرطبى الوفير ، يتحفنا فى هذا الكتاب بأبواب ممتعة ، متجانسة ، كأنها حبات اللؤلؤ فى عقد منظوم .

فيحدثنا عن قصر الأمل ، وكيف يكون ، وكيفية الوصول إليه ، ويذكر لنا أحوال الصحابة ، وكلماتهم فى أمر قصر الأمّل .

ثم يتحدث الإمام القرطبى عن القناعة ، وكيف أن القانع شاكر لربه ، عابد ، صادق فى عبادته .

وتلك هى الحقيقة أن القناعة هى خير ذخيرة يدخرها المؤمن مع التقوى لنفسه ، ولأولاده من بعده ، فالقناعة كنز عظيم ، وخلق نفيس ، وجوهر شريف ، وفوز كبير ، فكم من خير عُلق بها ، وكم وعد الله عليها .

وصدق عبد العزيز بن سليمان الأبرش حيث يقول :

إذا المرء لم يقنع بعيش فإنه وإن كان ذا مال من الفقر مُوقَرُ
إذا كان فضل الناس يُغنيك بينهم فأنت بفضل الله أغنى وأيسرُ

والقناعة كما يعلمنا الإمام القرطبي تكون بالقلب ، فالعبد إذا غنى قلبه غنيت يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع على حاله ولم يَتسخَّط ، عاش آمنًا مطمئنًا .

أما الأمر الثالث الذى يتحدث عنه الإمام القرطبي هو الزهد فى الدنيا ، فيحدثنا عن الآيات القرآنية المرغبة فيه ، والأحاديث النبوية الداعية إليه ، ويذكر لنا صورًا من صور الزهد عند الصحابة ، ويوضح لنا بجلاء كيفية الزهد الذى أراده الله تعالى من عباده المؤمنين .

ولقد استخلص الإمام القرطبي كتابه هذا من عدة كتب ، لعلماء قد عُرفوا بالبراعة فى التصنيف فى مثل هذه الأمور ، وتلك المسائل .

ولما سبق بيانه سنجد نصوصًا كاملة بأسانيدها قد استفادها المصنف من الإمام ابن أبى الدنيا ، والإمام الخرائطى ، والحكيم الترمذى .

فكأن هذا الكتاب هو الزُبد فى مؤلفات العلماء السابقين حول هذا الموضوع .

أخيرًا

مع صفحات من تراثنا النفيس ، ومع أقوال السلف الصالح أترككم على أمل بتوفيق الله فى استئناف المسير ، وإخراج تراثنا الإسلامى إلى عالم النور ، وما التوفيق إلا من عند العلى القدير .

والحمد لله رب العالمين

ترجمة المصنف

١ - نسبه ونشأته العلمية :

هو الإمام : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح ، القرطبي ، الأنصاري ، الخزرجي ، الأندلسي .

بدأ في تلقي العلم صغيرًا على عادة أهل عصره ، فسمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب « المفهم » في شرح صحيح مسلم ، ثم أخذ يسمع من محدثي عصره ، فسمع من أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي ، والحافظ أبي علي الحسن بن محمد البكري وغيرهما .

ولما استكمل ما ينبغي لمن في سنه معرفته من علوم الشرع ، أخذ يتعبد ، فكانت كل أوقاته معمورة ، مشغولة ما بين عبادة ومدارسة للعلم ، ثم أخذ يرحل ، ويجوب الآفاق طلبًا للعلم ، والتبحر فيه .

٢ - مؤلفاته العلمية :

كثرت تصانيف الإمام ، وسارت بكتبه الركبان ، لما فيها من علم نافع ، ولقد وصل إلينا بعض مؤلفاته ، نذكر منها :

١ - الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان . وهو تفسير جليل ، عظيم المنفعة ، أسقط منه في الأعم الأغلب القصص والتواريخ ، وذكر عوضًا عن ذلك أحكام القرآن بتوسع وإفاضة ، وأخذ في استنباط الأدلة ، وذكر القراءات والإعراب ، والناسخ والمنسوخ ، ومن محاسنه أنه صانه عن كثير من الإسرائيليات ، فإن ذكر بعضها فإنما لكي يدحضها ، ويبين بطلانها .

٢ – « الأسنى فى شرح الأسماء الحسنى » فى مجلدين .

٣ – « التذكرة فى أمور الآخرة » فى مجلدين .

٤ – « التذكار فى أفضل الأذكار » .

٥ – « شرح التقصى » .

٦ – « قمع الحرص » وهو الكتاب الذى بين أيدينا ، وسوف نتكلم عنه فيما بعد .

إلى غير ذلك من مؤلفاته التى لم تصل إلينا .

٣ – ثناء العلماء عليه :

قال الذهبى – رحمه الله – عنه :

إمام متفنن ، متبحر فى العلم ، له تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة اطلاعه ، ووفور عقله ، وفضله ، وذكائه ، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان .

وقال الحافظ عبد الكريم – رحمه الله – :

كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين ، الزاهدين فى الدنيا ، المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة ، وكان مطرح للتكلف ، يمشى بثوب واحد .

وقال ابن العماد الحنبلى – رحمه الله – :

كان إمامًا علمًا ، من الغواصين على معانى الحديث ، حسن التصنيف ، جيد النقل .

٤ – وفاته :

بعد رحلة عامرة بالعلم والإيمان ، وتواصل فى التدريس والتصنيف ، صعدت روحه الطيبة إلى بارئها ، فكانت وفاته سنة إحدى وسبعين وستمائة ،

توفى – رحمه الله – بمنية ابن الخصيب من صعيد مصر .

ولمزيد من التفصيل فعليك بالرجوع إلى المراجع والمصادر التالية :

١ – نفح الطيب : (٧ / ٢٢١) .

٢ – الديباج لابن فرحون : (٣١٧ ، ٣١٨) .

٣ – شذرات الذهب : (٥ / ٣٣٥) .

٤ – إيضاح المكنون : (١/ ٨١) ، (٢ / ٢٤١) .

٥ – هدية العارفين : (٢ / ١٢٩) .

٦ – كشف الظنون : (٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٥٣٤) .

٧ – معجم المؤلفين **لكحالة** (٨ / ٢٤٠) .

٨ – طبقات المفسرين : (٢٨ ، ٢٩) .

٩ – الوافى بالوفيات : (٢/ ١٢٢) .

١٠ – الأعلام للزركلى : (٥ / ٣٢٢) .

والحمد لله رب العالمين

وصف مخطوطة الكتاب
وتوثيقها

توجد مخطوطة هذا الكتاب الطيب فى دار الكتب المصرية العامرة بذخائر التراث ونفائسه ، ولقد عثرنا عليها فى أثناء البحث عن المخطوطات النادرة ، ولقد وجدتها تحت رمز مجاميع مصطفى فاضل ، على ميكروفيلم برقم (٥٣٣٩) المأخوذ عن الأصل المخطوط الموجود برقم (٢١٨) تحت الرمز السابق .

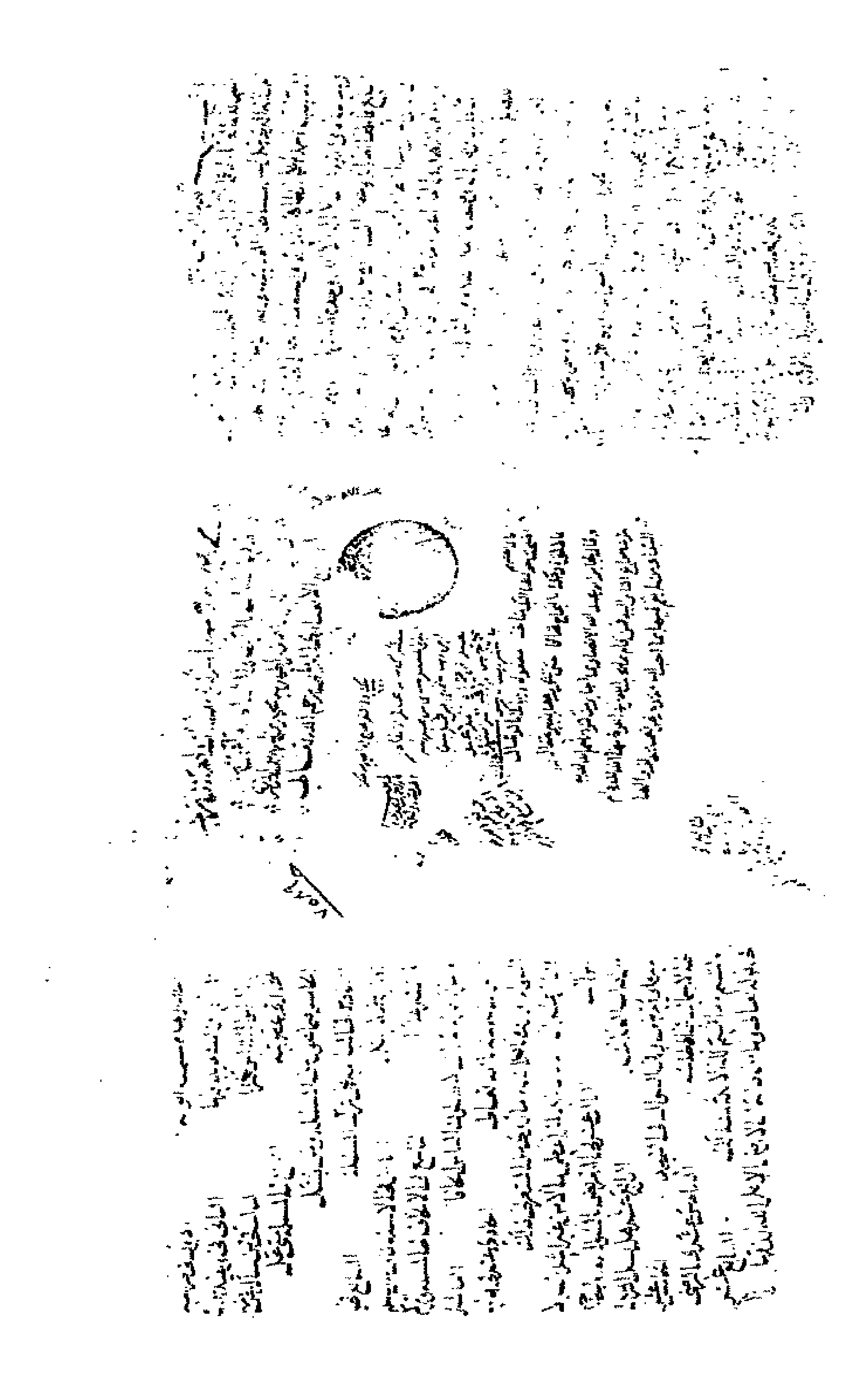
أما الحديث عن خط المخطوطة فبحق أقول لقد عاينت المئات من المخطوطات ، فما رأيت خطًا كخط هذه المخطوطة فى الصعوبة ، فخط المخطوطة ردىء للغاية ، وفى بعض الصفحات توجد بعض الكلمات المطموسة ، أو التى سقط عليها المداد ، فغيب معالمها ، ولقد أخذت منا وقتًا فى الوصول إلى حقيقتها وتتألف المخطوطة من (٧٤) ورقة أى (١٤٨) صفحة ، فى كل صفحة (١٩) سطرًا .

ولقد بحثت كثيرًا عما يدعم المخطوطة من حيث توثيق نسبتها إلى الإمام القرطبى رحمه الله ، فلم أجد فيما بين يدى من مراجع أحدًا ذكرها سوى الزركلى فى كتابه الأعلام (٣٢٢/٥) ، وفى طبعة أخرى (٥ / ٢١٨) .

وكم كانت سعادتى عندما وجدت الإمام القرطبى يقول أثناء تفسيره لسورة الذاريات من تفسيره الجامع لأحكام القرآن (ص / ٦٢١٣) يقول : ولقد استوفينا هذا الباب فى كتاب (قمع الحرص) ، فلم يبق لدينا أى شك فى صحة نسبة الكتاب إلى الإمام القرطبى .

ثم إننى أثناء مقارنتى لكلامه فى التفسير كنت أجد الكلام بنصه يتكرر ، ولقد أفادنى هذا فى الوصول إلى بعض الكلمات المطموسة ، وزادنى يقينًا فى صحة نسبة الكتاب إلى **مؤلفه** .

والحمد لله رب العالمين



منهج الإمام القرطبى

منهج الإمام القرطبى فى هذا الكتاب هو أنه يقوم بإيراد الحديث ، والحديثين ، مع عزوهما إلى مصادرهما ، ثم يقوم بشرحهما من الناحية اللغوية ، ثم ينقل فى بعض الأحيان كلام أهل الحديث من رجال الجرح والتعديل فى الحديث عن رجال السند .

ولكى ييسر الإمام القرطبى مادته العلمية فقد أتحفنا بأبواب كاملة من شعر الصالحين والزهاد ، وأقوال أهل الصلاح من الصحابة والتابعين .

وفى كثير من الأحيان يصدر الإمام القرطبى الباب من الأبواب بآيات قرآنية ، ثم ينقل أقوال المفسرين فيها من كلام الصحابة وعلماء الأمة الثقات .

ولقد حدد الإمام القرطبى فى بداية الكتاب الغرض الذى حمله على تأليف هذا الكتاب ، وهو الاختصار فى الموضوع والسهولة ، والوصول إلى منفعة المسلم فيما يقربه إلى ربه .

ثم حدد الإمام القرطبى عدد الأبواب التى سيتكلم فيها فجعلها أربعين ، وأعطى لكل باب عنوانًا يحمل مضمون ما يحتوى عليه من مادة علمية .

ثم فى نهاية الكتاب كتب مبحثًا يتناول الحديث عن جوائز السلاطين .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلية كلمته ، الوفية عدته ، المخشية نقمته ، المرجى نعمته ، الذى جل عن شاكلة الضريب ، وتعالى عن مشابهة النسيب .

أحمده على مظاهر مننه ، واستعينه على القيام بفرائضه ، وسننه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبلغ قائلها أمله ، ويختم بالسعادة عمله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله عند اقتراب الساعة ، وأيده بالكثير والبراعة ، وأعزه بالزهد والقناعة ، وخصه فى الميعاد بالشفاعة ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وصحبه ، أهل النجدة والشجاعة ، صلاة تعم بفضلها أهل السنة والجماعة .

وبعد .

فإن جماعة من العلماء جمعوا فى فضل الكفاف والقناعة ، وذم المسألة ، وحليلها ، وما يحرم منها ، ويكره ، ويجوز كابن أبى الدنيا ، والخرائطى ، وأبى العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسى ، وأبى بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السنى ، رحمهم الله تعالى ، وأكملها ما لابن أبى الدنيا فى ذلك ، فرأيت أن أجمع فى ذلك كتابًا يكون جامعًا ، مهذبًا ، كتابًا ، مقربًا ، يزيد على معانيها ، ويربى على ما فيها ، جعلته أربعين بابًا ، كل باب الحديث والحديثين والثلاثة ، ثم عقبت ذلك بالتفسير والتبيان ، ليكمل فائدته ، ويعظم منفعته ، وسميته بكتاب : (قمع الحرص بالزهد والقناعة ، ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة) .

هذه تسمية أبوابه :

الباب الأول : فى كراهية المسألة والتشديد فيها .

الباب الثانى : فى وعيد من سأل أموال الناس تكثرًا .

الباب الثالث : فى من سأل عن ظهر غنى ، وفى عقوبته .

الباب الرابع : فى المسألة متى تحل .

الباب الخامس : فيما يجوز من المسألة ، ومن يسأل .

الباب السادس : فى المبايعة على ترك المسألة .

الباب السابع : فى آداب من لا يسأل .

الباب الثامن : فى الاستعفاف عن المسألة ، والصبر عنها .

الباب التاسع : فى الإلحاف فى المسألة ، وتركه ، وبيان قوله تعالى ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ .

الباب العاشر : فى إنزال الحاجة بالله تعالى .

الباب الحادى عشر : فى ذل السؤال ورده بالكتاب ، وما روى من الشعر فى ذلك .

الباب الثانى عشر : فى إباحة الأخذ لمن أعطى مالًا من غير إشراف ، ولا سؤال .

الباب الثالث عشر : فى التعريض بالسؤال عند الحاجة من آداب الطلب .

الباب الرابع عشر : هل يسأل الرجل لغيره ، أو يعرض ، وفى السؤال فى المسجد .

الباب الخامس عشر : فى الإجمال فى الطلب .

الباب السادس عشر : فى الرضى بالقسم ، وما قسم لك لابد منه لك .

الباب السابع عشر : فى قوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ .

الباب الأول

فى كراهة المسألة والتشديد فيها

أخرج مسلم عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال :

« لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ ، وَلَيْسَ فِى وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ »[1] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِىَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَ فِى وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ »[2] أخرجه البخارى .

فصل

المزعة ، القطعة ، والممزع : المقطع ، وفيه تأويلان :

أحدهما : حمل الحديث على وجهه ، وأنه يأتى هذا العبد الذى جعل مسألة الناس حرفته ، وسؤال الخلق دون الحق دأبه ، وعادته ، يوم القيامة ، وقد قُطع لحم وجهه ، فيبقى عظمًا أجرد قبيح المنظر .

الثانى : أن المراد أنه يأتى يوم القيامة لا قدر له ، ولا وجه ، ولا وجاهة عند الله تعالى ، كما جاء فى بعض طرق الحديث أنه يأتى الله ولا وجه له عنده .

قلت : وقد يجمع له الوجهان ، كشط الوجه ، وعدم الجاه زيادة فى عقوبته ، والله أعلم .

---

(١) مسلم (١٣٠/٧ نووى) .

(٢) البخارى (١٥٣/٢) ، ومسلم (١٣٠/٧) ، والنسائى (٩٤/٥) .

الباب الثانى

فى وعيد من سأل أموال الناس تكثرا

أخرج مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ سَأَلَ أَمْوالَ الناس تَكَثُّرًا ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فَلْيَسْتَقِلَّ ، أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ »[٣] .

فصل

قوله : « تكثرا » أى من غير حاجة ، ولا ضرورة إلى ما يسألهم ، يسأل استكثارًا ، ليكثر ما عنده من المال بما يأخذه منهم ، وذلك محرم عليه ، لأن المسألة من أموال الناس لا تحل إلا لضرورة على ما يأتى ما بيانه ، فمن سألها من غير حاجة أخذها حراما ، وأكل مالًا بالباطل ، وهو دعوى الفقر ، وأخذ ما لا يحل ، ولهذا تواعد عليه بالنار ، فقال : « إنما يسأل جمرًا » يعنى يأكله غدا ، أو يحرقه ، أو لأن فيه إظهار للفقر منه ، وقد أغناه الله تعالى ، وكتمًا لنعمة الله عليه ، فيدل شكرها كفرًا ، وكذب فى سؤاله ، وأخذ صدقة يستحقها الفقراء ، وهم أولى بها منه ، فمنع حقوقهم بأخذها ، وكل هذه فواحش ، سواء باطنة وظاهرة توجب عذاب النار ، وحكم من هذا فعله ، أن يؤخذ ذلك منه ، ويعطاه للمساكين ، أو غيرهم ، ولا ينزل ذلك عنده .

---

(٣) أحمد (٢/٢٣١) ، ومسلم (٧/١٣٠) ، وابن ماجه (١٨٣٨) .

روى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه سمع رجلًا يقول : عشوا السائل ، فأمر به فأطعم ، ثم تحول إلى دار الإبل فسمعه أيضًا يقول : عشوا السائل ، فقال : ألم آمركم أن تعشوه ؟ قالوا : فعلنا ، فأمر به ، فقال : ألم يطعموك ؟ قال : بلى . فأخذ جرابه ، فنثره بين يدى إبل الصدقة ، وقال : أنت لست بسائل ، أنت تجمع(٤) .

قال علماؤنا – رحمة الله عليهم – :

ألا ترى أن عمر – رضي الله عنه – أمر له على ظاهر حاله ما سأل ، فلما علم أن مسألته استكثارًا كان عنده أنه غير مستحق ، فعمد إلى ما قد جمع فى جرابه من غير استحقاق ، فنثره بين يدى إبل الصدقة ، فتفهم هذا تفقه إن شاء الله تعالى .

وسمع أبو الأسود الدؤلى سائلا ينادى فى السكة : رحم الله من أشبع الجائع ، فقال : يا غلام حق وجب ، فدعاه ، فأجلسه معه ، وأشبعه ، فلما خرج من عنده سمعه ينادى مثل ندائه ، فأمر برده ، وقيده ، وقال : لا تؤدى المسألة منى حتى تصبح !!!

وقد قسم علماؤنا – رحمة الله عليهم – المسألة ثلاثة أقسام : محرمة ، ومكروهة ، وجائزة .

فالمحرمة : هى التى تكون بمعنى الفقر ، وليس بفقير ، أو يظهر من الفقر أكثر مما هو به .

والمكروهة : هو الذى يسأل وله أوقية ، لأن النبى ﷺ أعطى حكيم ابن حزام مرات ، وكان يملك أكثر من ذلك ، غير أنه كان ممن يجوز له أخذ الصدقة ، لأنه كان من المؤلفة قلوبهم ، ولو كان حرامًا ما أعطاه ، غير أنه

---

(٤) كيف يكون الحال لو جاء عمر – رضي الله عنه – ورأى الذين يسألون الناس بالليل والنهار ، وعندهم المال يُعد عدًّا .

يكره له ذلك ، ومن كان له دون الأربعين ، وسأل بالمعروف فلا حرج ، ومن اضطر إلى المسألة ففرض عليه أن يسأل ، ولا يكون المسئول حينئذ أفضل من السائل لأن موسى والخضر – عليهما السلام – استطعما أهل قرية .

ومن سأل على غير الوجه المعروف لأمر نزل به من جائحة أصابته ، أو حمالة تحمل بها ، أو دية لزمته ، أو ليكافئ على خير يؤتى به إليه ، فهذا حلال ، ولا يكون المسئول أفضل من السائل ، وقد خرج النبي ﷺ إلى بنى قينقاع ، وهم يهود ، يستعينهم في دية رجلين من أصحابه ، وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان إن شاء الله .

وقوله : « فليستقل أو ليستكثر » تهديد آخر أبلغ في المنع والتهديد ، وليس بتخيير ، وهو كقوله : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٥) .

---

(٥) سورة الكهف : ٢٩ .

الباب الثالث

فيمن سأل عن ظهر غنى ، وعقوبته

أخرج الدارقطني عن علي – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال :

« مَنْ سَأَلَ مسألةً عَنْ ظهرِ غنى استكثر بها من رضفِ جهنم ، قالوا : يا رسول الله وما ظَهرُ الغنى ؟ قال : عشاءُ لَيْلةٍ »(٦) في إسناده عمرو بن خالد ، وهو متروك .

وأخرج أبو داود من حديث سهل بن الحنظلية عن النبي ﷺ أنه قال :

« مَنْ سَأَلَ وعنده ما يغنيه ، فإنّما يستكثرُ من النّارِ ، فقيل : يا رسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : قدرُ ما يغديه ويعشيه »(٧) .

وأخرج ابن أبي الدنيا قال : حدثنا علي بن الجعد قال : أخبرنا شريك عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ سَأَلَ النّاسَ عن ظَهرِ غنى ، جَاءَ يَوْمَ القيامةِ في وجهه كدوحٌ ، أو خموشٌ ، أو خدوشٌ ، قيل : يا رسول الله ما الغنى ؟ قال خمسونَ درهمًا ، أو قيمتها من الذهبِ »(٨) .

---

(٦) **ضعيف جدًا** . أخرجه الدارقطني (٢/١٢١) في سننه . في سنده عمرو بن خالد ، متروك ، ورماه وكيع بالكذب ، انظر : التاريخ الكبير (٣/٤٢٨) ، الضعفاء للنسائي (٤٤٩) ، وللعقيلي (١٢٧٤) ، الجرح والتعديل (٣/٢٣٠) ، الميزان (٣/٢٥٧) ، التهذيب (٨/٢٧) .

(٧) **صحيح** . أحمد (٤/١٨١) ، وأبو داود (١٦٢٩) ، وابن حبان (٥/١٦٧) .

(٨) **إسناده ضعيف ، والحديث صحيح** .

في سنده حكيم بن جبير ، قال أحمد : ضعيف منكر الحديث ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال =

حدثنا أبو هشام الرفاعى قال : أخبرنا يحيى بن آدم قال : حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله عن النبى ﷺ نحوه[9] .

قال : فقيل لسفيان : لو كان غير حكيم ، فقال : حدثنا زبيد بن الحارث عن عبد الرحمن بن زيد[10] .

قلت : حكيم بن جبير ضعيف ، تركه شعبة وغيره .

قال الدارقطنى : وقال أبو عمر بن عبد البر : حكيم بن جبير متروك .

وقال البخارى فى التاريخ : كان يحيى وابن مهدى لا يحدثان عنه[11] .

وأما زيد فهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم اليامى الكوفى ، أخرج له البخارى ومسلم وغيرهما ، وروى عنه سفيان الثورى وغيره فصح الحديث ، وبه يقول أحمد وإسحاق ، قالوا : لا يعفى من الصفة من له خمسون درهمًا .

وأخرج ابن أبى الدنيا قال : حدثنا إسماعيل ، قال : حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ قال : حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم قال : حدثنى زياد بن أنعم

= الدارقطنى : متروك ، وضعفه الحافظ ابن حجر ، وكذبه الجوزجانى .

وأخرجه من طريق جبير ، أحمد (٤٤١/١) ، وأبو داود (١٦٢٦) ، والترمذى (٦٤٥) ، والنسائى (٩٧/٥) ، وابن ماجه (١٨٤٠) ، والدارمى (٣٨٦/١) ، والحاكم (٤٠٧/١) لكن نقل الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم ، أن سفيان قال : سمعت زبيدًا يحدث بهذا – يعنى الحديث – عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد .

وزبيد ، ثقة ثبت ، فمتابعته لجبير ترفع الحديث إلى درجة الصحة .

وأخرجه أحمد (٤٦٦/١) ، والطبرانى (١٠١٩٩) فى الكبير من طريق آخر ، وسنده ضعيف ، فيه الحجاج بن أرطأة ، فالمعول فى صحة الحديث على سند زبيد .

(٩) **سنده ضعيف ، والحديث صحيح ، انظر السابق .**

(١٠) سبق تخريجه برقم (٦) .

(١١) البخارى (١٦/٣) فى التاريخ الكبير .

قال : سمعت زياد بن الحارث الصُّدائى صاحب رسول الله ﷺ قال :

« أتى رجل النبى ﷺ فسأله ، فقال له : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ عَنْ ظَهْرِ غِنى ، فَإِنَّمَا هُوَ دَاءٌ فِى البَطْنِ ، وَصُدَاعٌ فِى الرَّأسِ »[١٢] .

فصل

أحسن أحاديث هذا الباب على ما قال أبو عمر بن عبد البر ، قال : حديث سهل بن الحنظلية .

ذكر أبو بكر بن الأثرم أن أحمد بن حنبل سئل عن المسألة متى تحل ؟ قال : إذا لم يكن معه ما يغديه ويعشيه ، على حديث سهل بن الحنظلية قيل لأحمد : فإن اضطر إلى المسألة ؟

قال : هى مباحة له إذا اضطر لها .

قيل له : فإن تعفف ؟

قال : ذلك خير له ، الله يأتيه برزقه ، ثم قال : ما أظن أحدًا يموت من الجوع ، الله يأتيه برزقه ، ثم ذكر حديث أبى سعيد الخدرى : « من استعفَّ عفه اللهُ »[١٣] .

وحديث أبى ذر أن النبى ﷺ قال له : « تعفف »[١٤] .

قال الأثرم : وسمعته يسئل عن الرجل الذى لا يجد شيئًا أيسأل الناس أم يأكل الميتة ، فقال : أيأكل الميتة ، وهو يجد من يسأله ، هذا شنيع .

---

(١٢) **إسناده ضعيف** . أخرجه أحمد (١٦٩/٤) ، وأبو داود (١٤ ٥) ، والترمذى (١٩٩) مختصرًا ، والطبرانى (٥٢٨٥) فى الكبير مطولاً . فى سنده عبد الرحمن بن زياد ، الإفريقى ، ضعفه يحيى ، والنسائى ، والذهبى ، وابن حجر ، وقال ابن عدى : عامة حديثه لا يتابع عليه ، وقال الدارقطنى : ليس بالقوى . انظر ترجمته فى : الميزان (٥٦٢/٢) ، التقريب (٤٨٠/١) ، الضعفاء للعقيلى (٩٢٧) ، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٢٣٤/٢) ، المجروحين (٥٠/٢) لابن حبان .

(١٣) أحمد (٣/٣ ، ٩ ، ١٢) ، والبخارى (١٥١/٢) ، ومسلم (١٤٥/٧) ، (٩٣/٣) ، وأبو داود (١٦٤٤) ، والترمذى (٢٠٩٣) ، والنسائى (٩٥/٥) ، وابن حبان (١٧٠/٥) .

تنبيه : قول الإمام أحمد أورده القرطبى فى تفسيره الجامع (ص/١١٥٢) .

(١٤) **صحيح** : أخرجه أحمد (١٤٩/٥ ، ١٦٣) ، وأبو داود (٤٢٦١) وابن ماجه (٣٩٥٨) ، وابن حبان (٢٤٢/٨) ، والحاكم (٤٢٤/٤) ، والبيهقى (١٩١/٨) .

الباب الرابع
فى المسألة متى تحل لمسلم

عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ، فيتصدق به ، ويستغنى عن الناس خير له من أن يسأل رجلًا أعطاه ، أو منعه ، ذلك بأن اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول »[١٥] .

أخرج أبو داود عن أنس بن مالك :

(أن رجلًا من الأنصار أتى النبى ﷺ يسأله ، فقال : « أما فى بيتك شىء ؟ » قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء . قال : « ائتنى بهما » ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ، وقال : « من يشترى هذين » ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : « من يزيد على درهم » مرتين أو ثلاثًا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاه إياهما ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى ، وقال : « اشتر بأحدهما طعاما فانبذه[١٦] إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما ، وائتنى به » فأتاه به ، فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ، ثم قال : « اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما » فذهب الرجل يحتطب ، ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ،

---

(١٥) مسلم (١٣١/٧) ، والترمذى (٦٧٥) .

(١٦) النبذ : طرحك الشىء من يدك أمامك ، أو وراءك ، نبذت الشىء أنبذه نبذًا ، إذا ألقيته من يدك ، والمراد : اترك لهم هذا الطعام .

فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تحل إلا لثلاث لذى فقر مدقع أو لذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع »[17] أخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال فيه : حديث حسن .

فصل

هذا الباب والذى قبله يرجع إلى معنى واحد وهو أن سؤال الخلق لا يحل إلا عند الحاجة ، وهو الفقر المدقع ، وهو غاية الفقر ، وأشده الذى لم يبق لصاحبه شيئا من المال يرجع إليه ، وأصله من الدَّقْعاء[18] وهو التراب ، والأرض التى لا نبات عليها فيقضى شدة الفقر بصاحبه إلى الجلوس عليها وهو معنى قوله تعالى ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[19] .

وقال ابن الأعرابى : الدقع سوء احتمال الفقر ، فكأنه ﷺ لم يبح المسألة إلا لمن عجز عن احتمال شدة الفقر ، ومؤونة الفاقة والضر ، وكان عاجزًا منقطعًا عن الكسب ، وسبب هذا الحديث يكشف عن ذلك ، فإنه قال : « أما في بيتك شيء » قال : (بلى حلس) . الحديث ، وفيه فوائد جمة منها :

---

(١٧) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٣/١١٤) ، وأبو داود (١٦٤١) ، وابن ماجه (٢١٩٨) ، والطيالسى (٢١٤٦) مختصرًا ، والترمذى (١٢٣٦) بدون قوله (إن المسألة) ، والنسائى (٧/٢٥٩) . في سنده أبو بكر الحنفى ، مجهول ، قال ابن حجر والذهبى : لا يعرف حاله ، ونقل ابن حجر عن البخارى قوله : لا يصح حديثه ، وقال ابن القطان : عدالته لم تثبت ، فحاله مجهولة . انظر : التهذيب (٦ /٨٨) ، الميزان (٢/٥٢٩) .

(١٨) الدقعاء : عامة التراب ، وقيل : التراب الدقيق على وجه الأرض ، والمدقع : الفقير الذى قد لصق بالتراب من الفقر ، وفقر مدقع أي ملصق بالدقعاء . والدقع : سوء احتمال الفقر ، وسوف يأتى .

(١٩) سورة البلد : ١٦ .

بيع المزايدة ، وجواز الزيادة فى السلعة قبل إنجاز البيع ، وفيه أنه لا نقيصة على الرجل الفاضل أن يكون سمسارًا ، وفيه إثبات الكسب ، والأمر به .

وفيه أنه لم ير الصدقة تحل لأحد مع القوة على الكسب ، ولا مع وجود شيء .

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : « لا تحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مرة سوى »[٢٠] .

وبحديث هذا الباب يقول الشافعى وأبو ثور وغيرهما قالوا : كل من كان قويًا على الكسب ، والتحرف ، مع قوة البدن ، وحسن التصرف حتى يغنيه ذلك عن الناس ، فالصدقة عليه حرام[٢١] .

وكذلك المتصوفة الذين تركوا أشغالهم ، وتخلوا لعبادة الله تعالى ، ولهم قدرة على الكسب ، لا تحل لهم الصدقة لأن التكسب مع الإعراض عن النوافل ، أولى من الاشتغال بالنوافل ، والطمع فيما فى أيدى الناس .

قال النبى ﷺ :

« إن أفضل ما أكل الرجل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده »[٢٢] وسيأتى .

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال :

(لأن تأكل بالزمر والطبل لخير من أن تأكل بدينك) .

---

(٢٠) صحيح . أخرجه أبو داود (١٦٣٤) ، والترمذى (٦٤٧) وقال : حسن ، والطيالسى (٢٢٧١) ، والدارمى (٣٨٦/١) ، والحاكم (٤٠٧/١) ، والدارقطنى (٢١١) ، والبيهقى (١٣/٧) كلهم من حديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أحمد (٣٧٥/٥) عن رجل من بنى هلال .
وأخرجه أحمد (٣٧٧/٢) ، والنسائى (٩٩/٥) ، وابن ماجه (١٨٣٩) ، وابن حبان (٢٣/٥) ، والحاكم (٤٠٧/١) ، والدارقطنى (٢١١) ، والبيهقى (١٤/٧) .

(٢١) نقل الإمام القرطبى نفس الكلام بنصه فى تفسيره الجامع (ص ٣٠١١/) طبعة دار الشعب .

(٢٢) البخارى (٧٤/٣) بنحوه ، وسوف يأتى هذا الحديث فيما بعد .

وقد أشبعنا القول فى هذا فى آية الصدقات فى (جامع أحكام القرآن) والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان[٢٣] .

وأما قوله : « لذى غرم مفظع أو لذى دم موجع » فيأتى بيانه فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(٢٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٠٦-٣٠٣١) .

الباب الخامس

فيما تجوز فيه المسألة ومن يسأل

أخرج أبو داود عن سمره عن النبى ﷺ أنه قال :

« المسائل كدوح ، يكدح الرجل بها وجهه ، فمن شاء أبقى على وجهه ، ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان ، أو فى أمر لا يجد منه بدا »[٢٤] .

وأخرجه ابن أبى الدنيا قال : حدثنا أحمد بن المقدام العجلى قال :

حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا داود الطائى عن عبد الملك بن عمير عن زيد بن عقبة قال :

قال له الحجاج : ما منعك أن تسألنى ؟ فقال :

قال سمرة بن جندب قال رسول الله ﷺ :

« إن هذه المسائل كد يكد بها الرجل وجهه ، إلا أن يسأل ذا سلطان أو ينزل به من الأمر ما لا يجد منه بدا »[٢٥] .

---

(٢٤) **صحيح** . أخرجه أحمد (٥/٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٢) ، وأبو داود (١٦٢٣) ، والنسائى (٥/٩٦) ، والطيالسى (٨٨٩) ، وابن حبان (٥/١٦٩) ، والطبرانى (٦٧٦٦) ، (٦٧٦٧) ، (٦٧٦٨) فى الكبير .

(٢٥) **إسناده حسن ، والحديث صحيح** . فى سنده أحمد العجلى ، صدوق كما فى التقريب ، لكن أخرجه أحمد (٥/١٠ ، ١٩) ، والترمذى (٦٧٦) ، والنسائى (٥/١٠٠) ، والطبرانى (٦٧٦٦) فى الكبير من طرق صحيحة .

قال : فإنى ذو سلطان فهلم حاجتك ، قال : (.......)[٢٦] الله له لى غلام ، قال : ألحقاه على مائة .

وفى الصحيحين عن قبيصة بن مخارق الهلالى قال :

تحملت حمالة فأتيت النبى ﷺ أسأله ، فقال : « أقم حتى تأتينا الصدقة ، فنأمر لك بها » ، ثم قال : « يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاث : رجل تحمل حمالة ، فحلت له المسألة حتى يصيبها ، ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش » ، أو قال : « سدادًا من عيش ، ثم يمسك ، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم له ثلاثة من ذوى الحجا من قومه ، لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة ، حتى يصيب قوامًا من عيش » ، أو قال : « سدادًا من عيش فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتًا يأكلها صاحبها سحتا »[٢٧] .

---

(٢٦) بيضاء بالأصل .

(٢٧) أحمد (٤٧٧/٣) ، ومسلم (١٣٣/٧) ، وأبو داود (١٦٤٠) ، والنسائى (٨٩/٥) ، والطيالسى (٨٣٤) ، والدارمى (٣٩٦/١) ، وابن خزيمة (٢٣٥٩) و (٢٣٦٠) ، والدارقطنى (١١٩/٢) ، والطبرانى (٩٤٦) فى الكبير ، والبيهقى (٧٣/٦) ، (٢١/٧) .

تنبيه : عزا الإمام القرطبي الحديث إلى الصحيحين ، وليس فى البخارى والله أعلم .

(مفردات الحديث) : قوله : « قواما من عيش ، أو سدادا » هما بمعنى واحد ، وهو ما يغنى من الشيء ، وما تسد به الحاجة ، وكل شيء سددت به شيئًا فهو سداد بالكسر ، ومنه سداد الثغر والقارورة .

« حمالة » يقال حمل حمالة : حمل بدين ودية .

« حتى يقوم » أى حتى يقومون بهذا الأمر ، فيقولون لقد أصابته فاقة .

« الحجا » هو العقل ، والحكمة من ذلك أنهم من أهل الخبرة بباطنه ، والمال ، مما يخفى فى العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرًا بصاحبه ، وإنما شرط الحجا تنبيهًا على أنه يشترط التيقظ فى الشاهد ، فلا تقبل من مغفل ، وأما اشتراط الثلاثة فقال بعض أصحابنا : هو شرط فى بينة الإعسار ، فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر الحديث ، وقال الجمهور يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا ، وحملوا الحديث على الاستحباب .

قاله النووى فى شرحه على مسلم (١٣٣/٧ ، ١٣٤) .

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال :

« إن المسألة لا تصلح إلا فى ثلاث فقر مدقع أو ذى دم موجع أو أمر مفظع »[٢٨] .

وقد ذكرناه فى الباب قبل [هذا][٢٩] .

وأخرج أبو داود عن ابن الفراسى :

أن الفراسى قال لرسول الله ﷺ : أسأل يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : « لا ، وإن كنت سائلًا لابد ، فاسأل الصالحين »[٣٠] .

أخرجه النسائى أيضا .

وذكر ابن أبي الدنيا قال : حدثنى محمد بن العباس قال : حدثنى محمد بن عمير بن الكميت قال : حدثنا داود بن يحيى بن اليمان قال : سمعت أبى يذكر عن المنهال بن خليفة قال : قال موسى عليه وآله أفضل الصلاة والسلام : يا رب إن نزلت بى حاجة فإلى من ؟ قال : إلى النجباء من خلقى .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم :

لما قرر النبى ﷺ منع قاعدة المسألة من الناس مما تقدم من الأحاديث ،

---

(٢٨) سبق تخريجه .

(٢٩) ما بين المعكوفتين زيادة لازمة للسياق .

(٣٠) ضعيف . أخرجه أبو داود (١٦٤٦) ، والنسائى (٥/ ٩٥) وأحمد (٤/ ٣٣٤) فى سنده مسلم ابن مخشى ، قال الحافظ مقبول ، يعنى عند المتابعة ، وإلا فضعيف ، ولم نجد له فيما بين أيدينا أى متابع ولذا فإن الحديث ضعيف بهذا السند .

وكانت الحاجة والفاقة تنزل بهم فيحتاجون إلى السؤال ، بيّن لهم النبى ﷺ من يخرج من عموم تلك القاعدة بقوله :

« إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة »[٣١] كما فى حديث قبيصة وأنس والمعنى فيهما متقارب .

وروى أن النبى ﷺ قال :

« لا تحل الصدقة إلا لخمسة : لغاز فى سبيل الله ، أو لعامل عليها ، أو لغارم ، أو لرجل اشتراها بماله ، أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين ، فأهدى المسكين للغنى »[٣٢] .

رواه مالك مرسلا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ورفعه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن النبى ﷺ .

ففى هذا الحديث جواز أخذ الصدقة والسؤال لبعض الأغنياء وهو تفسير قوله ﷺ :

« لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى »[٣٣]

لأن قوله هذا مجمل ليس على عمومه ، بدليل الخمسة الأغنياء ، أو حديث قبيصة ، وأنس ، فأما الفقر المدقع ، فقد تقدم بيانه ولا خلاف فيه ، وأما قوله : « لذى دم موجع »[٣٤] .

---

(٣١) سبق تخريجه .

(٣٢) **صحيح** . أخرجه أحمد (٥٦/٣) ، وأبو داود (١٦٣٦) ، وابن ماجه (١٨٤١) ، والحاكم (٤٠٧/١) ، والبيهقى (١٥/٧) مرفوعًا عن أبى سعيد الخدرى ، وأخرجه مالك (٣٤٣) مرسلًا عن عطاء بن يسار .

قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه لإرسال مالك إياه ، وهو صحيح ، فقد يرسل مالك الحديث ، ويصله ، أو يسنده ثقة ، وكذا قال البيهقى فى سننه .

(٣٣) سبق تخريجه .

(٣٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (ص/٢٠٢٥) ذكره بنحوه .

هو أن يتحمل حمالة فى حقن دماء ، وإصلاح ذات البين ، وذلك أن يقع بين قوم تشاجر فى دماء ، وأموال ، ويحدث بسببها عداوة ، وشحناء تخاف منه الحرب ، والفتن العظيمة ، فيتوسط الرجل فيما بينهم فيضمن لهم مالًا ، يرضاهم به ، ليسكن الثائرة فهذا رجل صنع خيرًا ، فليس من المعروف أن نترك الغرامة عليه وحده ، بل يعان على ما تحمله ، ويعطى من الصدقة ، وغيرها مما يخرج به من عهدة ما ضمنه ، وحمله .

والغرم المفظع ، هو الغريم الذى يركبه الدين ، ولا وفاء عنده ، ولا خلاف فيه ، اللهم إلا من أجاز فى سفاهة ، فإنه لا يعطى من الصدقة ، ولا من غيرها ، إلا أن يتوب .

وجاء فى حديث هذا الباب « إلا أن يسأل ذا السلطان » إنما جاز سؤال السلطان لأنه لا يلحقه منه أذى فيما يأخذه منه .

وقوله « أو فى أمر لا يجد منه بدا » يريد ما تدعو الحاجة إليه ، والضرورة إلى المسألة فيه ككتاب[٣٥] ، أو توب[٣٦] أو غير ذلك .

وأباح أيضًا سؤال أهل الصلاح والفضل عند الحاجة إلى ذلك ، إذ هم أهل لقضائها ، وإن أوقع حاجته بالله تعالى فهو أولى وأفضل .

اسْأَلِ العُرْفَ إنْ سَأَلْتَ كَرِيمًا
لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الغِنَى وَاليَسَارَا
فَقَلِيلُ الشَّرِيفِ يُكْسِبُ حَمْدًا[٣٧]
وَكَثِيرُ الوَضِيعِ يُكْسِبُ عَارَا

---

(٣٥) يعنى عليه كتاب ، أى مكتوب فيه دين عليه .
(٣٦) كذا بالمخطوطة : وربما كان المراد (أو ثوب) والله أعلم .
(٣٧) وفى رواية (مجدًا) كذا فى بهجة المجالس لابن عبد ربه .

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدٌّ
فَالْقَ بِالذُّلِّ إِنْ لَقِيتَ الكِبَارَا

لَيْسَ إِجْلَالُكَ الكَبِيرَ بِذُلٍّ
إِنَّمَا الذُّلُّ أَنْ تُمَجِّدَ[38] الصِّغَارَا[39]

وقال عليه السلام :

« إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ وَهُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[40] .

وقال عليه السلام :

« اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ »[41] .

وأنشدوا :

أَنْتَ وَصْفُ النَّبِي إِذْ قَالَ يَوْمًا
اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ[42] حِسَانِ الوُجُوهِ[43]

---

(٣٨) وفي رواية (تجل) السابق .

(٣٩) الأبيات في بهجة المجالس (١٧٤/١ ، ١٧٥) لابن عبد ربه ، وعزاها لمحمود الوراق .

(٤٠) ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا (٤٩) في قضاء الحوائج ، مرسلاً ، من حديث الحسن البصري ، وفيه داود بن المحبر متروك .

وأخرجه الطبراني في الكبير ، من حديث ابن عمر ، وضعفه الشيخ الألباني ، كما في ضعيف الجامع برقم (١٩٤٧) .

. أورده المنذري (٦٢٦/٣) في الترغيب ، وعزاه لأبي الشيخ في الثواب ، من حديث الجهم بن عثمان .

(٤١) موضوع . التاريخ الكبير (١٥٧/١) للبخاري ، تاريخ بغداد (١٨٥/٤) ، (١١/٧) للبغدادي ، وأمالي الشجري (١٥٤/٢) ، وأورده السيوطي بطرقه في اللآلئ المصنوعة (٤١/٢) وانظر : الميزان ترجمة (٣٤٢٧) ، (٥٦٣١) واللسان (١٥٨٧/٣) ، (٤١٨/٤) ، (٥٣٨/٥) ، المطالب العالية (٢٦٤٠) ، (٢٦٣٩) .

(٤٢) وفي رواية (من) كما في بهجة المجالس .

(٤٣) بهجة المجالس (٣١٩/١) ولم ينسبها إلى أحد .

وفى سنن ابن ماجه وصحيح أبى حاتم البستى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن من الناس مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر ، مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، والويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه »[٤٤] .

وفى كتاب الفرس :

إذا أردت أن تسأل ، فاسأل من كان ذا غنى ، ثم افتقر ، فإن عز الغنى يبقى فى قلبه أربعين سنة ، ولا تسل من كان فى فقر ، ثم يستغنى فإن ذلك الفقر ، يبقى فى قلبه أربعين سنة .

---

(٤٤) **حسن بشواهده** . أخرجه ابن ماجه (٢٣٧) ، والطيالسى (٢٠٨٢) ، وابن أبى عاصم فى « السنه » (٢٥١) فى سنده محمد بن أبى حميد من الضعفاء .

وذكر الحافظ فى الفتح (٢٩١/٨) أن ابن حبان صححه ، وقال الشيخ الألبانى : له عند ابن ماجه (٢٣٨) ، وابن أبى عاصم (٢٥٢) شاهد يرويه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبى حازم عن سهل ابن سعد مرفوعا به .

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف جدًا ، لكن تابعه عقبة بن محمد عن زيد بن أسلم به .

أخرجه ابن أبى عاصم (٢٥٠) ورجاله ثقات غير عقبة هذا ، والظاهر أنه أخو أسباط بن محمد ، قال ابن أبى حاتم (٣١٧/١/٣) عن أبيه : « لا أعرفه » .

وللحديث شاهد آخر ، ولكنه مرسل ضعيف ، وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن إن شاء الله تعالى .

الباب السادس

فى المبالغة على ترك المسألة

خرّج أبو داود عن أبى مسلم الخولانى قال : حدثنى الحبيب الأمين ، أما هو إلى فحبيب ، وأما هو عندى فأمين – عوف بن مالك – قال :

« كنا عند رسول الله ﷺ سبعة ، أو ثمانية ، أو تسعة .

فقال : « ألا تبايعون رسول الله ﷺ » . وكنا حديثو عهد ببيعة ، فقلنا : بايعناك ، حتى قالها ثلاثا ، فبسطنا أيدينا فبايعناه ، فقال قائل : رسول الله إنا قد بايعناك ، فعلام نبايعك ؟ قال : « أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا » ، وأسر كلمة خفية ، قال : « ولا تسألوا الناس شيئا »(٤٥) .

قال : فقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه . أخرجه مسلم .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم :

أخذه عليه السلام فى البيعة أن لا يسألوا أحدًا حمل منه على مكارم

---

(٤٥) مسلم (١٣٢/٧) ، وأبو داود (١٦٤٢) ، والنسائى (٢٢٩/١) ، وابن ماجه (٢٨٦٧) كلهم من طريق أبى مسلم الخولانى عن عوف بن مالك ، وكذا الطبرانى (٣٩/١٨) فى الكبير وأخرجه أحمد (٣٧/٦) ، والطبرانى فى الكبير (٧٠/١٨) من طريق ربيعة بن لقيط عن عوف .

الأخلاق ، والترفع عن تحمل منن الخلق ، وتعليم للصبر على مضض الحاجات ، والاستغناء عن الناس ، ولما أخبرهم بذلك التزموه في جميع الأشياء ، وفي كل الأحوال حتى فيما لا يلحق فيه منه طردًا للباب ، وحسمًا للذرائع ، والله أعلم .

ولقد حكي عن أبي حمزة الخراساني[46] ، وكان من كبار العُبَّاد أنه لما سمع أن أناسًا بايعوا رسول الله ﷺ على أن لا يسألوا أحدًا شيئًا . الحديث قال :

(رب إن هؤلاء بايعوا نبيك إذ رأوه ، وأنا أعاهدك أن لا أسأل أحدًا شيئًا ، فخرج حاجًا من الشام ، يريد إلى ، فبينما هو يمشي في الطريق من الليل إذ نفي[47] عن أصحابه لعذر ، ثم أتبعهم ، فبينما هو يمشي إليهم إذ سقط في بئر على حاشية الطريق[48] ، فلما حل في قعرها قال : أستغيث لعل أحدًا يسمعني ، ثم قال : إن الذي عاهدته يراني ويسمعني ، والله لا تكلمت بحرف للبشر ، ثم لم يلبث إلا يسيرًا أن مر بذلك البئر نفر ، فلما رأوها على حاشية الطريق ، قالوا : إنه ينبغي سد هذه البئر ، ثم قطعوا خشبًا ، ونصبوها على فم البئر ، وغطوها بالتراب ، فلما رأى ذلك أبو حمزة ، قال : هذه مهلكة ، ثم أراد أن يستغيث بهم ، ثم قال : والله لا أخرج منها أبدًا ثم رجع إلى نفسه ، فقال : أليس قد عاهدت من يراك ، فسكت وتوكل[49] ، ثم استند في قعر البئر مفكرًا في أمره ، فإذا بالتراب يقع عليه ، والخشب يرفع ، وسمع في أثناء ذلك من يقول : هات يدك ، قال : فأعطيته يدي ، فأقلني في مرة واحدة ، إلى فم

---

(٤٦) وذكر أبو نعيم ، والخطيب البغدادي ، وغيرهما أن الواقع في البئر أبو حمزة البغدادي .

(٤٧) نفي الشيء ، ينفي نفيًا : يعني تنحى .

(٤٨) حاشية الطريق : جانب الطريق .

(٤٩) يقينًا ليس هذا من التوكل في شيء ، إذ قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ سورة البقرة : ١٩٥ .

البئر فخرجت ، ولم أر أحدًا فسمعت هاتفا يقول : كيف رأيت ثمرة التوكل[٥٠] .

وأنشدوا[٥١] :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى
فأغنيتنى بالعلم[٥٢] منك على الكشف

تلطفت فى أمرى فابديت شاهدى
إلى غايتى واللطف يدرك باللطف

تراءت لى بالغيب حتى كأنما
تخبرنى[٥٣] بالعلم أنك فى الكف

أراك وبى من هيبتى لك وحشة
فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف

وتحيى محبًا أنت فى الحب حتفه
وذا عجب كون الحياة مع الحتف[٥٤]

قلت :

اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى سكوت هذا الرجل فى البئر حين سد عليه .

فمنهم من قال : هذا رجل عاهد الله ، فوجب الوفاء على التمام والكمال فاقتدوا به إن شاء الله تهتدوا .

---

(٥٠) أورد هذه القصة أبو نعيم (٣٢١/١٠) فى الحلية بنحوها ، وكذا الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (٣٩١/١ ، ٣٩٢) .

(٥١) نسب البغدادى الأبيات فى تاريخه (٣٩٢/١) إلى أبى حمزة نفسه .

(٥٢) وفى رواية : (بالقرب) كما فى المصدر السابق .

(٥٣) وفى رواية : (تبشرنى) .

(٥٤) تاريخ بغداد (٣٩٢/١) ذكر أربعة أبيات فقط .

ومنهم من قال : إن سكوته فى مثل هذا المقام على التوكل أعانه على نفسه ، وذلك لا يحل ، ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافى استغاثته فى تلك الحال ، كما لم يخرج رسول الله ﷺ من التوكل بإخفائه الخروج من مكة واستئجاره دليلًا ، واستكانة الأمر ، واستتاره فى الغار ، وقوله لسراقة : « أَخْفِ عَنَّا »[55] . فالتوكل الممدوح لا ينال بفعل محظور ، وسكوت هذا الواقع فى البئر محظور عليه ، وبيان ذلك أن الله تعالى خلق للآدمى آلة يدفع بها الضرر عن نفسه ، وآلة يجلب بها النفع ، فإذا أعطلها مدعيًا للتوكل ، كان ذلك جهلًا بالتوكل ، وردًّا لحكمة الله تعالى ؛ لأن التوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى ، وليس من ضرورته قطع الأسباب ، ولو أن إنسانًا جاع فلم يسأل حتى مات جوعًا دخل النار[56] .

قاله سفيان الثورى وغيره لأنه قد دلك على طريق السلامة ، فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه .

وقول أبى حمزة « فجاء جاء فأخرجنى » فإنه إن صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقًا ، وقد يكون لطفًا من الله بالعبد الجاهل ، ولا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ، إنما ينكر فعله الذى هو كسبه ، وهى إعانته على نفسه ، التى هى وديعة الله ، عنده وقد أمره بحفظها[57] .

---

(٥٥) البخارى (٧٦/٥ ، ٧٧) ، وأحمد (١٧٥/٤ ، ١٧٦) ، والطبرانى (٦٦٠١) فى الكبير .
(٥٦) هذا الكلام قاله ابن الجوزى (٢٧/١) فى صفة الصفوة ، ونقله المصنف .
(٥٧) صفة الصفوة (٢٨/١) لابن الجوزى .

الباب السابع

فى ثواب من لا يسأل الناس شيئا

خرّج أبو داود عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من يتكفل لى أن لا يسأل الناس شيئا فأتكفل له بالجنة ؟ » فقال ثوبان : أنا ، قال : « لا تسأل أحدًا شيئا »[٥٨] .

أخرجه ابن ماجه فى سننه وزاد :

فكان ثوبان رضى الله عنه يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيأخذه[٥٩] .

وأخرجه ابن أبى الدنيا عنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « من يتقبل لى بواحد أتقبل له بالجنة » ، قال ثوبان : أنا ، قال : « لا تسأل الناس شيئا »[٦٠] .

قال : فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدًا يناوله ، وينزل هو فيأخذها .

---

(٥٨) صحيح . أخرجه أحمد (٢٧٥/٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١) ، وأبو داود (١٦٣٩) ، والنسائى (٩٦/٥) بنحوه ، والطيالسى (٩٤٤) ، وابن حبان (١٦٤/٥) ، والطبرانى (١٤٣٣) ، (١٤٣٤) ، (١٤٣٥) فى الكبير ، والحاكم (١٤٥/٢) من طرق عن ثوبان رضى الله عنه .

(٥٩) ابن ماجه (١٨٣٧) .

(٦٠) صحيح . أخرجه أحمد (٢٧٧/٥ ، ٢٨١) ، وابن ماجه (١٨٣٧) ، والبيهقى (١٩٧/٤) فى السنن الكبرى .

قوله (من يتقبل) من استفهامية ، أى أيكم يضمن لى بخصلة واحدة ، وهى حفظ نفسه من السؤال ، وأنا أضمن له بالجنة .

وأخرج عن أبي ذر قال :

(دعاني رسول الله ﷺ فقال : « هل لك في بيعة ولك الجنة » ؟ قلت : نعم ، فبسطت يدي ، فقال رسول الله ﷺ ، وهو يشترط عليَّ : « لا تسأل الناس شيئا » قلت : نعم ، قال : « ولا سوطك إن سقط منك حتى تنزل فتأخذه »[61] .

وأخرج عن حكيم بن حزام أنه سأل رسول الله ﷺ عما يدخل الجنة قال :

« لا تسأل أحدا شيئا »[62] .

فكان حكيم لا يسأل خادمه أن يسقيه ماء ، ولا يناوله ماء يتوضأ به .

(٦١) صحيح . أخرجه أحمد (١٧٢/٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩) ، والتبريزي (١٨٥٨) في المشكاة ، والبيهقي (١٩٧/٤) في السنن الكبرى .

(٦٢) لم أجده من حديث حكيم بن حزام عند غير ابن أبي الدنيا .

الباب الثامن

فى الاستعفاف عن المسألة والصبر عنها

خرّج مسلم عن أبى سعيد الخدرى :

أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى إذا نفذ ما عنده قال :

« ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يستبصر بصره الله ، وما أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر »[٦٣] أخرجه البخارى ، وأخرجه ابن أبى الدنيا بمعناه فقال : حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة عن أبى حمزة قال : سمعت هلال بن حصن قال : أتيت المدينة فنزلت دار أبى سعيد ، فضمنى وإياه المجلس فحدث :

أنه أصبح ذات يوم ، وليس عنده طعام ، وأصبح وقد عصب على بطنه حجرًا من الجوع فقالت امرأتى : ائت النبى ﷺ فسله ، فقد أتاه فلان فأعطاه ، وأتاه فلان فأعطاه ، قال : فأتيت وقلت : حتى ألتمس شيئًا ، فذهبت أطلب فانتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو يخطب ويقول : « ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطيناه ، وواسيناه ، ومن استعف عنا ، أو استغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا »[٦٤] .

---

(٦٣) البخارى (١٥١/٢) ، ومسلم (١٤٥/٧) ، وأبو داود (١٦٤٤) ، والترمذى (٢٠٩٣) ، والنسائى (٩٥/٥) ، وأحمد (٣/٣ ، ٩ ، ١٢) ، وابن حبان (١٧٠/٥) .

(٦٤) أخرجه أحمد (٤٤/٢) وفى سنده هلال بن حصن ، ذكره البخارى وابن أبى حاتم ، ولم يذكرا فيه جرحًا ، ولا تعديلا ، ويشهد له ما سبق .

قال : فرجعت وما سألته شيئا ، فرزقنا الله عز وجل حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالًا منا .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم :

الاستعفاف الصبر .

ومن قوله تعالى ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ﴾[٦٥] .

قال ابن عرفة وغيره من أهل اللغة :

أى ليصبروا ، فالمعنى من يستعفف عن السؤال للخلق يعفه الله أى : يجازيه على استعفافه بصيانة وجهه ودفع فاقته .

وربما أثمرت له العفة غنى قلبه بربه عن خلقه ، والتيه[٦٦] به على عباده كما قال بعضهم فأحسن :

لبست بالعفة ثوب الغنى
فصرت أمشى شامخ الرأس
إذا رأيت التيه من ذى الغنى
تهت على التايه باليأس

ومعنى قوله ومن يستغن أى : بالله ، يغنه : أى : يخلق فى قلبه غنى ، أو يعطه ما يستغنى به عن الخلق كما قال أبو سعيد .

---

(٦٥) سورة النور : ٣٣ .

(٦٦) التيه : الصلف والكبر ، والمراد قمة الانصراف عن الخلق ، استغناء بالخالق .

قلت : وقد يجمع الله الأمرين غنى قلبه ، ويده ، تفضلًا منه سبحانه .

وذكر ابن أبي الدنيا قال : حدثنا محمد بن سعد قال : حدثنا عمر بن عاصم عن أبي الأشهب قال : سمعت بكر بن عبد الله يقول في دعائه :

(اللَّهُمَّ ارْزُقنا من فضلِكَ رزقًا يزيدُنا لك به شكرًا ، وإليك فاقةً وفقرًا وَبِكَ عَمَّن سواك غنًى وتعففًا)[٦٧] .

---

(٦٧) حلية الأولياء (٢/٢٢٥) ، وابن سعد (٧/٢١١) .

الباب التاسع

فى الإلحاف فى المسألة وتركه

وبيان قوله تعالى ﴿ لا يسئلون الناس إلحافا ﴾

خرّج[٦٨] مسلم عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنما أنا خازن فمن أعطيته عن طيب نفس ، فيبارك له فيه ، ومن أعطيته عن مسألة ، وشره ، كان كالذى يأكل ولا يشبع »[٦٩] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تلحفوا فى المسألة ، فوالله لا يسألنى أحد منكم شيئا تخرج له مسألته منى ، وأنا كاره ، فيبارك له فيما أعطيته »[٧٠] .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« ليس المسكين بالذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان إنما المسكين المتعفف ، واقرأوا إن شئتم ﴿ لايسألون الناس إلحافا ﴾[٧١] »[٧٢] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إن الله يحب المؤمن المحترف الضعيف ، ويبغض السائل الملحف »[٧٣] .

---

(٦٨) سقطت من الأصل .

(٦٩) مسلم (١٢٨/٧) ، وأحمد (٩٩/٤ ، ١٠٠) ، والطبرانى (٨٦٩) فى الكبير .

(٧٠) مسلم (١٢٨/٧) ، وأحمد (٩٨/٤) ، والنسائى (٩٨/٥) ، والطبرانى (٨٠٨) فى الكبير ، والبيهقى (١٩٦/٤) فى السنن الكبرى .

(٧١) سورة البقرة : ٢٧٣ .

(٧٢) البخارى : (١٥٢/٢) ، ومسلم (١٢٩/٧) ، وأبو داود (١٦٣١) ، والنسائى (٨٥/٥) ، وأحمد (٣٨٤/١) .

(٧٣) ضعيف . أخرجه الطبرانى (١٣٢٠٠) مختصرا على الطرف الأول ، فى سنده عاصم بن عبيد الله ، =

الملحف هو المُلح ، يقال : ألحف وأحفى وألح بمعنى ، واشتقاقه من اللحاف سمى بذلك لاشتماله على وجوه الطلب فى المسألة كاشتمال اللحاف من التغطية ، أى أن هذا السائل يعم الناس بسؤاله فيلحفهم ذلك[٧٤] .

وقد جعل سعيد بن المسيب لزوم المسجد إلحافا ، فقال : من لزم المسجد بنفسه واضطرهم إلى مواساته كأنما ألحف فى السؤال . فينبغى أن يعمل ويتكسب .

واختلف العلماء فى معنى قوله تعالى ﴿ لا يسئلون الناس إلحافا ﴾[٧٥] على قولين :

فقال قوم منهم الطبرى والزجاج :

إن المعنى لا يسألون ألبتَّةَ ، وهذا على أنهم متعففون عن المسألة عفة تامة وعلى هذا جمهور المفسرين ، ويكون التعفف صفة ثابتة لهم لا يسألون إلحاحا ، ولا غير إلحاح .

وقال قوم :

إن المراد نفى الإلحاح أى أنهم يسألون غير ملحفين ، وهذا هو السابق للفهم ، وفى هذا تنبيه على سوء حالة من يسأل إلحافا[٧٦] . لأنه يسأل مستكثرًا ، ولذلك يكون مقيتًا بغيضًا لقومه ، حرصه وعماه عن ربه حين

= وهو من الضعفاء ، وأورده السيوطى (١٨٤/١) بنحوه فى الجامع الكبير ، وعزاه لابن صصرى فى أماليه عن أبى هريرة .

(٧٤) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن (ص ١١٥٠) للقرطبى .

(٧٥) سورة البقرة : ٢٧٣ .

(٧٦) هذا الكلام بنصه فى الجامع لأحكام القرآن (١١٥٠ ، ١١٥١) للقرطبى تحت عنوان المسألة الخامسة .

اشتغل بمسألة الناس عن مسألة كريم يحب الملحين فى الدعاء ، وألحف بسؤال لئيم يكلح وجهه[٧٧] ، عند السؤال ، ويبخل بالبذل والنوال ، وأما السؤال غير ملحف عند الحاجة فجائز كما تقدم .

وقد بيّن فى الصحيح قوله عليه السلام :

« رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره »[٧٨] . ففى هذا دليل على جواز المسألة ، والطلب لكن من غير إلحاف ، وقد يكون وجه سؤال الفقير الناس أراده نفع الناس به لينالوا جزيل الثواب ، وكريم المآب ، كما فى عطية الفقراء من الفضل .

وجاء رجل إلى الجنيد ، فقال :

يا شيخ رأيت الثورى يسأل الناس !!

فقال : إنما سأل لهم ، يعنى ليؤجروا[٧٩] .

---

(٧٧) أى يتغير ، ويعبس .

(٧٨) مسلم (١٧٤/١٦) ، (١٨٧/١٧) ، وابن حبان (١٣٩/٨) ، والخطيب (٢٠٣/٣) فى تاريخ بغداد .

(مفردات الحديث) (الأشعث) : الملبد الشعر ، المغبر ، غير مدهون ، ولا مرجل .

(مدفوع بالأبواب) : أى لا قدر له عند الناس ، فهم يدفعونه عن أبوابهم ، ويطردونه عنهم احتقارا له .

(لو أقسم على الله لأبره) : أى لو حلف على وقوع شىء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله ، وصيانته من الحنث فى يمينه ، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى ، وإن كان حقيرًا عند الناس ، وقيل : معنى القسم ، الدعاء وإبراره إجابته . والله أعلم . قاله النووى .

(٧٩) يعنى ليأخذوا ثوابًا من الله على إحسانهم ، وصدقاتهم .

الباب العاشر

فى إنزال الحاجة بالله تعالى

خرّج[٨٠] أبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته أبدًا ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى أو يموت عاجلًا »[٨١] .

كذا فى رواية ابن داسة .

وقال اللؤلؤى : « إما بموت عاجلًا أو غنى عاجلًا » .

وأخرجه ابن أبى الدنيا عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من نزلت به حاجة فأنزلها بالله عز وجل أوشك أن يأتيه الله تعالى بالغنى إما عاجلًا أو آجلًا »[٨٢] .

وقد تقدم من حديث أبى سعيد الخدرى أنه رجع ولم يسأل فرزقه الله عز وجل .

---

(٨٠) سقطت من المخطوطة .

(٨١) **صحيح** . أخرجه أحمد (١/٤٠٧) ، وأبو داود (١٦٤٥) ، والترمذى (٢٤٢٨) وقال : حسن صحيح ، وأبو نعيم (٨/٣١٤) فى الحلية ، والطبرانى (٩٧٨٥) فى الكبير ، والحاكم (١/٤٠٨) وصححه ، وأقره الذهبى .

(٨٢) أخرجه أحمد (١/٤٤٢) بهذا اللفظ ، وانظر (٨١) .

وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ انقطعَ إلى اللهِ كفاهُ اللهُ كلَّ مُؤْنةٍ ، ورزقه من حيثُ لا يحتسبُ ، وَمَنْ انقطعَ إلى الدُّنيا وكله اللهُ إليها »[٨٣] .

وقال معن بن عبد الرحمن : ما نزلت بعبد نازلة فكان مفزعه إلى الله إلا فرج الله عنه .

وأخرج ابن أبي الدنيا قال : حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنا داود بن المحبر قال : حدثنا صالح المرى عن أبي عمران الجونى عن أبي الجلد قال :

كان لنا جارًا ، وكان أثر الفاقة ، والمسألة عليه بينًا ، فقلنا : لو عالجت شيئًا ، أو طلبت شيئًا ، قال : يا أبا الجلد ، وأنت تقول هذا ، من عرف ربه تبارك وتعالى ، ولم يستغن به فلا أغناه الله[٨٤] .

---

(٨٣) **إسناده ضعيف** . أورده ابن كثير (٣٨٠/٤) قال : قال ابن أبي حاتم ثنا على بن الحسن ثنا محمد ابن على بن الحسن بن شقيق ثنا إبراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل ابن عياض عن هشام عن الحسن عن عمران به .

قلت : فى سنده إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل ، قال أبو حاتم الرازى : كنا نظن به الخير ، فقد جاء بمثل هذا ، ثم ذكر حديثًا باطلًا موضوعًا . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : يغرب ، وينفرد ، فيخطئ ويخالف . انظر : الجرح والتعديل (٨٨/٢) ، الميزان (٢٠/١) ، اللسان (٣٦/١) .

وفى سنده هشام بن حسان الأزدى ، ثقة ، ولكن فى روايته عن الحسن مقال ، لأنه قيل كان يرسل عنه ، انظر : التهذيب (٣٤/١١) ، التقريب (٣١٨/٢) .

وأورده صاحب كنز العمال (٦٢٧٣) وعزاه إلى الحكيم الترمذى ، والطبرانى فى الكبير ، ولم أجده فيه ، والخطيب فى تاريخه ، كلهم عن عمران رضى الله عنه .

(٨٤) **إسناده ضعيف جدًا ، إن لم يكن من الموضوعات** . فى سنده داود بن المحبر ، متروك ، واتهمه الدارقطنى وغيره بالوضع . انظر : التاريخ الكبير (٢٤٤/١/٥) ، الصغير (٢٩١/٢) ، والضعفاء الصغير (٤٢) وكلهم للبخارى ، والضعفاء للعقيلى (٤٥٨) ، والجرح والتعديل (٤٢٤/٢/١) ، والمجروحين (٢٨٧/١) ، الميزان (٢٠/٢) ، الضعفاء للدارقطنى (٢٠٨) ، التهذيب (٢٠٠/٣) ، التقريب (٢٣٤/١) وفى سنده صالح المرى ، من الضعفاء ، وكان من العُبَّاد الزهاد ، انظر : التاريخ الكبير (٢٧٣/٢/٢) ، الضعفاء للنسائى (٣٠٠) ، وللعقيلى (٧٢٣) ، الجرح والتعديل (٣٩٥/٤) ، المجروحين (٣٦٧/١) ، الميزان (٢٨٩/٢) ، التهذيب (٣٨٣/٤) ، التقريب (٣٥٨/١) .

حدثنا شجاع بن الأشرس عن ميمون قال : حدثنا عبد الغفور عن همام عن كعب قال : قال لقمان لابنه :

يابني إذا افتقرت ، فارجع إلى ربك وحده فادعه ، وتضرع إليه ، وسله من فضله ، وخزائنه فإنه لا يملكه غيره ، ولا تسل الناس فتهون عليهم ، ولا يردوا إليك شيئاً[٨٥] .

ويروى عن ابن عباس من وجوه أن رسول الله ﷺ أوصاه وكان في وصيته له :

« إذا سألت فاسأل الله تعالى ، وإذا استعنت ، فاستعن بالله تعالى »[٨٦] وسيأتي تمامه إن شاء الله تعالى .

وقال إبراهيم بن أدهم :

سؤال الحاجات من الناس ، هي : الحجاب بينك وبين الله تعالى ، فأنزل حاجتك لمن يملك الضر والنفع ، وليكن مفزعك إلى الله يكفك ما سواه ، وتعش مسرورا .

وفي التنزيل ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾[٨٧]

وقال الفضيل بن عياض :

أحب الناس إلى الناس : من استغنى عن الناس ، ولا يسأل الناس شيئاً ،

---

(٨٥) في سنده عبد الغفور ، فإن كان الواسطي ، فالإسناد ضعيف الضعفاء ، فالسند ضعيف جدا إن لم يكن من الموضوعات .

(٨٦) صحيح . أخرجه الترمذي (٢٦٣٥) ، وأحمد (٢٩٣/١) من طرق عن الليث بن سعد به ، وكذا ابن السني (٤١٩) في (عمل اليوم والليلة) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد (٣٠٣/١ ، ٣٠٧) عن قيس بن الحجاج به قال الشيخ الألباني -حفظه الله- وتابعه يزيد ابن أبي حبيب عن حنش الصنعاني به ، أخرجه الآجري في (الشريعة) (ص/١٩٨) وإسناده صحيح .

(٨٧) سورة النساء : ٣٢ .

وأبغض الناس إلى الناس : من احتاج إلى الناس ، وأحب الناس إلى الله من احتاج إلى الله ، وسأل الله شيئًا ، وأبغض الناس إلى الله من استغنى عن الله ، ولم يسأله شيئا .

وذكر العشرى أن موسى ﷺ قال فى مناجاته : إلهى إنه تعرض لى الحاجة وأستحى أن أسألك ، فأسأل غيرك ؟ فأوحى الله تعالى إليه لا تسل غيرى ، وسلنى حتى ملح عجينك وعلف دابتك ..

ولقد أحسن من قال :

لبوسى ثوبين بالسين
وطىّ يوم وليلتين
أهون من منة لقوم
أغض منها جفون عينى
إنى وإن كنت ذا عيال
قليل مال كثير دين
لأحمد الله حين صارت
حوائجى بينه وبينى[88]

وفى سنن ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يدع الله غضب عليه »[89] .

---

(٨٨) أوردها ابن عبد ربه فى العقد الفريد (١٧١/٢) ونسبها لابن أبى حازم .

(٨٩) **إسناده مختلف فيه** . أخرجه أحمد (٤٤٢/٢) ، والبخارى (٦٥٨) فى الأدب المفرد ، والترمذى (٣٤٣٤) ، وابن ماجه (٣٨٢٧) ، والحاكم (٤٩٨/١) كلهم من رواية أبى صالح الخوزى ، وهو مختلف فيه ، فلقد قال أبو زرعة : لا بأس به ، وضعفه ابن معين ، وقال الحافظ : لين الحديث ، ثم قال فى الفتح : يؤيده حديث ابن مسعود رفعه : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل » أخرجه الترمذى ، وله من حديث ابن عمر رفعه « إن الدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، =

وأخرجه الترمذى ولفظه « من لم يسأل الله غضب عليه »[٩٠] .

وأخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال :

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يُسأل يغضب

وقال عبيد بن الأبرص :

من يسأل الناس يَحْرِمُوهُ ... وسائل الله لا يخيبُ[٩١]

وقال النمر بن تولب :

ومتى تُصِبْكَ خَصَاصةٌ فارجُ الغنىَ ... وإلى الذى يَهَبُ الرغائبَ فارغبِ[٩٢]

ولقد أحسن أبو الفضل أحمد بن المعذّل بن غيلان الفقيه المالكى حيث يقول :

التمس الأرزاق عند الذى ... ما دونه إن سئل من حاجب

من يغض التارك لسؤاله ... فسأله جوادًا ومن يرضى عن الطالب

ومن إذا قال جرى قوله ... بغير توقيـــع إلى كاتب

وقال محمود بن الحسين الوراق :

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ... من كل طالب حاجة أو راغب

غالوا بأبواب الحديد لعزها ... وتنوقوا[٩٣] فى قبح وجه الحاجب

= فعليكم عباد الله بالدعاء » وفى سنده لين ، وقد صححه مع ذلك الحاكم ، وأخرج الطبرانى فى الدعاء بسند رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة بقية ، عن عائشة مرفوعًا : « إن الله يحب الملحين فى الدعاء » . انظر : التهذيب (١٣١/١٢) ، الميزان (٥٣٨/٤) ، التقريب (٤٣٦/٢) ، الفتح (٧٩/١١) .

(٩٠) أخرجه الترمذى (٣٤٣٣) وانظر السابق .

(٩١) الشعر والشعراء (١٤٥) ، عيون الأخبار (١٨٨/٣) ، العقد الفريد (١٧١/٢) ، بهجة المجالس (١٧١/١) .

(٩٢) الشعر والشعراء (٢٦٩) ، طبقات فحول الشعراء (١٣٣) ، مختارات ابن الشجرى (١٦) ، بهجة المجالس (١٧١/١) .

(٩٣) تنوقوا : بالغوا .

فإذا تلطف فى الدخول إليهم عافٍ ، تلقوه بوعد كاذب

فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن يا ذا الضراعة طالبا من طالب[94]

وقال آخر :

إلهى لو بسطت إليك وجهى لجاء الرزق لى من كل وجه

ولكنى رجوت سواك جهلا فعاجلنى الأنام بكل تجه

وكان أبان بن عمار بن عفان رضى الله عنه يتمثل :

مالى تلادٌ[95] ولا استَطْرَفْتُ من نَشَبٍ[96]

وما أؤمل غير الله من أحد

إنى لأكرم وجهى أن أُوَجِّهَهُ عند السُّؤَالِ لغير الواحِدِ الصمدِ

غنى[97] القناعةِ والإيمان يمنعنى من التعرُّضِ للمَنَّانَةِ النَّكِدِ

رضيتُ بالله فى يومى وفى غده والله أكرمُ مأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ[98]

ولإبراهيم بن داود :

لا تضرعن لمخلوقٍ على طمع فإن ذاك مضرٌّ منك بالدين

واسترزق الله مما فى خزائنه فإنما الأمر بين الكاف والنون

وليونس :

إن الوُقوفَ على الأبوابِ حِرْمان والعجزُ أن يرجو الإنسانَ إنسانُ

حتى مـ تأمُل مَخْلُوقًا وتقصده إذ كان عندك بالرحمن إيمانُ

عطاؤه لك إن أعْطاكَهُ ضِيعَةٌ فكيف إن كان بَعْدَ المَطْلِ حِرْمانُ

---

(٩٤) العقد الفريد (١/٥١) ، بهجة المجالس (١/١٧١) .

(٩٥) التلاد : كل مال قديم من حيوان وغيره ، يورث عن الآباء .

(٩٦) النشب : المال والعقار .

(٩٧) وفى رواية : (عز) .

(٩٨) أورده ابن عبد ربه (١/١٦٩) فى بهجة المجالس ، ونسبها لأبان .

ثق بالذى هو يُعْطى ذا ويمنع ذا   فى كلِّ يومٍ له فى خلقه شانُ(*)

ولمحمود الوراق :

يا أيها الطَّالبُ من مِثْلِهِ   رِزْقًا جُزْتَ عَنِ الحِكْمَهْ
لا تطلب الرزق إلى طالب   مِثْلِكَ مُحْتَاجٍ إلى الرحْمَهْ
وارغب إلى الله الذى لم يزل   فى يده النعمة والنقمَـــهْ[99]

والشعر فى هذا الباب كثير .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا قال : حدثنى محمد بن عباد بن موسى العُكْلى قال حدثنا الحسن بن على بن زبان البصرى مولى بنى هاشم قال : حدثنى سفيان ابن عبدة قال : حدثنا الحميدى وعبيد بن يحيى الهجرى قالا : خرج إلى عبد الله بن عامر بن كريز وهو عامل على العراق لعثمان بن عفان رضى الله عنه رجلان من أهل المدينة أحدهماابن جابر بن عبد الله الأنصارى ، والآخر من ثقيف ، فكتب به إلى عبد الله بن عامر فيما يكتب من الأخبار فأقبلا يسيرا حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصارى للثقفى : هل لك فى رأى رأيته ؟ قال : اعرضه . قال : إن رأيت أن ننيخ[100] رواحلنا نتناول مطاهرنا فنتوضأ ثم نصلى ركعتين ونحمد الله على ما قضى من سفرنا .

فقال الثقفى : هذا الذى لا يرد ، فتوضينا وصلينا ركعتين فالتفت الأنصارى إلى الثقفى فقال : يا أخا ثقيف : ما رأيك ؟ قال : وأى موضع رأى هذا قضيت سفرى وأنضيت[101] بدنى وأنضيت راحلتى ولا مؤمل دون ابن

(*) الأبيات فى المصدر السابق (١٧١/١) ونسبها ليونس .
(٩٩) بهجة المجالس (١٧٠/١) ونسبها إلى محمود الوراق .
(١٠٠) نوخ : أنخت البعير فاستناخ ونوخته فتنوخ ، وأناخ الإبل : أبركها فبركت ، واستناخت : بركت .
(١٠١) النضو : الثوبُ الخَلَقُ ، وأنضيت البدن ، أو الثوب : أى أبليته من شدة التعب والجهد .

عامر فهل لك رأى غير هذا ، قال : نعم ، قال : إنى لما صليت هاتين الركعتين فكرت واستحييت من ربى تبارك وتعالى أن يرانى طالبًا رزقًا من غيره ، اللهم يا رازق ابن عامر ارزقنى من فضلك ، ثم ولى راجعًا إلى المدينة ، ودخل الثقفى البصرة فمكث أيامًا فأذن له ابن عامر ، فلما رآه ابن عامر رحب به ثم قال له : ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك فخبره خبره ، فبكى ابن عامر ثم قال : أما والله ما قالها أشرًا ولا بطرًا ولكن رأى مجرى الرزق ، ومخرج النعمة ، فعلم أن الله تبارك وتعالى الذى فعل ذلك فسأله من فضله ، فأمر للثقفى بأربعة آلاف وكسوة وطرف ، وأضعف ذلك كله للأنصارى فخرج الثقفى وهو يقول :

أمامة ما حرص الحريص بزائد فتيلًا ولا زهد الضعيف بضائر
خرجنا جميعًا من مساقط رؤوسنا على ثقة منا بخير ابن عامر
فلما أنخنا الناجعات ببابه تأخر عنى اليثربى ابن جابر
قال : ستكفينى عطية قادر على ما شاء اليوم للخلق قاهر
وإن الذى أعطى العراق ابن عامر لربى الذى أرجو لسد معاقرى
فلما رآنى سأل عنه صبابة إليه كما حنت ضراب الأباعر
فأضعف عبد الله إذ غاب حظه على حظ لهفان من الحرص فاغر
فأبيت وقد أيقنت أن ليس نافعى ولا ضائر شىء خلاف المقادر[١٠٢]

قال : وحدثنى إبراهيم بن الحسن قال : قال لى رجل من أصحابنا : ضاعت نفقتى مرة وأنا فى بعض الثغور فأصابتنى حاجة شديدة فإنى فى بعض أيامى تلك أفكر فى جهد ما أنا فيه إذ خرج رجل من المتعبدين من أحسن من رأيت وجهًا وهو يقول :

تبـــــارك الله سبحانـــــه من جهل الله فذاك الفقير
من ذا الذى تلزمه فاقة وذخره الله العلى الكبير

قال : فكأنما ملئت غنى ، وذهب ما كنت أجده والحمد لله .

---

(١٠٢) فى إسناده من لم أجده .

الباب الحادى عشر

فى ذم السؤال ورده بالكتاب

وما روى من الشعر فى ذلك

ابن أبى الدنيا قال : حدثنا أبو خيثمة قال : حدثنا روح بن عُبادة قال : حدثنا بسطام بن مسلم قال : سمعت خليفة بن عبد الله الغبرى يقول : سمعت ابن عمرو المزنى يقول :

بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا أعرابى قد ألح عليه فى المسألة يقول : يا رسول الله أطعمنى ، فقام رسول الله ﷺ فدخل المنزل فأخذ بعضادتى الحجرة وأقبل علينا بوجهه وقال : « والذى نفسُ محمد بيده لو تعلمون من المسألة ما أعلمُ ما سأل رجلٌ رجلًا وهو يجد ليلةً تُبيِّته ، ثم أمر له بطعام »[١٠٣] .

قال : وحدثت عن محمد بن عثمان بن أبى صفوان الثقفى حدثنا أمية بن خالد عن بسطام بن مسلم عن عبد الله بن خليفة عن عائذ بن عمرو قال :

---

(١٠٣) **إسناده ضعيف** . أخرجه النسائى (٥ / ٩٤ ، ٩٥) فى السنن الصغرى ، وأخرجه أحمد (٥/٦٥) ، وأورده صاحب كنز العمال (١٦٧٩٠) وعزاه للروياني ، وأبى عوانة والضياء فى المختارة كلهم عن عائذ بن عمرو رضى الله عنه .

فى سنده خليفة الغبرى ، هو ابن عبد الله ، وقال بعضهم : عبد الله بن خليفة ، من المجهولين ، ما روى عنه سوى بسطام بن مسلم ، وتعقب ابن القطان على ابن أبى حاتم فى قوله بأن شعبة روى عنه ، وقال ابن حجر : وهم من زعم أن شعبة روى عنه . انظر : الجرح والتعديل (٣/٣٧٧) ، التهذيب (٥/١٩٨) ، التقريب (١/٤١٢) .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ :

« لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي المَسْأَلةِ مَا مَشَى أَحَدٌ إلى أَحَدٍ يَسْأَلُهُ شَيْئًا »(١٠٤) .

حدثني أبو الخطاب البصري حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثني بعض أصحابنا يكنى أبا بكر قال : قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال لصاحبه :

إذا كانت لك إلى حاجة فلا تكلمني فيها ، ولكن اكتبها في رقعة وارفعها إلى فإني أرى في وجهك ذل المسألة .

قال بكر بن عبد الله : قال الشاعر :

يا أيها المتعَبُ بِذُلِّ الجِمَالْ(١٠٥) وطَالِبِ الحاجاتِ مِنْ ذِي النَّوالْ
لا تحسبنّ المَوْتَ مَوْتَ البِلَى فَإنَّمَا المَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ
كِلَاهُمَا موتٌ ولكن ذَا أَشَدُّ من ذاك لِذُلِّ السُّؤالْ(١٠٦)

حدثني هاشم بن القاسم حدثنا عتبة بن السكن الفزاري حدثنا الأبيض بن الأغر بن الصباح عن الأعمش قال لي إبراهيم : اقعد حتى أحدثك وما كتب إلى به خيثمة بن عبد الرحمن :

يا أبا عمران إذا كانت لك حاجة فارفع إلى ، ولا تسألني فإني أكره أن أجد في وجهك ذل المسألة(١٠٧) .

---

(١٠٤) **إسناده ضعيف** . انظر السابق .

(١٠٥) وفي رواية : (السؤال) .

(١٠٦) أخرجه أبو نعيم (٢/٢١٠) في الحلية قال : ثنا محمد بن الفتح الحنبلي ثنا أبو بكر الأزرق ثنا الحسن بن عرفة بنحوه وأخرجه ابن حبان (ص/١٤٦) في روضة العقلاء ، قال : أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد التغلبي ثنا حاجب العطاردي قال سمعت أبي قال . فذكره بنحوه ، ثم ذكر الأبيات السابقة ، وعنده رواية (بذل السؤال) في البيت الأول . وأورد الخبر بدون الأبيات ابن عبد ربه (١/١٦٨) في بهجة المجالس ، ثم أورد الأبيات بدون الخبر (١/١٧٥) ونسبها لمحمود الوراق .

(١٠٧) **إسناده ضعيف جدًا** . في سنده عتبة بن السكن ، قال الدارقطني : متروك الحديث ، وقال =

حدثنا الحسن بن عثمان البصرى أخبرنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير قال : قال سعيد بن العاصى لابنه :

يابنى ، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه فى وجهه ومخاطرًا لا يدرى أتعطيه أم تمنعه ، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته[١٠٨] :

لَعَسَنَ اللهُ نَائِلًا تَرْتَجِيهِ ... مِنْ يَدَىْ مَنْ تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ

أَىُّ فَضْلٍ لِصاحِبِ الفَضْلِ مِنْ بَعْدِ ... تَقَاضِيهِ وَابْتِذَالِ الوُجُوهِ

إنما الفَضْلُ والسَّماحُ لِمَنْ يُعْطيكَ ... عَفْوًا وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ

أيها الدَّائِبُ الحَرِيصُ المُعَنَّى ... لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ

فَسَلِ اللهَ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّاسَ ... وَأَسْخِطْهُمُ بِمَا يُرْضِيهِ

لَنْ تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللهُ ... وَلَا مانعًا لِمَا يُعطِيهِ[١٠٩]

قال : ابن أبى الدنيا : وحدثنى العباس بن هشام بن محمد عن أبيه عن رجل من فزارة قال : قال لى أسماء بن خارجة :

ما بذل إلىَّ رجل قط وجهه فرأيت شيئا من الدنيا ، وإن عظم وجسم عوضا لبذل وجهه إلىَّ[١١٠] .

= البيهقى : واهٍ منسوب إلى الوضع ، ولم يذكر فيه ابن أبى حاتم جرحًا ، ولا تعديلًا . انظر : الجرح والتعديل (٣٧١/٦) ، والميزان (٢٨/٢) ، واللسان (١٢٨/٤) .

وفى سنده أبيض بن الأغر ، قال البخارى : يكتب حديثه ، وقال الدار قطنى : ليس بقوى ، وقال الأزدى : مجهول ضعيف . انظر : الميزان (٧٨/١) ، اللسان (١٢٩/١) .

(١٠٨) فى سنده شعيب بن صفوان ، أبو يحيى الكاتب ، مقبول ، التقريب (٣٥٢/١) .

(١٠٩) أوردها ابن عبد البر(١٧٣/١) فى بهجة المجالس ، ولم ينسبها لأحد .

(١١٠) **إسناده ضعيف** . فى سنده هشام بن محمد ، الكلبى ، أبو المنذر الأخبارى ، النسابة ، قال ابن حنبل : كان صاحب سمر ونسب ، ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه ، وقال الدارقطنى : متروك . انظر : الجرح والتعديل (٦٩/٩) ، الميزان (٣٠٤/٤) . وفى سنده جهالة أحد الرواة .

حدثنا سفيان بن عيينة قال : سأل رجل محمد بن سوقة حاجة فقال : فهلا كتبتها إليَّ في كتاب ، ولم تبذل وجهك فيها[111] .

وأنشدني أبو حذيفة :

ومنظـــر سؤالك بالعطايـــا ... وأفضل من عطاياه السؤال
إذا لم يأتك المعروف عفوًا ... فدعه فالتنزه عنه مال
وكيف يلذ ذو أرب نوالا ... ومنه لوجهه فيه ابتذال
إذا كان السؤال يذل وجه ... وإلحاح فلا كان النوال[112]

وقال أبو العتاهية فأحسن

أتدرى أيَّ ذُلٍّ في السُّؤَال ... وفي بَذْلِ الوُجُوهِ إلى الرِّجَالِ
يَعِزُّ عَلَى التَّنَزُّه مَنْ رَعَاهُ ... ويستغنى العَفِيفُ بغيرِ مالِ
تعالى الله يا سلم بن عمرو ... أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق إليك عفوًا ... أليس مصير ذلك إلى الزوال
إذا كان النوال ببذل وجهى ... فلا قربت من ذاك النوال
مَعَاذَ اللهِ مِنْ خُلُقٍ دَنِيٍّ ... يكون الفَضْلُ فيه على لآلِى
ما اعْتَاضَ باذِلُ وَجْهِهِ بِسُؤَالِهِ ... عِوَضًا وَلَوْ كان الغِنَى بِسُؤَالِ
وإذا السُّؤَالُ مع النَوالِ وزنْتَه ... رَجَحَ السُّؤَالُ وخفَّ كلُّ نوال[113]

وقال بعض المتأخرين فأحسن :

إذَا ما كُنْتَ في بَلَدٍ غَرِيبًا ... وَخِفْتَ بأن تكون[114] بغير مال

---

(١١١) حدث سقط في إسناده بالمخطوطة ، وإلا فهو تابع للإسناد السابق عليه .

(١١٢) النوال : العطاء .

(١١٣) ديوان أبي العتاهية (ص ٢٠١) ، (ص ٢٢٦) ، وأورد البيتين الأخيرين ابن حبان (ص ١٤٦) في روضة العقلاء ، وقال : أنشدني محمد بن عبد الله المؤدب ، وكذا أسامة بن منقذ في لباب الآداب (ص ٣٠٧) ، وابن عبد ربه (١/١٥٥ ، ١٦٩) في بهجة المجالس ، وقد أورد الأبيات جميعًا .

(١١٤) وفي رواية : (وخفت من أن تبوء بغير مال) .

فلا تَبْسُطْ يَدَيْكَ وَكُلْ قَلِيلًا فقد يكفي القليل من الحلال[115]
وَذُبَّ عَنِ الدَّرَاهِمِ كُلَّ حِينٍ وحصلها[116] وقلل في العيال
وقُلْ في كل شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ لعمرك[117] إن هذا الشيء غال
فَتَرْكُ المالِ للأعداءِ خيرٌ لِرَبِّ المالِ من ذُلِّ السُّؤَالِ[118]

وقال : ابن أبي الدنيا : وأنشدني عمرو بن عبد الله رحمه الله :

نقل الصخر من تلك الجبال أخف على من منن الرجال
يقول الناس كسب فيه عارًا فقلت العار في ذل السؤال
بلوت الناس قرنًا بعد قرن فلم أر غير ختال وقال
وذقت مرارة الأشياء طرًّا فما شيء أمر من السؤال
ولم أر في الخطوب أشد وقعًا وأصعب من ملاقاة الرجال
ليس يَعْتَاضُ بَاذِلُ الوجهِ في الحاجَةِ من بَذْلِ وجهه عِوضًا
فكيف يَعْتَاضُ من أتاكَ وَقَدْ صَيَّرَ للذل وجهه غَرضًا

ولأبي العتاهية :

إِذَا ما المَرْءُ صِرْتَ إلى سُؤَالِهْ فَمَا تُعْطِيهِ أَكْثَرُ من نَوَالِهْ
وَمَنْ عَرِفَ المَحَامِدَ جَدَّ فيهَا وَحَنَّ إلى المَكارِمِ باحْتِيَالِهْ
وَلَمْ يَسْتَغْلِ مَحْمَدَةً بِمالٍ وَلَوْ كانَتْ تُحِيطُ بِكُلِّ مَالِهْ
عِيَالُ اللهِ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَبَثُّهُم المَكارِمَ فِي عِيَالِهْ[119]

وخرج أبو العتاهية فوجد رجلًا من بني هاشم يطلب إلى رجل حاجة وهو يرد عليه غير ما يحب .

---

(115) وفي رواية : (يفوتك كل يوم في اعتدال) .

(116) وفي رواية : (وكثرها) .

(117) وفي رواية : (من الأشياء) .

(118) أورد الأبيات ابن عبد ربه (1/219) في بهجة المجالس ، ولم ينسبها لأحد ، وفيها الفروق السالفة الذكر .

(119) ديوان أبي العتاهية (ص 230) .

فأخذ أبو العتاهية بيد الهاشمي ثم أنشأ يقول :

استبق وجهك لا تخلقه بالطلب ... فما يزيدك رزقًا شدة الطلب
هون عليك فقد نال الغنى رجل ... فى فطرة الكلب لا بالدين والحسب

ولقد أحسن بعض الأعراب حيث يقول :

عَلَامَ سؤالُ النَّاسِ والرِّزْقُ واسِعٌ ... وَأَنْتَ صَحِيحٌ لم تَخُنْكَ الأصابعُ
وللعيشِ أوكارٌ[120] وفى الأرضِ مَذْهَبٌ ... عَرِيضٌ وَبَابُ الرزقِ فى الأرضِ وَاسِعُ
فكن طالبًا للرزقِ من رازقِ الغِنَى ... وَخَلِّ سُؤَالَ النَّاسِ فاللهُ صانِعُ[121]

ابن أبى الدنيا أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن :

أبالى أن أقيم يدًا تخسف ... على أملى بما وجـــــدت
وإذا أناخ الحى بكلكله[122] رمانى ... على ولج ويسر بى دهر صبرت
وقدمنى على نظـــرائى أنى ... إذا أدلهم يأســت
وجمعنـــــى وسؤال الحال ... فأكثر ما أقول بك استعنت
ويسألنى صديقى كيف حالى ... فأوهمه الغنى وقـد جهـدت
ولولا أن ذكر الموت يسلى ... عن الدنيا ولذتها ما أسفت
وأعظم من نزول الموت أنى ... أدان بما كسبت وما اكتسبت

---

(١٢٠) فى رواية : (وفى العيش أوطار) .
(١٢١) أوردها ابن عبد ربه(١٦٦/١) فى بهجة المجالس ، ونسبها لأعرابى .
(١٢٢) الكلكل : الصدر .

الباب الثانى عشر

فى إباحة الأخذ لمن أعطى مالًا من غير إشراف ولا سؤال

خرّج مسلم عن ابن عمران :

أن رسول الله ﷺ كان يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء فيقول له عمر : أعطه أفقر إليه منى .

فقال له رسول الله ﷺ :

« خُذْهُ فَتَموَّلْهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ وَأَنْتَ غَيْرَ مُشْرِفٍ ، وَلَا سَائِلٍ ، خُذْهُ وَمَا لا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ »(١٢٣) .

قال سالم : فمن أجل ذلك كان عمر لا يسأل أحدًا شيئًا ، ولا يرد شيئًا أعطيه .

وفى الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بغطاء فرده فقال له رسول الله ﷺ لم رَدَدْتَهُ ؟ فقال : يا رسول الله أليس أخبرتنا أن خيرًا لأحدنا أن لا يأخذ شيئًا ؟

فقال له رسول الله ﷺ :

« إِنَّمَا ذَلِكَ عَنِ المسْأَلةِ ، فَأَمَّا مَا جَاءَكَ عَنْ غَيْرِ مسألةٍ ، فإنما هو رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللهُ »(١٢٤)

---

(١٢٣) البخارى (٩/٨٥) ، ومسلم (٧/١٣٤-١٣٦) ، والنسائى (٥/١٠٣) ، وأحمد (١/١٧ ، ٢١) ، (٢/٩٩) ، (٥/١٩٥) ، (٦/٤٥٢) .

[فائدة] : هذا الحديث فيه منقبة لعمر -رضى الله عنه- وبيان فضله ، وزهده ، وإيثاره ، والمشرف إلى الشىء هو المتطلع إليه ، الحريص عليه ، وما لا فلا تتبعه نفسك ، معناه : ما لم يوجد فيه هذا الشرط لا تعلق النفس به . أفاده النووى .

(١٢٤) إسناده مرسل . وهو من أقسام الضعيف . أخرجه مالك « ٢/١٥٩ » وقال ابن عبد البر : =

فقال عمر بن الخطاب :

والذى نفسي بيده لا أسأل أحدًا شيئًا ، ولا يأتيني شيء من غير مسألةٍ إلا أخذته .

قلت : هذا حديث مرسل وهو أشد من معنى الحديث الأول . ومن حديث عبد الله بن السعدى المالكى عن عمر رضى الله عنه :

أن النبى ﷺ قال له :

« إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ »[١٢٥] . أخرجه مسلم .

وقد أسنده ابن أبى الدنيا عن زيد بن أسلم ، فقال : حدثنا سفيان بن محمد حدثنا سعيد بن حريث حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه :

أن النبى ﷺ بعث إليه بشيء فرده فقال له النبى : « لما رددته » ، قال : لما حدثتنى به .

قال : « إنما ذاك عن المسألة ، وهذا عن غير المسألة » ، وقال : « إذا آتاك شيء عن غير مسألة ، فإنما هو رزق رزقكه الله »[١٢٦] .

= يتصل من وجوه عن عمر منها ما أخرجه قاسم بن أصبغ من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عنه .

(١٢٥) مسلم (١٢٧/٧) ، وأبو داود (١٦٤٧) ، والنسائى (١٠٣/٥) ، وأحمد (٥٢/١) ، والبيهقى (١٥/٧) فى السنن الكبرى .

(١٢٦) **إسناده ضعيف** . فى سنده سفيان بن محمد المصيصى ، ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : ليس من الثقات ، وله أحاديث لا يتابعه عليها الثقات ، وفيها موضوعات ، وقال الدارقطنى : كان ضعيفًا ، سيئ الحال فى الحديث .

انظر : الجرح والتعديل (٢٣١/٤) ، تاريخ بغداد (١٨٥/٩) ، الميزان (١٧٢/٢) .

وأورده صاحب كنز العمال (١٦٥٥٨) وعزاه للبيهقى فى شعب الإيمان ، وبرقم (١٧١٥٠) وعزاه لابن أبى شيبة ، وأبى يعلى ، وابن عبد البر ، والضياء المقدسى فى المختارة .

فقال عمر : لا يجيئنى شيء من غير مسألة فأرده ولا أسأل أحدا شيئا .

وأخرج أبو عمر بن عبد البر عن خالد بن عدى الجهنى قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ جَاءَهُ مِنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُو رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ »(١٢٧) .

صححه أبو محمد عبد الحق .

فصل

ليس هذا الباب على ظاهره وإطلاقه كما ظنه بعض الفقراء الجهال الذين يهجمون على ما عن لهم من الأموال ، فإن الشيء إذا كان حرامًا لا يجوز قبوله ، ويجب رده ، وذلك بأن يكون من سلطان ظالم متحقق ظلمه ، أو محترف حرفة محرمة ، كالطبال والزمار والخمار ، والمكاس(١٢٨) ، والعشار(١٢٩) ، والمغنيين ، والنوائح ، إلى غير ذلك لأنه حرام محض بالإجماع .

قال أبو عمر بن عبد البر :

ومن المكاسب المجمع على تحريمها الربا ، ومهور البغى ، والسحت والرشا ، وأخذ الأجرة على النياحة ، وعلى الغناء ، وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار

---

(١٢٧) صحيح . أخرجه أحمد (٤/٢٢٠-٢٢١) ، والطبرانى (٤١٢٤) فى الكبير ، وقال الهيثمى (٣/١٠٠) فى مجمع الزوائد : ورجال أحمد رجال الصحيح ، وقال الحافظ ابن حجر (٢/٢٤٤) فى الإصابة : روى حديثه -يعنى خالد بن عدى- أحمد ، وابن أبى شيبة ، والحارث ، وأبو يعلى ، والطبرانى . إسناده صحيح السياق لأبى يعلى .

(١٢٨) مَكْس : الجباية ، وهى الضريبة التى يأخذها الماكس .

(١٢٩) عشر : قابض العُشر .

السماء ، وعلى الزمر ، واللعب ، والباطل كله ، ومن الكسب الحرام المجمع عليها أيضًا الغصب ، والسرقة ، وكل ما لا تطيب به نفس مالكيه من مال مسلم أو ذمى ، وهو ما تتشاح الناس فيه .

قال غيره : وإن دخله شيء من الحلال فإنما هو نادر ، والنادر لا حكم فيه ، ولأنه لا يتميز لأن الغالب على أموال هؤلاء الحرام ، وفى قبوله من الظالم عون له على الظلم ، ولأنه لا يأمن أن يحبه قلبه فيعصى الله تعالى بمحبته إياه على ظلمه ، ولهذا قال عليه السلام :

« جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها »[١٣٠] ولأن فى قبوله من الظالم ، والفاسق تقليد منهم .

وقد قال عليه السلام :

« اللهم لا تجعل لفاجر عندى منة فيحبه قلبى »[١٣١] .

ولأنه إذا قبل من الظالم أو الفاسق شيء دعاه قبوله إلى الدعاء لهم .

---

(١٣٠) موضوع . أخرجه أبو نعيم (١٢١/٤) فى الحلية ، وابن حبان (ص ٢٤٣) فى روضة العقلاء ، فى سنده إسماعيل بن أبان ، الغنوى ، الكوفى ، قال أحمد : روى أحاديث موضوعة عن فطر وغيره فتركناه ، وكذبه ابن معين ، وقال ابن حبان : كان يضع الأحاديث على الثقات ، وقال مسلم والنسائى : متروك الحديث . انظر : التاريخ الكبير (٣٤٧/١) ، والصغير (٣٣٧/٢) ، والضعفاء الصغير (١٦) وكلها للبخارى ، والضعفاء للنسائى (٣١) ، وللعقيلى (٨٢) ، والجرح والتعديل (١٦٠/١) ، والمجروحين (١٢٨/١) ، والضعفاء للدارقطنى (٧٥) والميزان (٢١١/١) ، التهذيب (٢٧٠/١) ، والتقريب (٦٥/١) .

(١٣١) ضعيف . أخرجه ابن مردويه فى التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ، ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ ، وأبو موسى المدينى فى كتاب (تضييع العمر والأيام) من طريق أهل البيت مرسلًا ، وأسانيده كلها ضعيفة . قاله الحافظ العراقى فى تعليقه على الإحياء (١٤٧/٢) . وأورده ابن كثير (٣٣٠/٤) وقال : قال نعيم بن حماد ثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن مرفوعًا ، وإسناده مرسل ، والمرسل من أقسام الضعيف .

قال سفيان الثورى رضى الله عنه :

من أخذ من ظالم كراعًا[132] ، أو مالًا ، أو سلاحًا فغزا به فى سبيل الله لعن كل يوم يرفعه ، ويضعه حتى يرجع[133] .

قلت : ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى وإنما هو توقيف .

وقال أيضا :

من دعا لظالم بطول البقاء ، فقد أحب أن يعصى الله عز وجل[134] .

قالوا : ومن حكم الفقير أن لا يقبل إلا ممن يعلم من حاله الكرم ، ولا يكون منانًا ، فإن أخذ ذلك أعظم .

وأنشدوا :

إذا تكرمت لا تمنن به أبدًا لا خير فى كرم من عند منان

وقد حكى أن رجلًا من العقلاء أتى الجنيد رحمه الله بمائة دينار ، فقال له : أنفقها على نفسك ، فقال : إن فى بعض الكفاية فقال له : يا شيخ ما أعطيتكها تنفقها على الخيل ، والبغل إنما أردت لتأكل بها الحلوى وطيبات الأطعمة ، وإنى لأرجو أن يكون أخذها أفضل من ردها لما توصل إلى قلبى من الراحة . وتقلدنى بذلك المنة ، فقبلها الجنيد رحمه الله وقال : من مثلك يؤخذ .

قلت : فهذا حكم الفقراء فى أخذ النوال ، وقد انعكس الحال فى هذه الأزمان فتراهم ومن يظن بهم العلم يلحفون[135] ، وإلى الظلمة والفساق يترددون ، وعندهم يأكلون ، ومنهم يقبلون ، ساء ما يحكمون ، وبئس ما يتناولون ، يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، وهم الآخرون زين لهم أعمالهم فهم يعمهون .

وسنذكرُ ما للعلماء فى هذا الباب فى مسألة هى تتمة الكتاب إن شاء الله .

---

(132) الكراع : اسم يجمع الخيل ، وقيل : هو اسم يجمع الخيل والسلاح .

(133) أخرجه أبو نعيم (13/7) فى حلية الأولياء .

(134) أخرجه أبو نعيم (46/7) فى حلية الأولياء .

(135) الإلحاف : شدة الإلحاح فى المسألة .

الباب الثالث عشر

فى التعريض بالسؤال عند الحاجة من آداب الطلب وهو حال الأنبياء ومن تبعهم من الفضلاء والأولياء

قال الله تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾(١٣٦) فعرض ولم يسأل ، وكذلك موسى لما تولى إلى الظل قال :

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾(١٣٧) وكان جائعًا فعرض وكان نبينا ﷺ يرفع بصره إلى السماء متعرضا للدعاء فقيل له ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾(١٣٨) .

وفى الحسان عن النبى ﷺ عن الله تعالى :

« مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ »(١٣٩) .

---

(١٣٦) سورة الأنبياء : ٨٣ .

(١٣٧) سورة القصص : ٢٤ .

(١٣٨) سورة البقرة : ١٤٤ .

(١٣٩) ضعيف جدًا . أخرجه البخارى (ص/٩٣) فى كتاب « خلق أفعال العباد » . فى سنده ضرار ابن صرد ، قال البخارى وغيره : متروك ، وكذبه ابن معين . الميزان (٢/٣٢٧) وفى سنده صفوان بن أبى الصهباء ، ضعفه ابن حبان ، وقال : يروى ما لا أصل له ، لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به . الميزان (٢/٣١٦) .

وأورده صاحب كنز العمال (١٨٧٤) وعزاه لابن شاهين فى الترغيب فى الذكر ، وأبى نعيم فى المعرفة ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر ، وعبد الرزاق عن جابر .

وأخرجه أبو نعيم (٧/٣١٣) بلفظ : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته قبل أن يسألنى » وفى سنده عبد الرحمن بن واقد ، صدوق يغلط ، وباقى رجاله ثقات ، ولذا قال الشيخ الألبانى : إسناده حسن عندى ، لولا ما يخشى من سرقة عبد الرحمن بن واقد ، السلسلة الضعيفة (٣/٥٠٩) .

وأخرجه ابن أبى شيبة عن عمرو بن مرة مرسلًا بلفظ : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته فوق ما أعطى السائلين » والمرسل من أقسام الضعيف .

وقد فسر هذا الكلام النبي ﷺ في حديث آخر أخرجه أبو عيسى الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال :

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ » قال : « وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ »[١٤٠] .

قال هذا حسن غريب .

وأخرجه أيضا أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال :

« يقول الله عز وجل : من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين »[١٤١] .

وذكر الحديث قال أبو حفص : فهذا تفسير رسول الله ﷺ إنه من فسر القرآن واشتغل به عن الدعاء أعطاه الله أفضل من سؤال سأله أحد من خلقه .

قلت : ومن هذا المعنى قول القائل :

أَأَطْلُبُ[١٤٢] حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ

---

(١٤٠) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٣٠٩٤) ، والدارمي (٢/٤٤١) ، والعقيلي (٣٧٥) في الضعفاء ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٢٣٨) .

في سنده محمد بن الحسن الهمداني ، من الضعفاء ، وقال النسائي : متروك الحديث . انظر : التاريخ الكبير (١/١/٦٦) ، والضعفاء للنسائي (٥٣٧) ، والعقيلي (١٦٠٠) ، الجرح والتعديل (٣/٢/٢٢٥) ، المجروحين (٢/٢٧٦) ، الميزان (٣/٥١٤) ، التهذيب (٩/١٢٠) ، التقريب (٢/١٥٤) .

وفي سنده عطية العوفي ، من الضعفاء . انظر : التاريخ الكبير (٧/٨) ، الضعفاء للنسائي (٤٨١) ، والعقيلي (١٣٩٢) ، الجرح والتعديل (٦/٣٨٢) ، المجروحين (٢/١٧٦) ، الميزان (٣/٧٩) ، التهذيب (٧/٢٢٤) ، التقريب (٢/٢٤) .

(١٤١) انظر رقم (١٣٩) .

(١٤٢) وفي رواية : (أأذكر) .

إذَا أثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
وَعَلَيْكَ بالحقوق وأنت فرعٌ[١٤٣] لك الحسبُ المهذب والسناءُ
كريمٌ لا يُغيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الخُلقِ الكريم[١٤٤] ولا مساءُ[١٤٥]

فى أبيات قالها أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جدعان فأعطاه وأرضاه ، هذا كرم مخلوق فكيف بأكرم الأكرمين المتفضل على جميع خلقه من غير سؤال .

وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال :

(والله الذى لا إله إلا هو إنى كنت لأعهد بكبدى على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يومًا على طريقهم التى يخرجون منها فمر أبو بكر الصديق رضى الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعنى فلم يفعل فمر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعنى فلم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف ما فى وجهى ثم قال :

« يا أبا هريرة » ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « الحق » ومضى فاتبعه)[١٤٦] ، وذكر الحديث .

---

(١٤٣) وفى رواية : (وعلمك بالأمور وأنت قرم) .
(١٤٤) وفى رواية : (عن الفعل الجميل) .
(١٤٥) ديوان أمية (ص ٦) ، والحماسة لأبى تمام (٣٤٦/٢) ، ولباب الآداب (ص ٢٨٥) ، بهجة المجالس (٣٢٢/١) .
(١٤٦) البخارى (١١٩/٩) .

الباب الرابع عشر

هل يسأل الرجل لغيره أو يعرض

وما جاء فى ذلك من الفضل والثواب وفى السؤال فى المسجد

خرّج مسلم عن جرير قال :

كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار ، قال : فجاء قوم حفاة عراة مجتابى النمار والعباء[147] متقلدين السيوف عامتهم من مضر ، فتمعر وجه[148] رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالًا فأذن وأقام الصلاة فصلى وخطب ثم قال :

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[149] والآية التى فى الحشر ﴿ اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[150] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ ، مِنْ ثَوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّه ، حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِ تَمْرَةٍ ، قال : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ

---

(١٤٧) النمار : جمع نمرة ، وهى ثياب صوف فيها تنمير ، والعباء جمع عباءة ، وعباية ، وقوله مجتابى النمار أى خرقوها وقوروا وسطها .

(١٤٨) تمعر : أى تغير .

(١٤٩) سورة النساء : ١ .

(١٥٠) سورة الحشر : ١٨ .

مُذْهَبَةٌ[١٥١] ، فقال رسول الله ﷺ :

« مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ[١٥٢] » .

فصل

ذكر أبو بكر الأثرم قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يُسئل هل يسأل الرجل لغيره ؟

قال : لا ، ولكن يعرض كما قال النبي ﷺ حين جاء قوم حفاة عراة « تصدقوا » ولم يقل أعطوهم .

قيل له : فالرجل يذكر الرجل فيقول إنه محتاج ؟ .

فقال : هذا تعريض ليس به بأس ، إنما المسألة أن يقول أعطه ثم قال : لا يعجبني أن يسأل الرجل لنفسه فكيف لغيره ، والتعريض ها هنا أعجب لي .

قلت : وفي قول الفراسي : أسأل يا رسول الله ؟ قال : « لَا ، وَإِنَّ كُنتَ لَابُدَّ سائلًا ، فاسأل الصالحينَ »[١٥٣] .

---

(١٥١) في تفسير قوله مذهبة أكثر من معنى ، منها : فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه ، ومنها : شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود ، وجمعها مذاهب ، وهو شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوطًا مذهبة يرى بعضها إثر بعض ، وأما سبب سروره ﷺ ففرحًا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى ، وبذل أموالهم لله ، وامتثال أمر رسول الله ﷺ ، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين ، وشفقة المسلمين بعضهم على بعض ، وتعاونهم على البر والتقوى ، وينبغي للإنسان إذا رأى شيئًا من هذا القبيل أن يفرح ، ويظهر سروره ، ويكون فرحه لما ذكرناه . أفاده الإمام النووي رحمه الله .

(١٥٢) أخرجه مسلم (١٠٢/٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤) ، والنسائي (٧٥/٥) .

(١٥٣) **ضعيف** . أخرجه أبو داود (١٦٤٦) ، والنسائي (٩٥/٥) ، والتبريزي في المشكاة (١٨٥٣) .

دليل على جواز السؤال صريحًا لنفسه ، وكذلك إذا دعت الحاجة لغيره دون تعريض ... والله أعلم .

وقد قال عليه السلام :

« اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لسانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ »[(١٥٤)] أخرجه مسلم وفيه إطلاق السؤال لغيره ، وقال : « أَلَا رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا »[(١٥٥)] ،

وقال تعالى : ﴿ مَّنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾[(١٥٦)] وقال أبو قلابة : من سعى فى حاجة أخ له مسلم ، قضيت حاجته أو لم تقض ، كتب الله له عبادة ألف سنة قيامها وصيامها[(١٥٧)] .

قلت : وفى قوله : ﴿ من يشفع ﴾ ولم يقل من يُشفع دليل على أنه بمجرد الشفاعة يحصل الأجر ، كما قال عليه السلام :

« اشفعوا تؤجروا »[(١٥٨)] وإذا لم يُشفع .

= فى سنده مسلم بن مخشى تفرد بهذا الحديث ، قال الحافظ : مقبول ، يعنى يتابع وإلا فلين الحديث ، ولم نجد له أى متابع . التقريب (٢٤٦/٢) وفى سنده ابن الفراسى ، لا يعرف اسمه تفرد بالرواية عن أبيه . التهذيب (٣٠٧/١٢) ، التقريب (٥٢١/٢) .

(١٥٤) البخارى (١٤٠/٢) ، (١٤/٨) ، (١٧١/٩) ، ومسلم (١٧٧/١٦) واللفظ له ، وأبو داود (٥١٣١) ، والترمذى (٢٨١٢) ، والنسائى (٧٨/٥) وأحمد (٤٠٠/٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٣) ، والبغوى (٤٧/١٣) فى شرح السنة ، والبيهقى (١٦٧/٨) فى السنن الكبرى ، والبغدادى (٥/٢) فى تاريخه ، والتبريزى (٤٩٥٦) فى المشكاة .

(١٥٥) صحيح . أخرجه أحمد (٦٤/٣ ، ٨٥) ، (٢٥٤/٥ ، ٢٦٩) ، وأبو داود (٥٧٤) ، والدارمى (٣١٨/١) ، وأخرجه الترمذى (٢٢٠) بنحوه ، والحاكم (٢٠٩/١) وصححه وأقره الذهبى ، وللحديث شواهد كثيرة .

(١٥٦) سورة النساء : ٨٥ .

(١٥٧) هذا الكلام يحتاج إلى سند وبرهان .

(١٥٨) سبق تخريجه .

وقال الزهري :

إذا كان لأحدكم إلى أخيه حاجة فليأته في بيته فإنه أقضى للحاجة .

وقال ابن عباس رضي الله عنه :

إن لله عبادًا يستريح الناس إليهم في حوائجهم ، وإدخال السرور عليهم ، أولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة .

وقال الضحاك في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[159] قال : كان إحسانه إذا مرض رجل في السجن قام عليه ، وإذا ضاق وسع عليه ، وإذا احتاج جمع وسأل له .

وفي حديث جرير جواز السؤال في المسجد عند الحاجة إلى ذلك .

وقد أخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال :

قال رسول الله ﷺ : « هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ »[160] فقال أبو بكر رضي الله عنه : دخلت المسجد فإذا أنا بسائل يسأل فوجدت كسرة خبز في يد عبد الرحمن فأخذتها فدفعتها إليه .

قلت : فإذا كان السائل صادقًا في سؤاله محتاجًا إلى ما يدفع به ضرورته ،

---

(١٥٩) سورة يوسف : ٧٨ .

(١٦٠) **إسناده ضعيف** . أخرجه أبو داود (١٦٧٠) وفي سنده بشر بن آدم ، قال أبو حاتم : ليس بالقوى ، وقال النسائي مثله ، ومرة : لا بأس به ، قال الحافظ : صدوق فيه لين . انظر : الميزان (٣١٣/١) ، التقريب (٩٨/١) .

وفي سنده مبارك بن فضالة ، صدوق ، يدلس ، وقد رواه ههنا بالعنعنة ، فالإسناد ضعيف . ولكن أخرج مسلم (١٥٤/١٥) عن أبي هريرة مرفوعًا « من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « فمن عاد منكم اليوم مريضًا ؟ » قال أبو بكر : أنا . فقال رسول الله ﷺ « ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة » . وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه .

وفاقته ، فله أن يسأل ، وعلى الناس أن يعطوه كما دل عليه حديث هذا الباب ، فأما إذا كان السائل من الملحين فى السؤال ، الملحفين فى طلب النوال الذين اتخذوه ديدنًا ، وعادة ، وحرفة وصنعة ، فإنهم يقامون ويخرجون لأنهم ليسوا سئوال على الناس وقتهم .

وعلى هذا تحمل كراهة مالك وما روى عن معاذ بن جبل فى ذلك ،.. والله أعلم .

قال معاذ بن جبل رضى الله عنه :

إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين بغضاء الله فى أرضه ؟ فيقوم سؤال المساجد .

وقال أبو نضرة العبدى :

أدركت زمانًا وليس فى الأرض سائل إلا مكاتب أو غارم .

وقال صالح المرى :

قلت للحسن : يذكر السؤال فمن تعطى ؟ قال : من رق قلبك له .

الباب الخامس عشر

فى الإجمال فى الطلب

خرّج ابن أبى الدنيا قال : حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال : حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبى خالد قال : حدثنا زبيد وعبد الملك بن عمير عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُبَاعِدُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِى رَوْعِى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِى رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِى الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ رِزْقٍ أَنْ تَطْلُبُوه بِمَعَاصِى اللهِ عز وجل ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ عز وجل إِلَّا بِطَاعَتِهِ »[161] .

---

(161) إسناده مرسل . والحديث صحيح . وأخرجه البغوى (٤١١٣) فى شرح السنة ، وأورده صاحب المطالب العالية (٨٤٦) وقال البوصيرى : فى سنده انقطاع ، وله شاهد من حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤) ، والحاكم (٤/٢) وفيه ابن جريج ، وهو مدلس ، وقد رواه بالعنعنة ، وأخرجه الحاكم (٤/٢) من حديث ابن مسعود ، وفى إسناده من لم أجده ، وله شاهد من حديث أبى أمامة عند أبى نعيم (٢٦/١٠ ، ٢٧) فى الحلية ، وفى سنده عفير ابن معدان ، من الضعفاء كما فى التقريب (٢٥/٢) ، وله شاهد من حديث المطلب أخرجه البغوى (٤١١٠) فى شرح السنة ، ورجاله ثقات ولكنه مرسل ، وله شاهد من حديث الحسن بن على ، أخرجه الطبرانى (٢٧٣٧) فى الكبير ، وفيه عبد الرحمن بن عثمان الحاطبى ضعفه أبو حاتم ، وله شاهد من حديث حذيفة ، أخرجه الحكيم الترمذى ، كما ذكر صاحب كنز العمال . برقم (٩٣٠٩) ، وله شاهد من حديث جابر عند ابن الجارود ، كما ذكر صاحب كنز العمال برقم (٩٣٠٨) وبمجموع تلك الشواهد والمتابعات ، يتقوى الحديث ويصح إن شاء الله تعالى .

قوله : (نفث فى روعى) النفث شبيه بالنفخ ، والروع النفس ، والمراد : أوحى إلىّ .

وحدثنى أبو جعفر الأدمى حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عبد العزيز بن أبى رَوّاد عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر قال :

قال رسول الله ﷺ :

« اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، دَعُوا مَا حُرِّمَ ، وَاطلُبوا مَا أُحِلّ لَنْ يَمُوتَ أحدكم حَتَّى يستكمل رِزْقَهُ »[١٦٢] .

وذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله من حديث أبى هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

« إنَّ للهِ تعالى ملائكةً مُوكَّلِين بأرزاقِ بنى آدمَ ، وَقَدْ عَلِمُوا أرزاقَهُمْ عَلَى درجاتِهِم ، ثم قال : أيُّمَا عبدٍ من عبادِى جَعَلَ هَمَّهُ واحدًا فَضمَنُوا رِزْقَهُ السمواتِ والأرضِ وبنى آدم ، وأى عبد طَلَبَ رِزْقَهُ فأعطُوه رزقَهُ مِن حَيْثُ أراد ، وإن تحرَّى مكاسبَهُ بالعدلِ فطيِّبوا لَهُ رزقَهُ وَأعطوه رزقه بعدلٍ ، وإن تعدَّى إلى الحرامِ فليأخذ من هوائه إلى غاية درجته التى ليس له فوقها ، ثم خلُّوا بينه وبين سائر الدنيا ، فلا يأخذ من حلالها ولا حرامها فوق الدرجة التى كتبتُها له »[١٦٣] .

فصل

قال علماؤنا رحمهم الله :

خلق الله سبحانه الإنسان ضعيفًا محتاجًا لا يملك شيئًا ولا يعلم ، وأغناه فى

---

(١٦٢) إسناده ضعيف . والحديث صحيح . فى سنده ابن جريج ، وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة ، وأبو الزبير يدلس ، وقد رواه بالعنعنة ، وانظر رقم (١٦١) .

(١٦٣) أورده صاحب كنز العمال (٩٣٢١) . ومن قبله السيوطى (٦٩٥١) وعزاه كلاهما إلى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، وقد ذكر السيوطى فى مقدمته للجامع الكبير أن ما عزاه للحكيم الترمذى فى عداد الحديث الضعيف .

حال صغره بكفالة أبويه ، أو غيرهما حتى يعتدل أمره ويستوى حاله ، ثم تعتور[١٦٤] عليه الحالات فمرة يُملكه ومرة يحوجه ، فإذا أحوجه فله أحوال أرفعها أن يعتمد على الله فى طلب القوت ، ويعكف على عبادته ، واثقًا بكفايته ، فإذا انعقدت له هذه النية ، وصحت له هذه الحالة جاء رزقه يسعى ، وهو معنى قوله فى الحديث :

« أيما عبد جعل همه واحدًا فضمنوا رزقه السموات والأرض وبنى آدم »[١٦٥] .

وقال ﷺ :

« إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حل ودعوا ما حرم »[١٦٦] .

تفسير قول وأجملوا فى الطلب ، والإجمال فى الطلب أن يعرض ولا يطلب كما تقدم ، وإن طلب فيطلب ممن يرجى خيره كما تقدم قبل . فإن وجد من يستعمله ، وبه قوة فهو أعلى ، ففى الحديث الحسن : أن عليًا رضى الله عنه عدم القوت فخرج فرأى يهوديًا ينزع بدلوٍ فناداه ، هل لك أن أنزع لك كل دلو بتمرة ؟ ، قال : افعل . فدخل على – رضى الله عنه – فنزع كل دلو بتمرةٍ حتى إذا أخذ حاجته ، ألقى الدلو من يده وخرج .

وكذلك إن كانت له صنعة عملها ، وأكل من كسب يده ، وكان نبى الله داود يأكل من عمل يده ، ثبت ذلك فى صحيح البخارى وغيره .

ولقد أنشد منصور الفقيه ، وقد ينسب إلى غيره :

---

(١٦٤) يقال : اعتوروا الشيء : تداولوه فيما بينهم .
(١٦٥) سبق تخريجه .
(١٦٦) سبق تخريجه .

أفضل من راحتى قنوت ونيل حظ من السكوت
ومن رجالٍ بنوا قصورًا تصونهم داخل البيوت
غدوا عنه إلى معاشٍ يرجع منه فضل قوت

وذكر ابن أبى الدنيا قال : حدثنى الحسن بن داود عن المنكدر بن محمد قال : حدثنا معتمر بن سليمان عن عدى بن الفضل عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال :

(يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، فلو كان رزق أحدكم فى جبل ، أو فى حضيض أرض ، لأكل رزقه ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب)[(١٦٧)] .

حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبرى حدثنا أبى حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن محمد بن سيرين عن أبيه قال :

أردت الخروج فى وجه ، فبينما أنا فى الطريق إذ قال رجلٌ : هذا أبوك خلفك ، فقمت حتى لحقنى فقال : يا بنى اتق الله حيث كنت ، واعلم أن لك رزقًا لن تعدوه ، فاطلبه من حله ، فإن من طلبه من حله رزقه الله طيبًا ، واستعملك صالحًا ، واستودعك الله والسلام عليك[(١٦٨)] .

---

(١٦٧) **إسناده ضعيف** . فى سنده المنكدر بن محمد ، من الضعفاء ، لم يخرج له سوى الترمذى ، والبخارى فى الأدب المفرد . انظر : التاريخ الكبير (٣٥/٨) ، الضعفاء للنسائى (٥٧٩) ، والعقيلى (١٨٥٠) ، الجرح والتعديل (٨ / ٤٠٦) ، المجروحين (٣ / ٢٣) ، الميزان (٤ / ١٩٠ ، ١٩١) ، التقريب (٢٧٧/٢) .

(١٦٨) فى سنده الحسن بن يحيى ، كان من العُبَّاد الزهاد ، لا بأس به ، التهذيب (٣٢٥/٢) ، التقريب (١٧٢/١) .

وفى سنده عبد الملك بن عبد الله ، مستور ، كما فى التقريب (٥٢٠/١) .

وفى سنده عبد الله بن محمد بن سيرين ، ذكره ابن أبى حاتم (١٥٧/٥) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

حدثنى الحسن بن جهور عن شيخ من قريش قال : قال الحسن البصرى : الحريص الجاهد ، والقانع الزاهد ، كل مستوفى أجله ، موفى رزقه فعلام التهافت فى النار .

حدثنى أحمد بن العباس النميرى قال : قال رجل من عبد قيس من أهل البصرة :

أثامن بالنفيس النفيسة ربها ... وليس لها فى الناس كلهم ثمن
بها تشترى الجنات إن أنا بعتها ... بشىء سواها إن ذلكم غبن
لئن ذهبت نفسى بدنيا أصبتها ... فقد ذهبت الدنيا وقد ذهب الثمن[١٦٩]

(١٦٩) إسناده ضعيف . فيه جهالة أحد الرواة .

الباب السادس عشر

فى الرضا بالقسمة وما قسم لك لابد منه

أخرج ابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ يَأْخُذُ عَنِّى هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِن أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ » .

قال أبو هريرة :

فقلت : أنا يا رسول الله . فأخذ بيدى فعد خمسًا فقال :

« اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إلى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسلِمًا ، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القلبَ »(١٧٠) .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من حديث جعفر بن سليمان والحسن لم يسمع من أبى هريرة شيئًا .

---

(١٧٠) حسن . أخرجه الترمذى (٢٤٠٧) وفى سنده الحسن ، وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة ، وأبو طارق من المجهولين ، وأخرجه ابن ماجه (٤٢١٧) قال : ثنا على بن محمد ثنا أبى معاوية عن أبى رجاء عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة عن أبى هريرة به . وهذا إسناد حسن ، فيه محرز بن عبد الله ، وهو صدوق يدلس ، وقد وثقه غير واحد ، وكان يدلس عن مكحول ، ولكنه رواه هنا بواسطة فزالت علة التدليس .

وأخرج ابن أبي الدنيا قال : حدثني سويد بن سعيد حدثنا على بن مُسْهِر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أخبرنى عبد الملك بن مروان قال : كنت جالسًا عند معاوية رحمه الله فأتى بطعامه ، فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه ، ثم حدث نفسه فوضعها ، ثم أخذها فرفعها إلى فيه ثم حدث نفسه فوضعها ، فتناولتها فأكلتها ، فطلبها فلم يجدها ، فخطب الناس فيها عشية على المنبر فقال : يا أيها الناس اتقوا الله ، فإنه ما لامرئ منكم إلا ما كتب الله عز وجل له ، والله إن أحدكم ليرفع اللقمة إلى فيه مرة أو مرتين ، ثم تقضى لغيره[١٧١] .

حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول : سمعت أم الدرداء تقول : سمعت أبا الدرداء يقول :

لو أن رجلا هرب من رزقه كهربه من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت[١٧٢] .

وروى عن على رضى الله عنه أنه قال :

الرزق رزقان : رزق يطلبك ورزق تطلبه .

فسره بعض العلماء فقال :

الرزق الذى هو يطلبك هو رزق الغذاء ، والرزق الذى تطلبه هو رزق التمليك ، وهو طلب فضل القوت .

---

(١٧١) فى سنده سويد بن سعيد ، صدوق فى نفسه إلا أنه عَمِىَ فصار يتلقن ما ليس من حديثه ، وأفحش فيه ابن معين القول ، مات سنة ٢٤٠ هـ . انظر : الميزان (٢٤٨/٢) ، تاريخ بغداد (٢٢٨/٩) ، التهذيب (٢٧٢/٤) ، التقريب (٣٤٠/١) .

(١٧٢) **إسناده لا بأس به** . فى سنده عبد الله بن عبد الرحمن ، قال ابن معين : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث . الجرح والتعديل (٩٨/٥، ٩٩) .

وذكر ابن أبى الدنيا قال : وحدثنى الحسين بن عبد الرحمن عن عصمة بن سليمان الخزاز قال : حدثنا (........)[١٧٣] ابن أبى شعيب الكندى قال : كان رجل من أهل البصرة له جدة وعطايا ، ومعروف ، فأصابه ريب الزمان ، فاجتاح ماله فأراد أن يضرب فى الأرض يبتغى من فضل الله تعالى فقالت بنيته فى ذلك قولًا حكاه عنها فى شعر له فقال :

تقول ابنتى والسير قد جد جده   وقد حضرتنى بغتة ورحيل
لعل المنايا فى ارتحالك تنذرى   بنفسك قومًا أو لقولك غول
فتتركنى أُدعى اليتيمة بعد ما بيّن   وعزى بعد ذلك ذليل
أفى طلب الدنيا وربك للذى   تحاول منها والشخوص كفيل
أليس ضعيف القوم يأتيه رزقه   فيساق إليه والبلاد محول
ويحرم جمع المال من تنزل له   بكل بلاد رحلة وحلول
فلو كنت فى طور على رأس هضبة   لجف فيه الوغول ثقيل
إذًا لأتاك الرزق ويحدوه سائق   حثيث وتهديه إليك قليل

قلت : وفى هذا المعنى ما أنشد الأصمعى :

ولما رأت بنتى بأنى مزمع   بترحل من أرضها فمودع
ورأت ركابى ورأت رحيلها   قالت وغرب العين منها تدمع
أبتا أتتركنا وتذهب تائهًا   فى الأرض تخفضك البلاد وترفع
فتضيع بنيك الذين تركتهم   بمضيعة فى المضر لم يترعرعوا
فيهم صغير ليس ينفع نفسه   وصغيرة تبكى وطفل يرضع
إنا سنرضى ما لبيت بعيشنا   ما كان من شىء نجوع ونشبع
إنا إذا ما غبت عنا لم نجد   ما يخلف عندنا ما ينفع

---

(١٧٣) بياض بالأصل .

يجفو موالينا ويعرض جارنا	وقريبنا الأوفى يعق ويقطع
ونخاف أن تلقاك وشك منية	فيصيبنا الأمر الجليل المفزع
فنسير بعدك ليس يرفع بيتنا	ويذلنا أعداؤنا ونضيع
هذا الرحيل وأمرنا ما قد ترى	فمتى تؤوب إلى الصغار وترجع
فحذقت من قول الصغار بعبرة	كاد الفؤاد لقولهم يتصدع

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني محمد بن يحيى المروزى :

أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا ، فلما بلغ أصابته آفة فاشتد ذلك عليهم ، حتى رؤى فيهم فخرجت أعرابية منهم فقالت : مالى أراكم متغيرة ألوانكم ، ميتة قلوبكم ، هو ربنا فليفعل بنا ما يشاء ، فرزقنا عليه يأتى به من حيث يشاء ، ثم أنشأت تقول :

لَوْ كَانَ فِى صَخْرَةِ الْبَحْرِ رَاسِيَةٍ	صَمَّاءَ مَلْمُومَةٍ مُلْسٍ نَوَاحِيهَا
رِزْقٌ لنفسٍ بَرَّهَا اللهُ لانْفَلَقَتْ	حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا
أَوْ كَانَ بَيْنَ طِبَاقِ السَّبْعِ مساكنُهَا	لَسَهَّلَ اللهُ فِى الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا
حَتَّى تَنَالَ الَّذِى فِى اللَّوْحِ خُطَّ لَهَا	إِنْ هى أَتَتْهُ وَإِلَّا سوف يأتيها(١٧٤)

وروى عن عبد الله أنه قال :

خرجت إلى الأيلة فبينما أنا أسير إذا أمامى كيس فأخذته وفتحته فإذا رق كُتب فيه : لو كان فى صخرة ... الأبيات .

قلت : وهذا فى التنزيل فى قول لقمان لابنه ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَوَاتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ ﴾(١٧٥) .

---

(١٧٤) أوردها ابن عبد ربه فى بهجة المجالس (١٣٨/١ ، ١٣٩) وقال : مما يروى عن على وفيه نظر .

(١٧٥) سورة لقمان : ١٦ .

أى لو كان للإنسان رزق مثقال حبة فى هذه المواضع لجاء الله بها حتى يسوقها إلى من هى رزقه[١٧٦] .

وأنشدوا :

مشينا فى خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
وأرزاق لنـــا متفرقـــات فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

وكان ابن حازم يقول :

وجدت الأشياء كلها فى شيئين : شىء لى ، وشىء لغيرى . فأما ما كان لى فلو كنت فى درب الريح لأدركنى ، وما لم يكن لى ، فلو ركبت الريح ما أدركته[١٧٧] .

قال ابن أبى الدنيا : وحدثنا محمد بن ناصح قال : حدثنا بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى أبى مطيع عن سعيد بن أبى أيوب عن عياش بن عباس عن مالك بن عبد المعافرى قال :

مر رسول الله ﷺ بابن مسعود فقال :

« لا تُكثِرْ هَمَّكَ ما يُقَدَّرْ يَكُنْ وَمَا تُرزَقْ يَأْتِكَ »[١٧٨] .

---

(١٧٦) شرح الآية بنصها المذكور قاله القرطبى فى تفسيره الجامع (ص/٥١٤٨) .

(١٧٧) أخرجه أبو نعيم (٢٣٧/٣) فى الحلية بنحوه عن أبى حازم رحمه الله .

(١٧٨) **إسناده ضعيف** . فى سنده محمد بن ناصح شيخ ابن أبى الدنيا ، ترجم له الخطيب البغدادى فى تاريخه (٣٢٤/٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

وفى سنده بقية بن الوليد ، وهو مدلس ، وقد رواه ههنا بالعنعنة .

وفى سنده إعضال إذ إن مالك بن عبد المعافرى لم يدرك عصر الصحابة ، ولا التابعين وقد ذكره ابن أبى حاتم (٢١٣/٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

وأورده المتقى الهندى (٥٠٥) وعزاه للبيهقى فى شعب الإيمان عن مالك بن عبادة وأظنها تحريفا =

حدثنا زكريا بن الحارث العبدى حدثنا بشر بن عمر الزهرانى حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو قَبِيل عن شفيّ بن ماتِع :

أن رجلًا كان معه قرص فى سفر فجعل ينظر إلى القرص ويبكى ويقول : إن أكلته مت ، فوكل الله عز وجل به ملكًا ، فقال : إن أكله فارزقه ، وإن لم يأكله فدعه ، فلم يزل القرص معه حتى مات[١٧٩] .

وروى ابن عباس قال :

كنت رديف رسول الله ﷺ فقال :

« يا غلام » — أو يا بنى — « ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن » ، قلت : بلى فقال : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، فقد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشىء لم يقضه الله لك ، لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشىء لم يقضه الله عليك ، لم يقدروا عليه ، واعمل لله بالشكر واليقين ، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[١٨٠] .

حديث عظيم صحيح أخرجه أبو بكر بن ثابت فى كتاب الفصل للوصل وأخرجه الترمذى وهذا أتم .

= من مالك بن عبد — والبيهقى فى القدر عن ابن مسعود ، وقد ضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (٦٢٧٨) .

(١٧٩) إسناده ضعيف . فى سنده شيخ المصنف لم أجده ، وابن لهيعة حديثه عن غير العبادلة فى عداد الضعيف ، ويرويه هنا غيرهم .

(١٨٠) سبق تخريجه .

ولقد أحسن من قال فى معناه :

طالب الدنيا بحرص وعجل إنما الدنيا كظل متنقل
نحن فيها مثل ركب نازل لمقيل كلما حل قيل ارتحل
ضمن الله لنا الرزق فلا تشغل النفس بهم واتكل
لو جميع الناس رجوا نقص ما قسم الله لعبد ما انفعل
أو أرادوا أن يزيدوه من بعد جهد وحيل

فى أبيات قالها رحمه الله :

وقال آخر :

رَأَيْتُ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارُ وَقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ
فَلَا تَجْزَعْ وَإِنْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي زَمنٍ طَوِيلِ
وَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ يأتى بالجميل[١٨١]

وقال آخر :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ الأَمْرِ يَنْقَطِعُ وَخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ الهَمِّ يَنْدَفِعُ
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ البَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَالمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ[١٨٢]

وروى عن ابن بشار أنه قال :

قرأت فى بعض الكتب السالفة ، يا ابن آدم لا تخف فوات الرزق ما دامت خزائنى مملوءة ، وخزائنى لا تفنى أبدًا ، يا ابن آدم كما لا أسألك عن عمل غد ، لا تسألنى عن رزق غد .

---

(١٨١) أوردها ابن عبد ربه (١٨٣/١) فى بهجة المجالس ، ولم ينسبها لأحد .

(١٨٢) المصدر السابق (١٨٢/١) ونسبها لمحمد بن حازم الباهلى .

وأنشدوا :

أَعْطَى أُناسًا مِن الدُّنْيا نَصيبَهم	ومنه فيها عَلَيْهم أَسبَغَ النعمَا
واختص قومًا بحرمانٍ فما ربحوا	إلا الشقاءَ وهمَّ القلبِ والندما
فأحمق جاهل فى رِزْقِهِ سعة	وعاقل فاضل من قال قد حرما
هذا دليل بأن الله ذو كرم	لا يرزق العبد إلا ما له قسما

وقال بعض الحكماء :

وكل الله الحرمان بالعقل ، ووكل الرزق بالجهل ، ليعتبر العاقل ، ويعلم أن ليس له فى الرزق حيلة .

وذكر ابن أبى الدنيا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

ما من امرئ إلا وله أثر هو واطئه ، ورزق هو آكله ، وأجل هو بالغه ، وحتف هو قاتله ، حتى لو أن رجلًا هرب من رزقه لاتبعه حتى يدركه ، كما أن الموت يدرك من هرب منه .

ونحوه عن أبى الدرداء وقد تقدم مسندًا .

قال ابن أبى الدنيا وحدثنى عبد الرحمن بن زبَّان الطائى قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن سَلَّام بن سُلَيْم عن منصور بن زاذان عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

« مَا خَلَقَ اللهُ فلقَ صباحٍ بعلمِ مَلكٍ مُقرب ، ولا نبى مرسل ، ما يكون فى آخر ذلك اليَوْم ، فيقسم اللهُ فيه قوتَ كلِّ دَابَّةٍ ، حتى إن الرجلَ ليجيءُ من أقصى الأرض وقد حَمَلَ قُوته على عاتقه(١٨٣) ، وَإنَّ الشيطانَ بَيْنَ عاتقَيهِ يقولُ

---

(١٨٣) العاتق : موضع الرداء من المنكب والعنق .

لَهُ : اكذِبْ أُفجُرْ فمنهم من يأخذُ رِزْقَهُ بكذبٍ وفجور ، ومنهم من يأخذُهُ ببرٍ وتقوى فَذَلكَ الَّذى عَزَمَ اللهُ عَلَى رُشدِهِ »[١٨٤] .

(١٨٤) **إسناده ضعيف جدًا** . فى سنده شيخ ابن أبى الدنيا ، ترجم له الخطيب البغدادى (٢٦٧/١٠) فى تاريخه ، ولم يذكر فيه جرحًا ، ولا تعديلًا .

وفى سنده سلام بن سليم ، الطويل ، متروك ، لم يخرج له سوى ابن ماجه ، مات سنة ١٧٧ هـ . انظر : التاريخ الكبير (١٣٣/٢/٢) ، والصغير (٢١٥/٢) ، والضعفاء الصغير (٥٥) ، والضعفاء للنسائى (٢٣٧) ، وللعقيلى (٦٦٤) ، والمجروحين (٣٣٣/١ ، ٣٣٥) ، الميزان (١٧٥/٢) ، التقريب (٣٤٢/١) .

وأورده المتقى الهندى (٩٣١٨) فى كنز العمال ، للديلمى عن أبى هريرة .

الباب السابع عشر

فى قوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾

قال عامر بن عبد قيس :

ثلاث آيات من كتاب الله تعالى إذا ذكرتها ما أبالى على ما أصبح وأمسى أولها ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[١٨٥] الآية .

والثانية : ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[١٨٦] .

والثالثة ﴿ وَمَا مِنَ دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾[١٨٧] .

وروى يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ :

« مَا مِن زرعٍ عَلَى الأرضِ وَلَا ثمارٍ عَلَى الأشجارِ ولا حبةٍ فى ظلماتِ الأرضِ إِلَّا عَلَيْهَا مَكتوبٌ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ، رِزْقُ فُلانِ بن فلانٍ ، ولا رطبٍ ولا يابسٍ إِلَّا فِى كتابٍ مبينٍ »[١٨٨] .

---

(١٨٥) سورة فاطر : ٢ .

(١٨٦) سورة الطلاق : ٧ .

(١٨٧) سورة هود : ٦ .

(١٨٨) **باطل** . أخرجه الخطيب (٤/١٣٠) فى تاريخ بغداد ، وأورده الذهبى فى الميزان (١/٦٠٩) وقال : حمويه بن حسين عن أحمد بن الخليل لا يوثق به ، وخبره باطل .

وأورده ابن حجر (٢/٣٦١) فى اللسان ، وقال : حكى عن الإمام تفرد حمويه به ، وهو غير مقبول ، ثم قال الخطيب : وقد رواه أبو على المذكر عن أحمد بن الخليل ، وكان المذكر معروفاً بسرقة الأحاديث ، ويراه سرقه من حمويه .

قلت : ثم إن فى سنده محمد بن إسحاق ، وهو مدلس ، وقد رواه بالعنعنة .

وذكر الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول حدثنى عمر قال : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير المصرى قال : حدثنى الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم أن الأشعريين أبا موسى ، وأبا ملك ، وأبا عامر فى نفر منهم لما قدموا وهاجروا إلى رسول الله ﷺ وقد أرملوا[189] من الزاد إذ أرسلوا رجل منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ سمعه يقرأ ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[190] . فقال الرجل : ما الأشعريون بأهون الدواب على الله تعالى ، فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ ، فقال لأصحابه : أبشروا فقد جاءكم الغوث ، ولا يظنون أنه كلم رسول الله ﷺ فوعده ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة من خبز ولحم ، فأكلوا ما شاءوا ، ثم قال بعضهم لبعض : لو أنا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإنا قد قضينا منه حاجتنا ، ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ما رأينا طعامًا أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به إلينا ، قال : « ما أرسلت إليكم طعامًا » ، فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم ، فسأله رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع قال : فقال رسول الله ﷺ : « ذلك شئٌ رزقكموه اللهُ »[191] .

ذكره فى الأصل الرابع عشر والمائتين .

وذكر ابن أبى الدنيا قال : حدثنى أبو جعفر محمد بن زيد الأدمى قال : حدثنا أبو مسهر قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال :

قيل لأبى أسيد الفزارى : من أين تعيش ؟

---

(١٨٩) أرمل القوم : نفد زادهم ، وأرملوه : أنفدوه ، فالمرمل الذى نفد زاده .

(١٩٠) سورة هود : ٦ .

(١٩١) إسناده مرسل . والمرسل من أقسام الحديث الضعيف .

فكبر الله وحمده وقال : أيرزق الله القرد والخنزير ، ولا يرزق أبا أسيد .

حدثني علي بن الحسين بن موسى حدثني زكريا بن أبي خالد قال :

كان ابن عباس يتمثل بهذين البيتين :

المقاديرُ لا تناولها الأوهامُ لطفًا ولا تراها العيونُ

وَسَيجرى عَلَيْكَ مَا قَدر اللهُ وَيَأتيكَ رِزْقُكَ المضمونُ(١٩٢)

وقيل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟

قال : من عند الله .

فقيل له : الله ينزل لك دنانير ، ودراهم من السماء ؟!!

قال : كأن ما له إلا السماء ، يا هذا الأرض له ، والسماء له ، فإن لم يأتني رزق من السماء ، يأتيني من الأرض ، وأنشد :

وكيف أخاف الفقر والله رازق ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفل بالأرزاق لي وللخلق كلهم والماضيات في البيداء وللحوت في البحر

وقال : أبو مطيع البلخي لحاتم الأصم :

بلغني أنك تجوز المفاوز بالتوكل من غير زاد ؟

فقال حاتم : بل أجوزها بالزاد ، إنما زادي فيها أربعة أشياء .

قال : ما هي ؟

قال : لدى الدنيا بحذافيرها مُملكِي الله ، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وعياله ، وأرى الأرزاق والأشياء كلها بيد الله تعالى ، وأرى قضاء الله نافذ في كل أرضين .

---

(١٩٢) إسناده ضعيف . فيه انقطاع .

فقال أبو مطيع : نعم الزاد زادك يا حاتم ، وأنت تجوز به مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا !!!

وقيل لبعض الأعراب : من أين تأكل ؟

قال : الذى خلق الزاد يأتيك بالطحين ، والذى شدق الأشداق[١٩٣] هو خالق الأرزاق .

وروى عن أويس القرنى أنه قال له رجل : من القيم لك بالمعاش ؟

قال : سبحان الله ما ظننت أن أحدًا عرف الله ، ثم سأل عن العيش .

ثم قال : إن هذه البلوى عارضها الشك فما تنفعها الموعظة .

قال ابن أبى الدنيا وحدثنى أبو محمد هاشم بن القاسم الحرانى عن محمد بن عبد الله قال : سمعت أبا عبد الرحمن العمرى يقول :

كنت جنينًا فى بطن أمى ، وكان يؤتى برزق حتى يوضع فى فمى ، حتى إذا كبرت وعرفت ربى ساء ظنى فأى عبد أشر منى[١٩٤] .

وأنشدوا :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق فى غشاوته الجنين

وروى أن الحسن البصرى قال :

قرأت فى تسعين موضعًا من القرآن أن الله قدر الأرزاق وضمنها لخلقه ، وقرأت فى موضع واحد ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ ﴾[١٩٥]

---

(١٩٣) الأشداق : جوانب الفم .

(١٩٤) قائل العبارة هو عبد الله بن عمر بن حفص العمرى ، من الضعفاء ، وكان من العابدين ، مات سنة ١٧١ هـ . انظر : التاريخ الكبير (٣/٨٠) ، والصغير (٢/١٧٩) ، والضعفاء للنسائى (٣٢٥) ، وللعقيلى (٨٤٤) ، والجرح والتعديل (٢/٤٥) ، المجروحين (٢/٦) ، الميزان (٢/٤١٣) ، التهذيب (٥/١٩٨) ، التقريب (١/٤٣٤ ، ٤٣٥) .

(١٩٥) سورة البقرة : ٢٦٨ .

فشككنا فى قول الصادق فى تسعين موضعًا ، وصدقنا قول الكاذب فى موضع واحد .

وروى عن فرقد السبخى أنه قال :

مكتوب فى التوراة يابن آدم (........)[١٩٦] متى تعايش من رزق وأنا الرازق أرزق الطير فى وكره ، وأرزق النون[١٩٧] فى اليم الزاخر .

وروى عنه أيضا أنه قال :

لو قال العبد : لا يرزقنى ، لقال له الرب تعالى : يا جاهل خلقتك وتكفلت لك برزقك ليس لك خالق غيرى ولا رازق سواى فلا أخلف وعدى ولا أنظر إلى (......)[١٩٨] أرزقك على رغم أنفك .

وأنشدوا :

أتتركنى وقد أليت خلقا ... بأنك لا تضيع من خلقت
وأنك ضامن للرزق حتى ... توفيه العباد كما ضمنتا
وإنى واثق بك يا ربى ... ولكن القلوب كما علمتا

قال ابن أبى الدنيا (.......)[١٩٩] بن عبد الوهاب حدثنى المعتمر بن سليمان عن كهمس عن أبى السليل عن أبى ذر رفعه قال :

« إنَّ فِى القرآنِ آية لَوْ أَنَّ النَّاسَ جَميعًا أَخذُوا بها لَكَفَتْهُمْ »[٢٠٠] .

---

(١٩٦) كلمة غير واضحة بالأصل .
(١٩٧) النون : الحوت .
(١٩٨) بياض بالأصل مقدار كلمة .
(١٩٩) غير واضح بالأصل .
(٢٠٠) **ضعيف** . أخرجه أحمد (١٧٨/٥) ، وابن ماجه (٤٢٢٠) ، والدارمى (٣٠٣/٢) ، وابن حبان (٢٣٤/٨) ، وأبو نعيم (١٦٦/١) فى الحلية ، والحاكم (٤٩٢/٢) فى مستدركه من طرق عن كهمس عن أبى السليل عن أبى ذر به . فى إسناده انقطاع ، فإن أبا السليل لم يدرك أبا ذر ، ولكنه أرسل عنه .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٢٠١] » .

وأنشدوا :

بتقوى الله نجا من نجا ... وفاز وصار إلى مارجا

ومن يتق الله يجعل له ... كما قال من أمره مخرجا

ويرزقه من حيث لا يحتسب ... وإن ضاق أمر به فرجا

قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا وكيع أنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل قال : سمعت حَبَّة وسواء ابني خالد هكذا يقول وكيع يقولان :

أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملًا يبني بناءً فأعناه ، فلما فرغ دعا لنا وقال : « لَا تَيْأَسَا مِنَ الرِّزْقِ مَا تَهَزْهَزَتْ رُءوسُكُمَا فَإِنَّ الإِنْسَانَ تَلِدَهُ أُمُّهُ ، وَهُوَ أَحْمَر لَا قشرَ لَهُ ، ثُمَّ يَرْزُقُهُ اللَّهُ قِشْرًا »[٢٠٢] .

حدثنا محمد بن على أخبرنا إبراهيم بن الأشعث قال :

سمعت فضيلًا يقول : قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين :

ابن آدم خلق في أربع منازل وهو في ثلاث منهن واثق بالله تعالى ، حسن ظنه فيهن بربه ، وهو في الرابع سيء ظنه بربه ، يخاف خذلان الله تعالى إياه .

أما المنزلة الأولى فإنه خلق في بطن أمه خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، ينزل الله عليه رزقه في جوف ظلمة البطن .

---

(٢٠١) سورة الطلاق : ٢ ، ٣ .

(٢٠٢) **ضعيف** أخرجه أحمد (٦٩/٣) ، وابن ماجه (٤١٦٥) ، وابن حبان (٩٩/٥) ، وأبو نعيم كما في كنز العمال (٨٥١٤) ، والضياء المقدسي كما في الكنز (٥٠٦) ، وأورده ابن الأثير (٤٤٠/١) في أسد الغابة ، وابن حجر (٣١٨/١) في الإصابة .

في سنده سلام بن شرحبيل ، ذكره ابن أبي حاتم (٢٥٧/٤) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وقال الحافظ : مقبول ، يعني يتابع وإلا فلين الحديث ، ولم نجد له أي متابع هنا ، فالإسناد ضعيف ، التقريب (٣٤٢/١) .

قوله (ما تهزهزت رؤوسكما) أي ما تحركت . كناية عن الحياة .

فإذا أخرج من البطن وقع فى اللبن لا يخطو إليه بقدم ، ولا يتناوله بيد ولا ينهض إليه بقوة ، ولا يأخذه بحرفة ، يكره عليها كرهًا ، ويؤجر إيجارًا ، حتى ينبت عظمه ولحمه .

فإذا ارتفع عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة فى الطعام بين أبويه يكتسبان عليه من حلال وحرام ، فإن مات أبواه عن غير شيء تركاه ، عطف عليه الناس هذا يطعمه ، وهذا يسقيه ، وهذا يؤويه .

فإذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى ، واجتمع عليه ، وكان رجلًا خشى أن لا يرزقه الله تعالى فوثب على الناس يخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم ، ويخونهم على أموالهم مخافة خذلان الله إياه(٢٠٣) .

حدثنا عمر بن سعيد الدمشقى حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : كان من دعاء داود عليه السلام :

« يارازق الغراب النعاب فى عشه ، وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه فقس عنها بيضاء ، وإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها فيرسل الله عليها ذبابًا يدخل أفواهها ، فيكون ذلك غذاء لها حتى تسود ، فإذا اسودت انقطع عنها الذباب ، وعاد الغراب إليها فغذاها(٢٠٤) .

وحدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن منصور عن سالم بن أبى الجعد قال : حُدثتُ أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول :

اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم ، وإياكم والدنيا ، وفضول الدنيا فإن فضول

---

(٢٠٣) فى سنده إبراهيم بن الأشعث تُكلم فيه ، وسبق ذكره .

(٢٠٤) إسناده ضعيف . وأخرجه أبو نعيم (١٨٣/٥) فى الحلية نقلًا عن ابن أبى الدنيا .
فى سنده عمر بن سعيد الدمشقى ، أبو حفص ، قال أبو حاتم : كتبت حديثه وطرحته .
وقال النسائى : ليس بثقة ، وقال مسلم : ضعيف الحديث . انظر : الجرح والتعديل (١١٥/٦) ، الميزان (١٩٩/٣) .

الدنيا عند الله رجس ، هذه طير السماء تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء ، ولا تحرث ، ولا تحصد ، الله يأتيها برزقها فإن أبيتم وقلتم : إن بطوننا أعظم من بطون الطير فهذه الوحوش ، والبقر ، والحمير تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء لا تحرث ، ولا تحصد ، الله يرزقها(٢٠٥) .

حدثنا إسحاق بن الحصين ابن بنت معتمر بن سليمان حدثنا أيوب بن بيان مؤذن مسجد الجامع بالبرقة وإمامهم أملاه علينا من كتابه حدثنا أبو معاوية .

حدثنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

كان عابد يتعبد فى غار ، وكان غراب يأتيه كل يوم برغيف يجد فيه طعم كل شيء حتى مات العابد(٢٠٦) .

حدثنى أبو محمد هاشم بن القاسم حدثنا عمر بن سعيد الدمشقى حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال :

أقام إلياس مختفيا من قومه فى كهف جبل عشرين ليلة ، أو قال : أربعين تأتيه الغربان برزقه(٢٠٧) .

قلت ما ذكرناه فى هذا الباب هو التوكل الحقيقى على ما بينته آنفًا رزقنا الله إياه ولا أحالنا على أحد سواه ، بمنه وكرمه .

روى عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال :

« من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن سره أن يكون

---

(٢٠٥) **إسناده صحيح** إلى سالم بن أبى الجعد .

(٢٠٦) فى إسناده إسحاق بن الحصين ، ذكره ابن أبى حاتم (٢/٢١٧) فى الجرح والتعديل ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وفى سنده أيوب بن بيان لم أجده .

(٢٠٧) **إسناده ضعيف** . فى سنده عمر بن سعيد الدمشقى ، انظر رقم (٢٠٤) وفى سنده جهالة بعض الرواة .

أغنى الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكون أكرم الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده »[٢٠٨] .

وفى صحيح الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرزقكُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا »[٢٠٩] .

قال ابن أبى الدنيا وحدثت عن محمد بن الحسين حدثنى أحمد بن سهل الأردنى حدثنى أبو قدامة الرملى قال :

قرأ رجل هذه الآية ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾[٢١٠] . فأقبل علىَّ سليمان الخواص فقال : يا أبا قدامة إنه لا ينبغى لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله فى أمره ، ثم

---

(٢٠٨) **إسناده ضعيف جدا** . أخرجه ابن أبى الدنيا (١٠) فى التوكل على الله .

فى سنده عبد الرحيم بن زيد العمى ، متروك ، وكذبه ابن معين ، أخرج له ابن ماجه . انظر : التاريخ الكبير (١٠٤/٣) ، والصغير (٢٥٤/٢) ، والضعفاء للنسائى (٣٦٨) ، وللعقيلى (١٠٤٥) الجرح والتعديل (٣٣٩/٢) ، المجروحين (١٦١/٢) ، والضعفاء للدارقطنى (٣٤٢) ، التقريب (٥٠٤/١) .

وفى سنده زيد الحوارى ، والد عبد الرحيم ، من الضعفاء . انظر : التقريب (٢٧٤/١) ، التهذيب (٤٠٨/٣) ، معرفة الثقات (٥٢٧) .

(٢٠٩) **صحيح** . أخرجه الترمذى (٢٤٤٧) ، والطيالسى (ص ١١) ، وابن أبى الدنيا (١) فى التوكل على الله ، وأبو نعيم (٦٩/١٠) فى حلية الأولياء كلهم من طريق ابن المبارك عن حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو به .

وأخرجه أحمد (٣٠/١) ، وابن حبان (٥٦/٢) ، وابن أبى الدنيا (٢) فى التوكل ، والحاكم (٣١٨/٤) فى مستدركه من طريق عبد الله بن يزيد عن حيوة به .

وأخرجه ابن ماجه (٤١٦٤) ، وأحمد (٥٢/١) من طريق ابن لهيعة عن ابن هبيرة به .

(٢١٠) سورة الفرقان : ٥٨ .

قال : يا أبا قدامة لو عامل عبدٌ الله عز وجل بحسن التوكل عليه ، وصدق النية له بطاعته ، لاحتاجت إليه الأمراء ، فمن دونهم ، فكيف يكون هذا محتاجًا ومؤمله وملجؤه إلى الغنى الحميد ؟(211) .

وقال محمد بن كرام : .

حسبك من التوكل ألا تطلب ناصرًا غير الله ، ولا لرزقك رازقًا غير الله ولا لعملك شاهدًا غير الله .

قلت : وهذا فى التنزيل فى قول الحق ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾(212) .

وقال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾(213) .

وقال : ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾(214) ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾(215) .

وقال يحيى بن أبى كثير :

مكتوب فى التوراة : ملعون من كانت ثقته بإنسان مثله(216) .

وسيأتى لهذا الباب مزيد فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى

---

(211) إسناده ضعيف . أخرجه ابن أبى الدنيا (37) فى التوكل على الله .

فى سنده أبو قدامة الرملى من المجهولين . الميزان (4/564) ، اللسان (7/98) .

(212) سورة يونس : 61 .

(213) سورة الحجر : 21 .

(214) سورة الحج : 78 .

(215) سورة آل عمران : 150 .

(216) أخرجه ابن أبى الدنيا (60) فى التوكل على الله .

الباب الثامن عشر

فى قوله تعالى ﴿ وَفِي السَّماءِ رِزقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ • فَوَربِّ السَّمَاءِ وَالأرضِ إِنَّهُ لحقٌّ مِثْلَ ما أنكم تَنطِقُونَ ﴾[217]

قال سعيد بن جبير والضحاك :

الرزق هاهنا ما ينزل من السماء من ماء من مطر ، أو ثلج ينبت به الزرع ويحيى به الخلق دليله قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَى بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[218] أى من مطر .

وقيل معنى ﴿ وفى السماء رزقكم ﴾ أى وفى المطر رزقكم ، وسمى المطر سماء لأنه ينزل من السماء .

قال الشاعر :

إِذَا سَقَطَ السَّماءُ بأرضِ قومٍ   رعيناه وَإِن كانوا غِضَابَا[219]

وقيل : المعنى : وعلى رب السماء رزقكم ، دليله الآية المتقدمة التى فى الباب قبلا ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾[220]

---

(٢١٧) سورة الذاريات : ٢١-٢٣ .

(٢١٨) سورة الجاثية : ٥ .

(٢١٩) البيت للشاعر معوّد الحكماء معاوية بن مالك ، وسمى معود الحكماء لقوله فى تلك القصيدة :

أعود مثلها الحكماء بعدى   إذا ما الحق فى الحدثان نابا

(٢٢٠) سورة هود : ٦ .

وقيل : المعنى : وفى السماء تقدير رزقكم ، وما منه مكتوب لكم فى أم الكتاب .

وقال سفيان : قرأ واصل الأحدب (وفى السماء رزقكم) فقال :

ألا أرى رزقى فى السماء ، وأنا أطلبه فى الأرض ، فدخل خربة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا ، فإذا هو فى الثالثة بدوخلة[٢٢١] رطب ، وكان له أخ أحسن نية منه ، فدخل معه فصارتا دوخلتين ، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما[٢٢٢] .

وقال الأصمعى أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذا طلع أعرابى جلف[٢٢٣] جاف على قعود له متقلدًا سيفه ، وبيده قوسه ، فدنا وسلم ، وقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بنى أصمع . قال : أنت الأصمعى ؟ قلت : نعم قال : من أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن ، قال : أو للرحمن كلام يتلوه الآدميون ؟ قلت : نعم . قال : فإنك على شيء منه فقرأت عليه (والذاريات إلى قوله وفى السماء رزقكم) . قال : يا أصمعى حسبك ، ثم قام إلى ناقته فنحرها ، وقطعها بجلدها وقال : أعنى على توزيعها ، ففرقها على من أدبر وأقبل ، ثم عهد إلى سيفه وقوسه فجعلها تحت الرحل بعد أن كسرهما ، وولى نحو البادية وهو يقول : (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فمقت نفسى ولمتها .

ثم حججت مع الرشيد فبينما أنا أطوف إذا بصوت رقيق ينادينى فالتفت فإذا أنا بالأعرابى ناحل مصفر ، فسلم على وأخذ بيدى وقال : اتْلُ علىَّ كلام

---

(٢٢١) الدوخلة : بتشد اللام وتخفيفها : سقيفة من خوص ، يوضع فيها التمر والرطب .
(٢٢٢) تفسير القرطبى (ص/٦٢١١) .
(٢٢٣) الجلف : الأعرابى الجافى .

الرحمن ، وأجلسني خلف المقام فقرأت والذاريات إلى إن وصلت إلى قوله ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ فقال الأعرابي لقد وجدنا ربنا حقا ، ثم قال : وهل غير ذلك ؟

قلت : نعم يقول الله تعالى : ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون ﴾ .

قال : فصاح الأعرابي وقال : من الذي أغضب الجليل حتى حلف ، ألم يصدقوه في قوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثًا ، وخرجت نفسه[٢٢٤] .

وقال الحسن بلغني أن النبي ﷺ قال :

« قَاتَلَ اللهُ أقوامًا أقسم لهم ربُهم بنفسِهِ فَلَمْ يُصدقوه »[٢٢٥] . قال الله تعالى ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق ﴾ .

شعر :

أتتركني وقد أليت حلفا بأنك لا تضيع من خلقتا

قال الغزالي رحمه الله :

وإذا كان الله تعالى ضمن رزقك في كتابه وتكفل لك ، فما تقول لو وعدك ملك من الملوك التي في الدنيا أنه يضيفك الليلة ويعشيك وأنت حسن الظن بأنه صادق لا يكذب ، ولا يخلف الوعد ، بل لو وعدك بذلك سوقي ، أو يهودي ، أو نصراني ، أو مجوسي مستور عندك بظاهره ، عفيف في معاملته ، ألست تثق بوعده ، وتطمئن لقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالا عليه ؟! فما لك قد وعدك الله وضمن لك رزقك ، وتكفل به ، وأقسم عليه لا تطمئن

---

(٢٢٤) أوردها القرطبي (ص/٦٢١٢) في تفسيره .
(٢٢٥) إسناده ضعيف . من مراسيل الحسن .

بوعده ، ولا تسكن إلى قوله وضمانه ، ولا تنظر إلى قسمه ، بل يضطرب قلبك ويهتم ، فيالها من فضيحة لو رأيت وبالها ، ويالها من مصيبة لو علمت نكالها .

ينشد لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه :

أتطلب رزق الله من عند غيره ... وتصبح من خوف الحوادث آمنا
وترضى بصراف وإن كان سركا ... ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

وهذا المعنى ينجز هذا الأمر إلى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله سلب المعرفه والدين ، ولهذا قال سبحانه ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢٢٦] .

وقال بعض الحكماء :

كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره ، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره .

وقيل لحاتم الأصم : على أى شيء بنيت أمرك ؟

قال : على أربع . قيل : ما هن ؟

قال : علمت أن رزقي لا يأكله غيرى فلست مشتغلا به ، وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتى بغتة فأنا مستعد له ، وعلمت أنى بعين الله فى كل حال فأنا مستحى منه[٢٢٧] .

---

(٢٢٦) سورة المائدة : ٢٣ .

(٢٢٧) أخرجه أبو نعيم (٧٣/٨) فى حلية الأولياء من طريقين عن حاتم الأصم .

الباب التاسع عشر
فى تناول الأسباب

لعل ظانًّا يظن أن ترك الأسباب يحط منزلة من استعملها ، وليس كذلك فإنا نقول : استعمال السبب لا يقدح فى التوكل ولا ينافيه ويتناول بمجرد الأمر ، وهو كان دأب الأنبياء والصالحين ففي الصحيح عن المقدام بن معدى كرب عن النبى ﷺ قال :

« مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ »[228] .

وقال ﷺ :

« جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي »[229] .

أخرجه البخارى :

فجعل الله تعالى رزق نبينا فى أشرف وجوه الكسب ، وكان يدخر لأهله قوت سنتهم ، واشترى سلمان وسقًا[230] من طعام ، فقيل له فى ذلك قال : إن النفوس إذا أحرزت القوت اطمأنت .

ونحوه معنى أبى قلابة .

---

(٢٢٨) البخارى (٣/٧٤) ، وأحمد (٤/١٣١ ، ١٣٢) .

(٢٢٩) البخارى (٤/٤٩) ، وأحمد (٣/٥٠ ، ٩٣) .

(٢٣٠) الوسق : مكيلة معلومة ، وقيل : هو حمل بعير ، وهو ستون صاعًا بصاع النبى ﷺ .

وقال أبو هريرة :

« إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق فى الأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم »[٢٣١] أخرجه البخارى والأخبار فى هذا الباب كثيرة جدا يطول الكتاب بذكرها ، وقد استعملها رسول الله ﷺ فى خروجه من مكة حسب ما تقدمت عن الأنبياء والصالحين الإشارة إليه عند قصة أبى حمزة الخراسانى .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا حدثنى سليمان بن منصور الخزاعى حدثنا أبو جُزى نصر بن طريف الباهلى عن قطن أبى الهيثم القطعى عن عقبة بن عبد الغافر عن جابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى عن أحدهما أو كليهما قال :

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى ليتجر لعبده من وراء كل تاجر حتى يأتيه برزقه ، أنى يكون » . فقال رجل : يا رسول الله وإن كان من الأسناب ؟ . قال : « وإن كان من الأسناب »[٢٣٢] .

وقال سهل بن عبد الله : من طعن على الحرقة فقد طعن على الإيمان .

وقال الفضيل :

لو أن رجلًا وثق بالله فى رزقه ، وتوكل عليه بنية صادقة ، كفاه الله مؤونة

---

(٢٣١) البخارى (١/٤٠) ، ومسلم (١٦/٥٣) ، وأحمد (٢/٢٤٠ ، ٢٧٤) .

(٢٣٢) إسناده موضوع . فى سنده نصر بن طريف ، القصاب ، قال أحمد : لا يكتب حديثه ، وقال النسائى وغيره : متروك الحديث ، وقال يحيى : من المعروفين بوضع الحديث ، وقال الفلاس : ممن أجمع عليه من أهل الكذب أنه لا يروى عنهم قوم ، منهم أبو جزى القصاب . انظر : التاريخ الكبير (٤/١٠٥) ، والصغير (٢/١٥٧) ، الضعفاء للنسائى (٥٩٣) ، وللعقيلى (١٨٩٤) ،الجرح والتعديل (٤/٤٦٦) ، المجروحين (٣/٥٢) ، الضعفاء للدارقطنى (٥٤٤) ، الميزان (٤/٢٥١) ، اللسان (٦/١٥٥) .

السنباب : الرجل الكثير الشر ، والسنوب : الرجل الكذاب المغتاب .

كل شيء ، ولكن لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم من الصالحين ولقد كانوا يستأجرون أنفسهم ولا يقعدون حتى يرزقون ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ ﴾[٢٣٣] فلابد من طلب المعيشة لا يقال إن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا ليسنوا الأسباب للضعفاء .

فإنا نقول مثل هذا القول لا يصدر إلا من الجهال السفهاء ، أو من طاعن فى الكتاب والسنة العلياء ، وقد أخبر الله تعالى فى كتابه عن أخذ أصفيائه ورسله وأنبيائه بالأسباب ، والاحتراف فقال – وقوله الحق – : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾[٢٣٤] .

وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ ﴾[٢٣٥] .

قال العلماء : أى يحترفون ويتجرون .

وقال تعالى ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾[٢٣٦] .

وكان الصحابة يتجرون ويحترفون وفى أموالهم يعملون ، ولمن خالفهم من الكفار يقاتلون ، أتراهم ضعفاء ؟! بل هم والله كانوا الأقوياء ، وبهم الخلف الصالح اقتدى وطريقهم فيه الهدى والاهتداء ، لا يقال إنهم إنما تناولوا الأسباب لأنهم أئمة الاقتداء ، فتناولوها مباشرة فى حق الضعفاء ، وأما فى حق أنفسهم فلا .

---

(٢٣٣) سورة الجمعة : ١٠ .
(٢٣٤) سورة الأنبياء : ٨٠ .
(٢٣٥) سورة الفرقان : ٢٠ .
(٢٣٦) سورة الأنفال : ٦٩ .

وبيان ذلك أصحاب الصفة ، فإنا نقول لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول معهم البيان كما ثبت فى القرآن .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٢٣٧] .

وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾[٢٣٨] الآية وهذا من البينات والهدى .

وأما أصحاب الصفة ، فإنهم كانوا ضيف الإسلام عند ضيق الحال فكان ﷺ إذا أتته صدقة خصهم بها ، وإن أتته هدية شاركهم فيها ، وأكلها معهم ، وكانوا مع هذا يحتطبون ويسوقون الماء إلى أبيات رسول الله ﷺ . كذا وصفهم البخارى فى كتابه ، وكانوا سبعين رجلًا فيما قال أبو هريرة ما لهم أردئة فلما فتح الله عليهم البلاد ومهد لهم المهاد ، تأمروا بالأسباب أمراء ، ثم إن هذا القول يدل على ضعف النبى ﷺ وأصحابه لأنهم أيدوا بالملائكة ، وثبتوا بهم فلو كانوا أقوياء ما احتاجوا إلى تأييد الملائكة ، وتثبيتهم ، إذ ذلك سبب من أسباب النصر ، نعوذ بالله من قول وأخلاق تؤول إلى هذا بل القول بالأسباب ، والوسائط سنة الله وسنة رسوله ، وهو الحق المبين ، والصراط المستقيم الذى انعقد عليه إجماع المسلمين ، وإلا كان يكون قوله الحق :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[٢٣٩] الآية .

وقوله ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾[٢٤٠] وشبهه مقصور على الضعفاء وجميع الخطابات كذلك .

---

(٢٣٧) سورة النحل : ٤٤ .
(٢٣٨) سورة البقرة : ١٥٩ .
(٢٣٩) سورة الأنفال : ٦٠ .
(٢٤٠) سورة النساء : ١٠٢ .

وفى التنزيل حيث خاطب موسى الكليم ﴿ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾[٢٤١] وقد كان قادرًا على فلق البحر دون ضرب عصى ، وكذلك مريم عليها السلام ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[٢٤٢] وقد كان قادرًا على سقوط الرطب دون هز ولا تعب .

وأنشدوا :

ألم تَرَ أن اللهَ قَالَ لمريم	فهزى إليك الجذعَ يَسَّاقَط الرُّطَبْ
ولو شاء أن تجنيه من غير هَزِّهَا	جنته ولكن كُلُّ شيء له سَبَبْ[٢٤٣]

فإن قيل : كانت مريم عليها السلام يأتيها رزقها من غير سبب وتقول لزكريا : هو من عند الله .

قيل له : إنما كان ذلك ارهاصًا أى : ابتداءً لأمر عيسى ، وإكرامًا لزكريا عليهما السلام ، فقد كان كافلها والقائم عليها ، ولم تكن تخلو مع ذلك من عمل لأنها كانت تخرج من المسجد ، فتأتى السقاية لطلب الماء بأمر جبريل عليه السلام لها فى ذلك ، وقد هربت بعيسى عليه السلام لما خافت عليه ، وليس ما يكون لأجل الأنبياء عليهم السلام قياس ، فأخفى الله تعالى حكمته فى الأسباب ، وربط المسببات بها حكمة منه للعباد فى وصولهم إلى المراد ، وليرتب على ذلك ثوابهم ، وعقابهم فى المعاد .

قلت : ومع هذا فلا يذكر أن يكون رجل يلطف به ، ويغاث ، أو تجاب دعوته ، أو يكرم بكرامة فى خاصة نفسه ، أو لأجل غيره ، حسب ما ذكرناه عنهم ، وعليه يحمل ما ذكرنا قبلًا ولا تهد لذلك القواعد الكلية ، والأمور الجلية .

---

(٢٤١) سورة الشعراء : ٦٣ .

(٢٤٢) سورة مريم : ٢٥ .

(٢٤٣) أوردهما ابن عبد ربه فى بهجة المجالس (١٤٢/١) ولم ينسبهما لأحد .

ألا يقال : فقد قال تعالى : ﴿ وفى السماء رزقكم ﴾ .

فإنا نقول : صدق الله ، وصدق رسوله ، الرزق هاهنا المطر كما ذكرنا والدليل عليه قوله تعالى ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾[٢٤٤] ولم ير من السماء تنزل أطباق الخبز ، ولا جفان اللحم وغير ذلك من الأسباب ، والحرث والغرس أصل فى وجود ذلك ، وقد يسمى الشيء باسم ما يؤل إليه فيسمى المطر رزقًا ، لأنه عنه يكون الرزق وذلك شهير ، وفى كلام العرب كثير ، وقال عليه الصلاة والسلام :

« لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يأتى رجلا أعطاه ، أو منعه »[٢٤٥] .

وهذا فيما خرج بغير تعب من الحشيش ، والحطب ، ولو قدر رجل (........)[٢٤٦] منقطعا عن الناس ، والرجل يعيش بما تخرجه الآكام وظهور الأعلام ، لكان لابد له من الخروج إليه من موضعه يجمعه ويتناوله ، ويأكله ، وهو معنى قوله ﷺ :

« لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا »[٢٤٧] .

فالطير تغدو لطلب الرزق ، ولا تقع إلا حيث ترى لقطًا ، ولا تزال تسبح فى الهواء حتى ترى ماءً فتنزل عليه ، وكل ذلك ابتغاء للرزق ، فغدوها

---

(٢٤٤) سورة ق : ٤٣٧ .

(٢٤٥) سبق تخريجه .

(٢٤٦) بياض بالأصل مقدار كلمتين .

(٢٤٧) سبق تخريجه .

ورواحها سبب ، والعجب العجيب بمن يدعى التجريد والتوكل على التحقيق ، ويقعد على بنيات الطريق ، ويدع الطريق المستقيم ، والمنهج الواضح القويم .

ثبت فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا سألوا الناس(٢٤٨) ، فأنزل الله تعالى ﴿ وتزودوا ﴾(٢٤٩) وقد زدنا هذا المعنى بيانًا فى كتاب جامع أحكام القرآن .

ولم ينقل عن النبى ﷺ ولا عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم أنهم خرجوا إلى أسفارهم بغير زاد ، وكانوا المتوكلين حقًا .

والتوكل حقيقته اعتماد القلب على الرب فى أن يلم شعثه ، ويجمع عليه إربه ، ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر وهذا هو الحق .

سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل فقال :

إنى أريد الحج على قدم التوكل ؟

فقال : اخرج وحدك ، فقال : لا إلا مع الناس .

قال : فأنت إذا متكل على أجربتهم .

قلت : صدق الإمام أحمد رضى الله عنه ، فإن الإنسان إن كان قوى القلب بالله سبحانه ، متوكلًا عليه ، واثقًا به أنه يرزقه من غير زاد ، وأن الزاد يشغله عن عبادته ، فليخرج كيف شاء منفردًا ، والله يرزقه ، إما غذاء أو قوة تقوم مقام الغذاء .

وإن كان قد تعود ذلك ، وإن كان ضعيفًا يخاف على نفسه فليخرج بالزاد

---

(٢٤٨) البخارى (٢/١٦٥) .
(٢٤٩) سورة البقرة : ١٩٧ .

إيجابًا ، وعلى هذا يحمل ما روى عن سفيان بن عيينة وسأله رجل فقال : أأدخل النار بالتوكل ؟ قال : نعم ، وسأله آخر : فقال : لا ، فإما إن كان مقتدًا به يريد أن يبين أن أخذ الزاد مباح أو ينوى به عون مسلم ،أو إغاثة ملهوف ، فالأخذ أفضل ، وبالجملة فأخذ الزاد من مالك خير من أخذه من مال الناس ، والاتكال عليهم ، لا خلاف فى هذا ، فالمتوكل يحمل الزاد وقلبه مع رب الزاد ، ويقول إن الرزق مقسوم ، مفروغ منه ، والله تعالى إن شاء أقام بنيتى بهذا أو غيره ، فليس الشأن فى أخذ الزاد إنما الشأن فى القلب ، فكم من حامل للزاد ، وقلبه مع الله تعالى وهذا كان شأن الصحابة رضوان الله عليهم ، وكم تارك زاد ، وقلبه مع الزاد دون الله تعالى ، فالشأن إذًا فى القلب ، فتفهم هذا فإنه يريحك مما قيل فى التوكل . والله أعلم .

وقال معاوية بن قرة :

أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قوم فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، قال : بل أنتم المتكلون ، ألا أخبركم بالمتوكلين ، رجل ألقى حبة فى بطن الأرض ، ثم توكل على الله تعالى[٢٥٠] .

وقوله : المتكلون أى : على أموال الناس .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

يا معشر الشباب ارفعوا رؤوسكم ، فإن الطريق قد وضح ، من لم يعمل منكم اتهمناه ، ومن عمل حمدناه .

وقال الحجاج بن المنهال :

كنت أمشى مع حماد بن سلمة ، فى حاجة ، فمر بباب السلطان فوقف وقبض على لحيته وقال :

---

(٢٥٠) أخرجه ابن أبى الدنيا (١١) فى التوكل على الله .

الحمد لله الذى دلنا على السوق ، وأغنانا عن أبواب هؤلاء .

قال الحجاج : وكان حماد بن سلمة يجيء إلى السوق فيجلس قدر ما يربح لمئة دراهم ثم ينصرف ويقول : يكفينى هذا المقدار هذا قوتى ، وهذا قوت عيالى .

وقال سفيان : إنما افتضح أصحابنا حين احتاجوا .

وقال : العالم إذا لم يكن له معيشه صار وكيلًا للظلمة ، والعابد إذا لم يكن له معيشة أكل بدينه .

وقد تقدم عن عمر رضى الله عنه :

لأن يأكل الرجل بالطنبور والمزمار خير له من أن يأكل بدينه .

وعن سعيد بن المسيب فى الذى يقيم فى المسجد وليس له ما يقيمه أنه ملحف فينبغى له أن يعمل ويكتسب والله أعلم .

الباب الموفى عشرين

فى إعطاء الفضل وبيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى

خرّج مسلم عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ :

« يَابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ من الْيَدِ السُّفْلَى »[٢٥١] .

فصل

قال : قوله (ولا تلام على كفاف) يفهم منه محكم دليل الخطاب ، أن ما زاد على الكفاف يتعرض صاحبه للوم ، والله أعلم .

وقد قال فى الفضل إن تمسكه شر لك ، ولا شك فى أن إخراج الفضل خير من إمساكه ، (........)[٢٥٢] إمساكه عن الواجبات فشر على كل حال وأما إمساكه عن المندوبات فقد يقال : فيه شر بالنسبة إلى ما فوق الممسك على نفسه من الخير ، والثواب الذى لا يقوم له شىء من متاع الدنيا ، ولا جميعها لو ملكها فأمسكها .

وأما قوله : (واليد العليا خير من اليد السفلى) فبين ، وقد جاء صريحًا عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر

---

(٢٥١) مسلم (٧/١٢٦–١٢٧) .

(٢٥٢) بياض فى الأصل .

ـ وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة ـ :

« الْيَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِن الْيَدِ السُّفْلَى ، وَالْيَدُ العُلْيَا المُنفِقَةُ وَالْيَدُ السُّفْلَى السائِلَةُ »(٢٥٣) وهذا نص .

وروى أبو داود عن مالك بن نضلة قال : قال رسول الله ﷺ :

« الأيدى ثلاثة ، فيد الله تعالى العليا ، ويد المعطى التى تليها ، ويد السائل السفلى ، فاعط الفَضْلَ ، ولا تعجز عن نفسك »(٢٥٤) ، وهذه مرتبة لا ينبغى أن يقصر العبد فى طلبها وشكر نعمتها .

وفى البخارى قال عبد الله قال النبى ﷺ :

« أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ » ، قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ »(٢٥٥) .

أخرجه النسائى أيضا .

ولقد أحسن أبو العتاهية رحمه الله حيث يقول :

اسْعَدْ بمالِكَ فى الحياةِ فإنمَّا ... يَبْقَى وَراكَ مُصْلحٌ أَوْ مُفْسِدُ

فإذا تركتَ لمُفْسِدٍ لم يُبْقِهِ ... وَأَخُو الصَّلاحِ قليلُهُ يتَزَيَّدُ

فَإِذَا استطعتَ فكن لنفسك وارثًا ... إن المورِّثَ نفسَهُ لمسَدَّدُ(٢٥٦)

ولمنصور الفقيه :

كل مال ليس للبر من أيدى باذليه ... فهو للوارث والوزر على مكسبيه

---

(٢٥٣) البخارى (٢/١٤٠) ، ومسلم (٧/١٢٤) ، وأحمد (٢/٦٧) .

(٢٥٤) صحيح . أخرجه أبو داود (١٦٤٩) ، وأحمد (١/٤٤٦) ، (٣/٤٧٣) ، (٤/١٣٧) ، والحاكم ، (١/٤٠٨) ومن حديث عبد الله (١/٤٠٨) .

(٢٥٥) البخارى (٨/١١٦) ، أحمد (١/٣٨٢) ، النسائى (٦/٢٣٧) .

(٢٥٦) الأبيات فى بهجة المجالس (٣/٢٥٨) ، العقد الفريد (١/١٢٤) ولم ينسبها لأحد .

فى أبيات يأتى ذكرها .

وقد عكست بعض مشايخ الصوفية أحاديث هذا الباب مع صحتها بأن قالوا : اليد العليا هى يد السائل ، واليد السفلى هى يد المعطى ، لأن الله سبحانه هو الذى يعطيها للسائل ، فصارت يد الفقير أعلى فى هذا المعنى ، وهذا تعسف فى التأويل ، ورد لنص الحديث ، بل يد المعطى هى العليا .

وحديث أبى داود نص ، وقد قيل : إن فائدة قوله : (ويد السائل السفلى) الزجر عن مسألة الخلق ، والرجوع إلى الحق ، وأن يتعفف المؤمن عن سؤال الخلق ؛ صيانة لعزائمه ، وصبرًا تحت حكم سيده فى فقره ، فتعلو يده ولا تسفل مرعبه ، وهذا حسن عال جدا فتأمله .

فإن قيل : فقد قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾[٢٥٧] .

فإذا كان الحق سبحانه وتعالى هو الذى يأخذها كانت يد السائل أعلى .

قلنا : أخذه سبحانه وتعالى عبارة عن قبولها والإثابة عليها إذا كانت من كسب طيب كما فى صحيح مسلم :

« لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل »[٢٥٨] الحديث .

وروى « إن الصدقة لتقع فى يد الرحمن قبل أن تقع فى كف السائل فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله »[٢٥٩] والله يضاعف لمن يشاء فهذا كله كناية عن

---

(٢٥٧) سورة التوبة : ١٠٤ .

(٢٥٨) البخارى (٢/١٣٤) ، مسلم (٧/٩٨) ، أحمد (٢/٣٣١) .

(٢٥٩) صحيح . أخرجه الترمذى (٦٥٦) وقال : حسن صحيح ، والنسائى (٥/٥٧) ، وابن ماجه (١٨٤٢) .

القبول والجزاء عليها ، وقد جعل النبى ﷺ يد المعطى تلو يد الحق سبحانه ، ويد السائل سفلى ، فلا كلام معه ، ومعنى (فى كف الرحمن) فى كفة ميزان الرحمن[٢٦٠] ، فيكون من باب حذف المضاف .

وروى عن مالك والثورى وابن المبارك أنهم قالوا فى تأويل هذا الحديث وما شابهه ، أمروها بلا كيف ، قاله الترمذى .

= قوله (فلوه) أى الصغير من أولاد الفرس ، فإن تربيته تحتاج إلى مبالغة فى الاهتمام به عادة .

قوله (فصيله) الفصيل : ولد الناقة .

(٢٦٠) هذا التفسير تأويل من المصنف لمعنى الحديث ، وسلف الأمة يمرون على مثل هذه الأحاديث ولا يؤولونها فتنبه .

الباب الحادى والعشرون

فى كراهته الحرص على المال والعمر

خرّج مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :

« قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ طُولُ الْحَيَاةِ وَحُبُّ الْمَالِ »[٢٦١]

وعن أنس قال رسول الله ﷺ :

« لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى لَهُمَا واديًا ثالثًا ، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابَ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ »[٢٦٢] .

قلت : وفى صحيح مسلم عن ابن عباس وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما .

وذكر ابن أبى الدنيا قال حدثنى سريج بن يونس قال : حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن زكريا بن أبى زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة ، عن كعب بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ ، أُرْسِلَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الرجلِ عَلَى الْمَالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ »[٢٦٣] .

أخرجه الترمذى فى سننه .

---

(٢٦١) مسلم (١٣٨/٧) ، الترمذى (٢٤٤١) ، ابن ماجه (٤٢٣٣) ، أحمد (١٥/٣ ، ١١٩ ، ١٦٩) .

(٢٦٢) مسلم (١٣٩/٧) ، وأحمد (٢٤٧/٣ ، ٣٤١) ، (٢١٩/٥) .

(٢٦٣) صحيح : أخرجه أحمد (٤٥٦/٣ ، ٤٦٠) ، وابن المبارك (١٨١) فى الزهد ، والترمذى (٢٤٨٢) عنه ، وقال : حسن صحيح ، والدارمى (٢٧٣٣) ، وابن حبان (٢٤٧٢) ، والطبرانى (٩٦/١٩) ، فى الكبير .

وعن مكحول قال : خطب علي رضي الله عنه الناس فقال :

يا أيها الناس إياكم والحرص ، إياكم والطمع ، إياكم والجشع ، وتبلغوا من الدنيا بأيسرها ، فلقد رأيت نبيكم ﷺ يطوى الأيام جوعًا ، يأكل الشعير ، ويلبس الصوف ، وينتعل المخصوف[٢٦٤].

ولأعرابي من بني فزارة :

إن القناعة نصف العيش فارض بها ... لا تحرصن فإن الحرص تعذيب
لا تخدعنك (.....)[٢٦٥] بعد تجربة ... فقد رأيت وفى الأيام تجريب

ولأبي العتاهية :

الحِـرْصُ دَاءٌ قَدْ أَضَرَّ ... بِمَـنْ تَرَى إِلَّا قَلِيـلَا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ قَدْ رَأَيْتَ ... الحِرْصَ صَيَّـرَهُ ذلِيـلَا
فَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ وَاحْذَرْ ... أَنْ تكونَ لَهَـا قَتِيـلَا
فَلَـرُبَّ شَهْـوَةِ سَاعَـةٍ ... قَدْ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طويلًا[٢٦٦]

قال محمد بن أبي حازم :

لَعَمْرُكَ القَلِيلُ أصونُ وَجْهِي ... بِهِ فى الأوحدين وفى الجميع
أحبُّ إِلَيَّ من طَلَبِي كثيرًا ... تمدّ إليه أَعْنَاقُ الخُضُوعِ
فلا تَرْغَبْ إلى أحدٍ بحِرْصٍ ... رفيعٍ فى الأمورِ ولا وَضِيعِ[٢٦٧]

وأنشد بن شُبْرُمة :

قنوع النفس يعقبها رواح ... وحرص النفس لذل الهوان

---

(٢٦٤) فيه انقطاع بين مكحول ، وعلي رضي الله عنه .
(٢٦٥) بياض بالأصل .
(٢٦٦) ديوان أبي العتاهية (ص/٢١٧) ، وبهجة المجالس (١٥٦/١) .
(٢٦٧) بهجة المجالس (٣١٢/٣) .

وليس بزائد فى الرزق حرص | وليس بناقص منه التوانى
إذا الرحمن سبب رزق عبد | أتاه فى التنائى والتدانى
فلا تعجل طلاب الرزق واصطبر | على ما كان من حدث الزمان
حصاد المرء ما زرعت يداه | فشك المرء يكشف بالعيان

وقال آخر :

شَرَهُ النفوسِ عَلَى النفوسِ بَلِيَّةٌ | فتعوّذوا من كل نفسٍ تَشْرَهُ
ما من فَتىً شرهت له نفسٌ وإن | نَالَ الغنى إلا رأى ما يكرهُ(٢٦٨)

وقال المدائنى :

اثنان لا يجتمعان أبدًا : القنوع والحسد ، واثنان لا يفترقان : الحرص والطمع .

---

(٢٦٨) المصدر السابق (٣١٣/٣) .

الباب الثانى والعشرون

فى قوله عليه الصلاة والسلام « ليس بالغنى كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس »

خرّج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ »(٢٦٩) .

فصل

العرض بفتح الراء : هو حطام الدنيا ومتاعها ، كما روى :

« الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر »(٢٧٠) .

ومنه قوله تعالى ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾(٢٧١) .

المعنى أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس ، وبيانه أنه إذا استغنت النفس كفت عن المطامع ، فعزت وعظمت .

وأنشدوا :

إذا ضر من ترجو عليك نفعه فدعه فإن الرزق فى الأرض واسع

---

(٢٦٩) البخارى (١١٨/٨) ، ومسلم (١٠٥١) ، وأحمد (٢٤٣/٢ ، ٢٦١ ، ٣١٥ ، ٣٩٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٥٣٩ ، ٥٤١) والترمذى (٢٣٧٤) ، وابن ماجه (٤١٣٧) .

(٢٧٠) أخرجه أبو نعيم (٢٤٤/٤) فى الحلية ، وابن أبى الدنيا (١٧) فى التوكل على الله ، من كلام عون بن عبد الله .

(٢٧١) سورة الأنفال : ٦٧ .

ومن كانت الدنيا مناه وهمه سباه المنى واستعبدته المطامع
ومن عقل استحى وأكرم نفسه ومن قنع استغنى فهل أنت قانع

وروى أبو ذر أن النبي ﷺ قال له :

« يا أبا ذر : أترى كَثْرَةَ المالِ هُوَ الغِنى ؟ » قلت : نعم ، قال : « وَترى قلة المال هو الفقرُ ؟ » ، قلتُ : نعم ، قال : يا نبي الله : « لَيْسَ كذلك إنَّمَا الغِنَى غِنَى القلبِ والفَقْرُ فَقْر القلبِ »[٢٧٢] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا جَعَلَ غِنَاهُ في قلبِهِ وتُقاهُ فِي نفسِهِ »[٢٧٣] .

وروى الترمذي وابن ماجه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ »[٢٧٤] .

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول في الأصل الموفى ستين ومائتين قال : حدثني أبي رحمه الله قال : حدثني إسماعيل بن صبيح اليشكري قال :

---

(٢٧٢) **صحيح** . أخرجه ابن حبان (٣٧/٢) ، والحاكم (٣٢٧/٤) وصححه على شرط البخاري ، وأقره الذهبي ، وأخرجه الطبراني (١٦٤٣) في الكبير ، وقال الهيثمي (٢٣٧/١٠) في مجمع الزوائد : فيهم من لم أعرفهم .

وقد عزاه صاحب كنز العمال (٦١٨٨) ، (٨٥٩١) إلى النسائي ، ويبدو أنه في السنن الكبرى ، حيث إنني لم أجده في المجتبى .

(٢٧٣) **ضعيف** . أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، والديلمي ، وضعفه الشيخ الألباني ، ضعيف الجامع (١٣٦) .

(٢٧٤) **صحيح** . أخرجه الترمذي (٢٥٨٣) ، وابن ماجه (٤١٠٥) ويراجع تخريج الحديث في كتاب الزهد لابن الأعرابي ، طبع بمكتبة الصحابة .

حدثنا صباح بن واقد الأنصارى عن إسماعيل بن رافع المدنى عن دويد بن نافع المدنى يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه قال :

« إن الله تعالى أنزل فى بعض ما أنزل من الكتب قسمًا يقسمه يقول : وعزتى وجلالى وجمالى وعلوى ، ودنوى ، وارتفاع مكانى ، لمن آثر هواى على هواه لأجمعن له شمله ، ولألفينه ما أهمه ، ولأجعلن غنا فى قلبه ، ولأضمنن السموات والأرض رزقه ، ولأتجرن له من وراء تجارة كل تاجر ، ولمن آثر هواه على هواى لأشتتن ، أو قال : لأشككن عليه أمره ولأجعلن فقره بين عينيه ، ولأحضرنه همومه الحاضرة منها والغائبة والقديم منها والحديث حتى لا يدرى من أين تجيئه ومن أين تأخذه »[275] .

قال العلماء : الإشارة فى هذا الباب لا ينبغى للنفس أن تحرص ولا أن تلحف فى الطلب ، وعلامة غنى القلب القناعة والرضى بما وجدوا وعكوف همه على المسبب دون السبب كما تقدم والله أعلم .

وأنشد ابن دريد لسالم بن وابصة :

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة ... فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال حماد الراوية : أحكم بيت قالته العرب قول القائل منهم :

يقولون نستغنى ووالله ما الغنى ... من المال إلا ما يكف وما يكفى

وذكر ابن أبى الدنيا قال : حدثنى الحسن بن الصباح حدثنا ابن يعقوب حدثنى محمد بن عبيد الله الحذاء قال :

---

(٢٧٥) ضعيف . فيه إسماعيل بن رافع ، من الضعفاء ، التاريخ الكبير (٣٥٤/١) ، الضعفاء للنسائى (٣٢) ، وللعقيلى (٨٣) ، الجرح والتعديل (١٦٨/١٠) ، الميزان (٢٧٧/١) ، التهذيب (٢٩٥/١) ، التقريب (٦٩/١) .

وقد أرسل هذا الحديث . التقريب (٢٣٦/١) .

حججت فمررت بالمدينة فسألت عن العمرى عبيد الله بن عبد العزيز فوجدته فى بادية فأتيته بين يديه خضرة فسلمت .

قلت : نأيت عن الناس .

قال : ما استطعت أن تنأى عنهم فافعل .

قلت : ما ترى فى الاعتمال .

قال : اعتمل بالبلغة[276] وانظر لمن تعمل ، ألا أسمعك أبياتًا قلتها ؟ .

قلت : بلى . قال :

فمالى من عبد ومالى وليدة وإنى لفى فضل من الله واسع

بنعمة ربى ما أريد معيشة سوى رزق يوم من معيشة قانع

---

(276) البلغة : ما يتبلغ به ، أى يصل به المرء إلى مراده .

الكفاف والقناعة

القسم الثانى
من كتاب

قمع الحرص بالزهد والقناعة
ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

تحقيق

مجدي فتحي السيد

الباب الثالث والعشرون
فى
الكفاف والقناعة وتجملهما والاكتفاء بالقوت

قال علىّ وابن عباس – رضى الله عنهما – وعكرمة ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظى – رحمهم الله – فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[1] .

قالوا : بالقناعة[2] . وقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[3] . وفى صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله ﷺ قال : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ »[4] . وأخرجه ابن أبى الدنيا بمعناه ، عن فضالة بن عبيد ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « طُوبَى لِمَنْ هُدِىَ للإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا ، وَقَنَعَ بِمَا آتاه الله عز وجل »[5] وأنشدوا :

---

(١) سورة النحل : ٩٧ .

(٢) تفسير الطبرى (٧ / ١١٥) ، تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٥) ، تفسير القرطبى (ص / ٣٧٩٠) .

(٣) سورة الأعراف : ١٤٤ .

(٤) أخرجه مسلم (٧ / ١٤٥) ، وأحمد (٢ / ١٦٨ ، ١٧٣) ، وابن ماجه (٤١٣٨) بلفظ : (قد أفلح من هدى إلى الإسلام) ، وكذا الحاكم (٤ / ١٢٢) من حديث فضالة بن عبيد .

(٥) أخرجه الترمذى (٢٤٥٣) ، وابن المبارك (٥٥٣) فى الزهد ، وأحمد (٦ / ١٩) ، وابن حبان (٢ / ٤٥) ، والحاكم (١/ ٣٥) وصححه ووافقه الذهبى ، وقال الترمذى : هذا حديث صحيح ، وصححه الشيخ الألبانى ، انظر : صحيح الجامع (٣٨٢٦) .

[شرح الحديث] : قوله (قد أفلح) أى : فاز وظفر بالمقصود ، (من أسلم) أى : انقاد لربه ، (ورزق) أى من الحلال ، (كفافا) أى : ما يكف من الحاجات ويدفع الضرورات ، (وقنعه الله) أى : جعله قانعا بما آتاه . نقلا عن تحفة الأحوذى (٧ / ٢٥) .

كن بما أوتيته مقتنعًا تقتفي عيش القنوع المكتفي
كسراج دهنه قوت له فإذا غرقته فيه طفي[1]

وقال آخر :

طوبى لمن رُزِقَ الكفاف وكان منه فى كفاية
فلهذه الدنيا الدنية والمقام بها نهاية
وذهاب مَنْ كان قبلك فيه موعظة وآية

وروى الترمذى وابن ماجه عن أبى أمامة ، عن النبى ﷺ قال : « إنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِى عِنْدِى لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الحَاذِ ، ذو حَظٍّ مِنَ الصَّلاةِ ، أَحْسَنَ عِبادةَ رَبِّه ، وَأَطَاعَهُ فى السِّرِّ ، وكان غَامِضًا فِى النَّاس ، لا يُشارُ إليهِ بالأَصَابِعِ ، وكان رِزْقُهُ كَفَافًا فَصبرَ على ذلك » ثم نَقَرَ بِإِصْبَعَيْه ، فَقَالَ : « عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ ، قَلَّ تُراثُهُ »[2] . ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحمَّدٍ قوتًا »[3] .

وروى الترمذى ، عن عبيد الله بن محصن الخطمى — وكانت له صُحبة — قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فى سِرْبِهِ ، مُعَافًى فى جَسدِهِ ، عِندَهُ قُوتُ يوَمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيا بحذافيرها »[4] . وقال : حديث حسن غريب .

---

(١) كذا بالأصل ، ولعل الصواب : (انطفى) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٤٥١) وقال : على بن يزيد ضعيف الحديث ، وابن ماجه (٤١١٧) بنحوه ، وأحمد (٥ / ٢٥٢) ، والحاكم (٤ / ١٢٣) وصححه ، فتعقبه الذهبى بقوله : لا ، بل إلى الضعف هو ، وحسن الحديث الشيخ الألبانى ، انظر : تخريج المشكاة (٥١٨٩) ، ضعيف الجامع (١٣٩٧) .

(٣) البخارى (٨ / ١٢٢) بلفظ (اللهم ارزق) ، وأخرجه مسلم (٧ / ١٤٥ — ١٤٦) ، الترمذى (٢٤٦٦) ، ابن ماجه (٤١٣٩) ، أحمد (٢ / ٢٣٢) ، (٢ / ٤٤٦ ، ٤٨١) ، البيهقى (٢ / ١٥٠) ، (٧ / ٤٦) فى السنن الكبرى ، والبغوى (٥١٦٤) فى المشكاة .

(٤) الترمذى (٢٤٤٩) ، وابن ماجه (٤١٤١) ، والبخارى (ص / ٩١) فى الأدب المفرد ، وابن حبان (٢ / ٣٢) ، وأبو نعيم (٥ / ٢٤٩) ، قال الشيخ الألبانى : حسن . انظر : صحيح الجامع =

وأخرجه الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السنى الحافظ ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ابن آدمَ عِنْدَكَ ما يَكفيكَ وأنت تَطلب ما يُطغيكَ ، ابن آدم ، لا بقليلٍ تَقنعُ ، ولا بكثيرٍ تَشبعُ ، ابن آدم ، إذا أصبحت مُعافًى في جسدِك ، آمنًا في سربك ، عندك قوت يومِك ، فعلى الدُّنيَا العفاء »[1] .

وأنشدوا :

رضيت من الدنيا بقوت يقيمني   فلا أبتغي من دونه أبدًا فضلا
ولست أروم القوت إلا لأنه   يعين على علم أردُّ به جهلا

وقف أعرابيٌّ على الحسن وهو يعظ جلساءه ، فقيل : يا أعرابي ، ما أظنك تحسن شيئا مما نحن فيه ؟ فأنشد يقول :

مهما جهلت فقد علمت   بأنني بشرٌ أموت
والناس فى طلب الغنى   وغناهم من ذاك قوت
شادوا لغيرهم فبا   دوا والقبور هى البيوت

= برقم (٥٩١٨) .

[شرح الحديث] : قوله : (من أصبح منكم) أى : أيها المؤمنون (آمنا) أى : غير خائف من عدو (فى سربه) المشهور كسر السين ، أى : فى نفسه ، وقيل : السرب الجماعة ، فالمعنى : فى أهله وعياله ، وقيل بفتح السين ، أى : فى مسلكه وطريقه ، وقيل بفتحتين ، أى : فى بيته ، والمراد : المبالغة فى حصول الأمن ، ولو فى بيت تحت الأرض ضيق كجحر الوحش ، أو التشبيه به فى خفائه وعدم ضياعه . (معافى) اسم مفعول من باب المفاعلة ، أى : صحيحا سالمًا من العلل والأسقام . (فكأنما حيزت) بصيغة المجهول من الحيازة ، وهى الجمع والضم . الحذافير : الجوانب ، وقيل الأعالى ، واحدها حذفار أو حذفور ، والمعنى : فكأنما أعطى الدنيا بأسرها . انتهى نقلا عن تحفة الأحوذى (٧ / ١١) .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٩) وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه أبو بكر الداهرى وهو ضعيف ، وحكم عليه بالوضع الشيخ الألبانى ، انظر : ضعيف الجامع (٥٠) .

قوله : (فعلى الدنيا العفاء) الهلاك والدروس ، وذهاب الأثر ، ومنه قولهم : عليه العفاء . إذا دعا عليه ليعفو أثره .

وقال آخر :

ألا إن رزق الله ليس يفوت فلا ترغبن[1] إن القليل يقوت
سأقنع بالمال القليل لأنني رأيت أخا المال الكثير يموت

قال ابن أبي الدنيا حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : أنشدني عبد الله بن صالح بن مسلم :

يا أيها النزال من باكر ورائح إذ مدلج سار
لا تتعبوا في الرزق أبدانكم فإنما الـرزق بمقـدار
قنعت فاستغنى فؤادي بما أعطيت من قوت وأطمار
فلم أنافس في الغنى أهله ولا تطاولت على جار
والفقر خير من غنى واسع يورث طول الذل في النار

وعن أبي عمر الشيباني قال : سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال : أي رب ، أي عبادك أحب إليك ؟ قال أحبهم لي ذكرًا . قال : أي رب ، فأي عبادك أغنى ؟ . قال : أقنعهم بما أعطيته . قال : أي رب ، فأي عبادك أعدل ؟ قال : « مَنْ دان نفسه » .

وعن ابن عباس قال : قال موسى عليه السلام : يا رب ما علامة من صافيته من خلقك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : أقنعه باليسير ، وأدخر له في الآخرة الكثير . وعن ابن عباس أيضًا قال : قال موسى عليه السلام : يا رب ، أي عبادك أغنى ؟ قال : الراضي بما أعطيته . قال : فأي عبادك أحب إليك ؟ قال : أكثرهم لي ذكرًا . قال : يا رب ، فأي عبادك أحكم ؟ قال : الذي يحكم على نفسه بما يحكم به على الناس .

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ما طَلعتْ شَمْسٌ قَطُّ ، إلَّا بعثَ بِجَنبَيهَا مَلكينِ يُنادِيان ، إنَّهما لَيُسْمِعَانِ مَنْ على الأرضِ غَيرَ الثَّقلَيْنِ : يَا أَيُّها النَّاسُ ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكُمْ ؛ فَإنَّ

---

(١) كذا بالأصل ، وأورده ابن عبد البر (٣ / ٣٠٥) لمنصور الفقيه ، وفيه (فلا تُرْغَنْ) .

ما قلَّ وَكفى ، خَيرٌ ، مِمَّا كثُرَ وألْهى ، ولا غابتْ شَمْسٌ قَطُّ ، إلَّا بعث بجنبيها ملكين يناديان : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا »[1] .

وأخرج ابن أبى الدنيا قال : حدثنا داود بن عمرو بن زهير الضبى ، حدثنا محمد بن الحسن الأسدى ، عن أبى بكر بن عياش ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّنِى فارزقْهُ العفَافَ والكفافَ ، وَمَنْ أَبْغضنِى فأَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ »[2] . حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا وكيع ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة ، عن سعد بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيرُ الرزقِ مَا يكفى ، وخيرُ الذكرِ الخفى »[3] . حدثنى محمد بن العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن جبلة بن عبد الرحمن الباهلى ، حدثنا صدقة بن المثنى بن عبد الله الكعبى بن سعد ، قال : سمعت كعب بن مالك بن زيد بن كعب ، يحدث عن أبيه ، قال : سمعت رجلًا من بنى آدم ، يقال له مالك بن مرارة ، يقول : سمعت أبا بكر الصديق يقول : قال لى رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر إذا

---

(1) أخرجه أحمد (٢ / ٥١٩) ، وأبو نعيم (٢ / ٢٣٣) فى حلية الأولياء ، والحاكم فى مستدركه (٢ / ٤٤٥) وصححه وأقره الذهبى ، والبغوى (١٤ / ٢٤٧) فى شرح السنة ، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط ، وأصل الحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة .

(2) فى إسناده محمد بن الحسن الأسدى ، الملقب بالتل ، قال الدورى عن ابن معين : شيخ ، وقال مرة : قد أدركته وليس بشىء ، وقال أبو حاتم : شيخ ، وعن الفسوى : ضعيف ، وقال العقيلى : لا يتابع على حديثه ، وقال الحاكم فى الكنى : ليس بالقوى عندهم ، وقال الحافظ : صدوق فيه لين .

وفى سنده عبد الله بن سعيد ، لم أستطع تحديده ، والله أعلم . انظر : التهذيب (٩ / ١١٧ — ١١٨) ، الميزان (٣ / ٥١٢) ، التقريب (٢ / ١٥٤) وغيرها .

(3) فى إسناده محمد بن عبد الرحمن ، قال يحيى : ليس حديثه بشىء . وضعفه الدارقطنى . انظر : الميزان (٣ / ٦١٨) .

وأخرج الحديث أحمد (١ / ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٧) ، وابن حبان (٢ / ٨٩) ، الجامع الكبير (١ / ٥١٨) وعزاه للبيهقى فى الشعب ، ولأبى عوانة ، وعبد بن حميد ، وضعف الحديث الشيخ الألبانى ، انظر : ضعيف الجامع (٢٨٨٦) . وقد حسن الجزء الأول بلفظ (خير الرزق الكفاف) الشيخ الألبانى ، انظر السلسلة الصحيحة برقم (١٨٣٤) ، وصحيح الجامع برقم (٣٢٧٠) .

صَليتَ ، فَصَلِّ صَلاةَ مُودِّعٍ ، وَإياكَ وَكثرةَ السُّؤَالِ عَمَّا لا يعنيك ، واكتف بما آتاك اللهُ يُغنك »[1] . حدثنا زياد بن يحيى بن زياد البصرى ، حدثنا عبد الله ابن إبراهيم بن أبي عمر المدنى ، حدثني المنكدر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ابن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ : « القناعةُ مالٌ لا ينفد »[2] . ذكره أبو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس ، وزاد : « وَمَا عَالَ مَن اقتصد » .

وذكر الخرائطى ، من حديث أبي بكر ، عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ شيءٍ خلا هذا الطعام ، وهذا الماء العذب ، وبيتًا يكنك ، وثوبًا يسترك ، فضل ليس لابن آدم فيه شيءٌ » . وأخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه ، عن عثمان ، عن النبي ﷺ : « لَيسَ لابنِ آدم حقٌّ في سِوى هذِهِ الْخِصالِ : بيْتٍ يَسْكنهُ ، وَثوْبٍ يُوارى عَورَتهُ ، وَجِلْفِ الْخُبْزِ والْماءِ »[3] .

---

(١) في إسناده صدقة بن المثنى الكعبي ، قال الذهبي : لا يعرف ، وقال الحافظ : مجهول من السادسة . قلت : فهذا سند ضعيف . لكن أخرجه الإمام أحمد (٥ / ٤١٢) ، وابن ماجه (٤١٧١) وأبو نعيم في الحلية (١ / ٤٦٢) من حديث أبي أيوب ، وفي سنده عثمان بن جبير ، من المجهولين ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤ / ٣٢٦) من حديث سعد بن أبي وقاص ، وفي سنده محمد بن أبي حميد ، من الضعفاء ، وعزاه السيوطى للضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة) من حديث ابن عمر .

ولقد حسن الحديث بمجموع هذه الطرق الشيخ الألباني ، وقال : والحديث وإن كان إسناده ضعيفًا ، فإنه لا يدل على ضعفه ، وعدم ثبوته في نفسه ، لاحتمال أن له إسنادًا حسنًا ، أو صحيحًا ، أو أن له شواهد يدل مجموعها على ثبوته . السلسلة الصحيحة (٤٠١) .

(٢) حديث باطل ، قال ابن أبي حاتم (٢ / ١٠٦) في علل الحديث : في إسناده عبد الله بن إبراهيم ، قال الحافظ : متروك ، ونسبه ابن حبان إلى أنه يضع الحديث ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال الدارقطنى : حديثه منكر ، انظر : التقريب (١ / ٤٠٠) ، الميزان (٢ / ٣٨٨) ، المجروحين (٢ / ٣٦) . وفي إسناده المنكدر بن محمد ، لين الحديث ، من الطبقة الثامنة ، أخرج له الترمذى ، وضعفه النسائي ، وقال أبو زرعة : ليس بالقوى ، وقال الذهبي : اختلف اجتهاد يحيى وأحمد في تضعيفه وتقويته ، انظر : الميزان (٤ / ١٨٠) ، المجروحين (٣ / ٢٤) ، التاريخ الكبير (٨ / ٧٣) ، التقريب (٢ / ١٧٧) .

وأورده السيوطى في الجامع الصغير ، من حديث أنس عند القضاعى في الشهاب ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف جدًا ، انظر : ضعيف الجامع (٤١٤٤) .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٤٤) وقال : هذا حديث صحيح ، والحاكم (٤ / ٣١٢) وصححه وأقره الذهبي .

قال النضر بن شميل : جلف الخبز : يعني ليس معه إدام . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّما يكفي أحدكم ما قنعتْ به نفسُه ، وإنما يصير أحدُكم إلى أربعةِ أذرعٍ في ذراعٍ وشبرٍ ، وإنما يصير الأمرُ إلى الآخرةِ »[1] . وأخرج أبو بكر بن السني ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ كرامةِ المؤمنِ على اللهِ : نقاء ثوبه ، ورضاه باليسير »[2] . وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بي فَلْيَكفِكِ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ ، لا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ ، وَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ »[3] .

قلت : وفي معنى هذه الأحاديث أنشدوا ، من ذلك قول أبي العتاهية :

تبغي من الدنيا الكثير وإنما ... يكفيك منها مثلُ زاد الراكب
لا تعجبن[4] بما ترى فكأنه ... قد زال عنك زوال أمس الذاهب

وقال آخر :

عندي من الناس أنباء وتجربة ... على اختلافهم في العقل والشيم
حسبي بظل مهاد من جدارهم[5] ... ومن مياههم ما أستقي بفم
فكم أطافت بي الدنيا فقلت لها ... إليك عني ففي أذني كالصمم
إني قنعت بقوت لا أجاوزه ... وصنت عرضي عن لا لا وعن نعم
ولست أمنع فضل القوت عن أحد ... في كل يوم يجيء الله بالنعم

---

(١) الجامع الكبير (٧٧٨١) وعزاه لابن لال في مكارم الأخلاق عن ابن مسعود .
(٢) الطبراني (١٣٤٥٨) في الكبير ، حلية الأولياء (٢ / ٧) ، قال الشيخ الألباني : إسناده ضعيف جدًا .
(٣) أخرجه الترمذي (١٨٣٩) بنحوه وقال : حديث غريب ، والحاكم (٤ / ٣١٢) ، قال الشيخ الألباني : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع (١٣٨٦) .
(٤) كذا في الأصل ، والأبيات في ديوان أبي العتاهية (ص / ٥٥) ، وفيه : (لا يُعجِبَنَّكَ) .
(٥) في بهجة المجالس (٣ / ٣٠٦) (حسبي بظل جدار من مهادهم) .

ولمنصور الفقيه :

إذا القوت يأتى لك والصحة والأمن
وعن الفرج والفم تُقَى لله والبطن
وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

وقال آخر :

كن وكسرة خبز وكوز ماء وأمن
ألذ من كل عيش يحويه سحت ودجن

وللخليل بن أحمد :

إذا لم يكن لك لحم كفاك خبز وزيت
أو لم يكن لك هذا فكسرة ثم بيت
تظل فيه وتأوى حتى يجيئك موت
هذا كفاف وأمن فلا تغرنك ليت

وقال آخر :

اصبر على كسرة وملح فالصبر مفتاح كل زين
واقنع فإن القنوع عز لا خير فى شهوة بدين

وقال آخر

خبز وماء وظل ذاك النعيم الأجل
كفرت بالله ربى إذا قلت إنى مقل

ولعلىّ بن أبى طالب :

عزيز النفس من لزم القناعة ولم يكشف لمخلوق قِناعه
أفادته القناعة كل عز وهل عز أعز من القَناعة ؟
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة
لتحرز ما سيغنى عن بخيل وتحظى الجنان بصبر ساعة

ولمنصور الفقيه :

من كفاه من مساعيه رغيف يغتذيه

له بيت يواريه ... وثوب يكتسيه
فلماذا يبذل العرض ... لنذل أو سفيه
كل مال ليس للبر ... بأيدى باذليه
فهو للوارث ... والوزر على مكتسبيه

وله أيضا :

إذا قنعت بقوت ... ولبس ثوب مُرَقَّعْ
ولم تكن لك عيال ... نفسى لهم تتوجعْ
ولا بنون صغار ... قلبى لهم يتقطعْ
ولا صديق مُضاف ... فراقه أتوقعْ
وقد عزفت عن اللهـ ... ـو والغنى ولم أتمتعْ
وكان لله نُسكى ... فما أرى الدهر يصنع

والشعر فى هذا الباب كثير ، وفيما ذكرنا كفاية ، والله الموفق للهداية .

وروى عن النبى ﷺ : أن رجلا أتى إليه ، فقال : يا رسول الله ، إنى مبتلى بالهم والوسوسة . فقال رسول الله ﷺ : « قل اللهم اجعلْ نفسى مطمئنةً ، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك ، وتخشى عقابك »[1] ، فقالها الرجل ، فزال عنه ما كان يجده .

---

(1) الجامع الكبير (١ / ٦٠٧) وعزاه للطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة ، مجمع الزوائد (١٠ / ١٨٠) وقال : رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفه ، وابن كثير (٤ / ٥١١) وعزاه لابن عساكر ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع (٤١٠٣) .

الباب الرابع والعشرون فيما روى عن السلف فى ذلك

ذكر ابن أبى الدنيا ، قال : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا الحسين بن على ، عن طعمة بن غيلان ، عن ميكائيل أبى عبد الرحمن قال : كان عمر بن الخطاب يقول فى دعائه : اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى ، ولا تقل لى منها فأنسى ، فإنه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وحدثنا إسحاق بن إسماعيل ، قال : حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد ، قال : قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « كونوا أوعية للكتاب ، وينابيع للعلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ، وعدوا أنفسكم فى الموتى ، ولا يضركم أن لا يكثر مالكم »[1] .

وذكر أبو بكر الخرائطى ، عن الحسن بن على – رضى الله عنهما – قال : يقول الله تعالى فى الحديث القدسىّ : « إذا علمت ما افترضت عليك فأنت مِنْ أعبد الناس ، وإذا اجتنبت ما نهيتك عنه فأنت مِنْ أورع الناس ، وإذا قنعت بما رزقتك فأنت مِنْ أغنى الناس » . وعن تميم بن حَذْلَم ، وكان من أصحاب عبد الله بن مسعود ، قال : دعوهم – يعنى الملوك – وكلوا أكسرتكم ، واشربوا من ماء فراتكم ، فإنهم إن استطاعوا أذلوكم وأكفروكم .

وذكر ابن أبى الدنيا ، قال : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا عون بن عمارة البصرى قال : قال أبو محرز الطفاوى : شكوت إلى جارة لنا ضيق المكسب علىَّ وأنا شاب ، فقالت لى : يا بنى ، استغن بغنى القناعة عن ذل المطالب ، فكثيرًا والله رأيت الكثير عاد وخيمًا ، ووالله رأيت القليل عاد سليمًا . قال أبو محرز : ما زلت أعرف بركة كلامها فى قنوعى . حدثنى الحسين بن عبد الرحمن ، أنه حدث عن أبى حازم قال : ثلاث مَنْ كن فيه كمل عقله ، مَنْ عرف نفسه ، وحفظ لسانه ، وقنع بما رزقه الله . وقال أبو عمر :

---

(١) الزهد لأحمد (ص / ١٤٩) ، حلية الأولياء (١ / ٥١) .

ويقال : إن أبلغ شيء جاء فى القناعة قول عليّ رضى الله عنه : لا تحمل هم قوت يومك الذى لم يأت على يومك الذى أتى ؛ فإنه إن يكن من أيام حياتك جاءك رزقك ، واعلم أنك لن تدخر أكثر من قوت يومك ، إلا كنت فيه خازنًا لغيرك .

قلت : ومن هذا المعنى ما روى عن داود الكاتب ، أنه قال : لما افتتح الرشيد هِرَقْلَة ، وأقام فيها مائة يوم ، نظر إلى الناس ينهبون ، ونظر إلى بطريق من الروم ، وبيده كتاب وهو يقرؤه ، فدعاه الرشيد ، وقال له : تركت النهب والغنيمة ، وأقبلت على هذا الكتاب ، فما الذى فيه ؟ قال له البطريق ، فيه : بسم الله الحق المبين ، يا ابن آدم ، عاجل الفرصة قبل إمكانها ، وكِلِ الأمور إلى واليها ، ولا تحمل على قلبك هم يوم لم يأتك ، فإن كان من أجلك فإن الله يرزقك فيه ، وإن لم يكن من أجلك فلا تتعب نفسك ، ولا تجعل سعيك فى طلب المال ، فإنه أسوة المغرورين ، فرب جامع ليثقل خطيئته ، واعلم أن تقتير المرء على نفسه هو تدبير منه لغيره ، وسعيد من اتعظ بهذه الكلمات .

وقال بعض الحكماء : مَنْ بخل بالقليل حين ينفع يوشك أن يبذل الكثير حين لا ينفع . قال ابن أبى الدنيا : وحدثنى أبو بكر المقرئ قال : قيل لبعض الحكماء : اكتسب فلان مالا . قال : فهل اكتسب أيامًا يأكله فيها ؟ قال : ومن يقدر على ذلك ؟ قال : فما أراه اكتسب شيئا . قال : وسمعت الحسين ابن عبد الرحمن ينشد :

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه	مقدرا أى تاب فيه يعلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته	أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا تفكر هل جمعت له	يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه	ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفيه ببال فتى يغدو على ثقة	إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه	والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها	لم يلق فى ظلها همًّا يؤرقه

وقال بعض الحكماء : القناعة ثوب لا يبلى ، وهى شعار الأنبياء . وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، أنه كان بالبيت ، وكان بين الركن والمقام ، فقال : اللهم قنعني برزقك ، وبارك لى فيه ، واخلف عليَّ كل غائبة عليّ بخير . ثم يمضى فى طوافه . ذكره ابن أبى الدنيا رحمه الله . قال : وسمعت الحسين بن عبد الرحمن ينشد :

ما شقوة المرء بالإقتار يقتله ... ولا سعادته يوما بإقتار

إن الشقى الذى فى النار منزله ... والفوز فوز الذى ينجو من النار

وقال الأصمعى : مرّ أعرابى بوليمة فى دار ، فحاول الدخول فمنع ، فأتى بقالا بإناء الدار ، فأخذ منه رغيفا وملحا جريشا ، فأكله وشرب كوز ماء ، ثم استلقى على قفاه وهو يقول :

ويكفيك مما أغلق الباب دونه ... وضُنّ به ملح جريش وجردق[1]

وتشرب من ماء الفرات فترتوى ... تعارض أصحاب الثريد الملبق

تجشأ إذا ما تجشئوا ... كأنما غذيت بأنواع الطعام المفتق

وقال مالك بن دينار : إنى لأغبط الرجل الذى يكون عيشه كفافا ويقنع به .

ولقد أحسن من قال :

قناعتى أغنتنى عن بابكم بموقف ... فوقفة ببابكم بملك كسرى لا تفى

وقال سفيان الثورى : صابروا الأغنياء فى الطعام ، ما بين الشفاه إلى اللعاب ، فإنه إذا جاوز ذلك لم يعرف لينه من خشنه ، ولا حلوه من مره ، ولا طيبه من غيره[2] .

---

(١) ملح الجريش : أى المجروش ، كأنه قد حك بعضه بعضا فتفتت ، والجردق يقال للرغيف بالفارسية .
(٢) حلية الأولياء (٧ / ٧) .

الباب الخامس والعشرون فى فضل الإنفاق والسخاء وذم المنع والإحصاء

أخرج مسلم ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « أَنْفِقِى ، أَوِ انْضِحِى ، أَوِ انْفَحِى ، وَلَا تُحْصِى فَيُحْصِىَ اللهُ عَلَيْكِ ، وَلَا تُوعِى فَيُوعِىَ اللهُ عَلَيْكِ »[1] . وروى النسائى ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : دَخَلَ عَلَىَّ سَائِلٌ مَرَّةً ، وَعِنْدِى رسول الله ﷺ ، فَأَمَرْتُ لَهُ بِشَىْءٍ ، ثُمَّ دَعَوْتُ بِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فقال رسول الله ﷺ : « أَمَا تُرِيدِينَ أَنْ لَا يَدْخُلَ بَيْتَكِ شَىْءٌ وَلَا يَخْرُجَ إِلَّا بِعِلْمِكِ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، لَا تُحْصِى فَيُحْصِىَ اللهُ عَلَيْكِ »[2] .

وأخرج الترمذى الحكيم أبو عبد الله ، فى نوادر الأصول ، فى الأصل السابع عشر والمائة[3] حدثنا عمر بن أبى عمر العبدى قال : حدثنا عبد الله بن سلام الجمحى قال : حدثنا عيسى بن يونس عن وائل بن داود عن البهى عن الزبير بن العوام قال : جئت حتى جلست بين يدى رسول الله ﷺ فأخذ بطرف عمامتى من ورائى ، ثم قال : « يا زبير إنى رسول الله إليك خاصة ، وللناس عامة ، أتدرى ماذا قال ربكم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر إلى خلقه : عبادى أنتم خلقى وأنا ربكم . أرزاقكم بيدى ، فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم فاطلبوا منى أرزاقكم ، وإلىَّ

---

(١) مسلم (٧ / ١١٨) ، وأحمد (٦ / ٣٥٤) .

قوله : (انفحى) أى : أعطى ، وكذا انضحى ، ويطلق النضح أيضا على الصب ، فلعله المراد هنا ، ويكون أبلغ من النفح .

وفى الحديث دعوة وحث على النفقة فى الطاعة ، ونهى عن الشح والبخل .

(٢) أخرجه النسائى (٥ / ٧٣) .

(٣) كذا بالأصل ، ولكن فى نوادر الأصول المطبوع الأصل السادس عشر بعد المائة .

فارفعوا حوائجكم ، انصبوا إلى أنفسكم ، أصب عليكم أرزاقكم ، أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قال الله تبارك وتعالى : عبدى أنفق أنفق عليك ، وأوسع أوسع عليك ، ولا تضيق فأضيق عليك ، ولا تضر فأضر عليك ، ولا تخزن فأخزن عليك ، باب الرزق مفتوح من فوق سبع سمٰوات متواصل إلى العرش لا يغلق ليلا ولا نهارًا ، وينزل الله منه الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته ، فمن أكثر أكثر له ، ومن أقل أقل له ، ومن أمسك أمسك عليه . يا زبير فكل وأطعم ، ولا توك فيوكى الله عليك ، ولا تحص فيحصى الله عليك ، ولا تقتر فيقتر الله عليك ، ولا تعسر فيعسر عليك ، يا زبير إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار ، وإن السخاء من اليقين ، والبخل من الشك ، فلا يدخل النار من أيقن ، ولا يدخل الجنة من شك ، يا زبير إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة والشجاعة ولو بقتل عقرب أو حية ، يا زبير إن الله يحب الصبر عند زلزلة الزلازل ، واليقين النافذ عند مجيء الشبهات والعقل الكامل عند نزول الشهوات ، والورع الصادق عند الحرام ، والخبيثات ، يا زبير عظم الإخوان ، وأجل الأبرار ، ووقر الأخيار وصل الجار ، لا تماش الفجار ، وادخل الجنة بلا حساب ولا عذاب هذه وصية الله إلىَّ ووصيتى إليك يا زبير بن العوام »[1] .

قال الترمذى الحكيم أبو عبد الله : حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا سعيد بن أبى مريم الجمحى قال : حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف قال : حدثنى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه ، فقال : « ما عندى شيء ، ولكن ابتع على فإذا جاء شيء قضينا » . فقال له عمر : هلا أعطيت إذا كان عندك فما كلفك الله

---

(١) فى إسناده عمر بن أبى عمر ، قال ابن عدى : منكر الحديث ، وقال الذهبى : هو ضعيف ، وقال الحافظ : من شيوخ بقية المجهولين ، وقال الذهبى : أحسبه عمر بن موسى الوجيهى .

ويقال إنما هو أبو أحمد بن على الكلاعى ، انظر ترجمته فى : التهذيب (٧ / ٤٨٧) ، التقريب (٢ / ٦١) ، الميزان (٣ / ٢١٥) . قلت : الحديث فى نوادر الأصول (ص / ١٥١) .

ما لا تقدر عليه ، فكره رسول الله ﷺ قول عمر فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله انفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وعرف السرور فى وجهه لقول الأنصارى ثم قال رسول الله ﷺ : « بذلك أمرت »[1] .

قال أبو عبد الله : وحدثنا محمد بن عمر بن عبد الوليد الكندى قال : حدثنا مفضل بن صالح عن الأعمش عن طلحة اليامى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « أطعمنا يا بلال ؟ قال : ما عندى إلا صبر من تمر قد خبأته لك . قال أما تخشى الله أن يخسف به فى نار جهنم أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا »[2] .

وفى الصحيحين البخارى ومسلم عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : « مَا سُئِلَ النبى ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا »[3] .

وثبت عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ لَه فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ »[4] . حتى أن أرينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .

---

(١) نوادر الأصول (ص /) وفى سنده عمر بن أبى عمر ، انظر هامش (١٤٠) .

(٢) فى إسناده المفضل بن صالح الأسدى ، قال الحافظ : ضعيف ، التقريب (٢ / ٢٧١) ، وقال البخارى وغيره : منكر الحديث ، ميزان الاعتدال (٤ / ١٦٧) .

لكن أخرج الحديث الطبرانى (١٠٣٠٠) فى الكبير بسنده من حديث عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ الهيثمى (٣ / ١٢٦) فى مجمع الزوائد : فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثورى ، وفيه كلام وبقية رجاله ثقات .

وأخرجه الطبرانى (١٠٢٠) فى الكبير بسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقال الهيثمى (١٠ / ٢٤١) : رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وإسناده حسن .

وقد أخرجه التبريزى (١٨٨٥) فى مشكاة المصابيح ، وبجمع هذه الطرق حكم الشيخ الألبانى على الحديث بالصحة ، انظر : صحيح الجامع برقم (١٥٠٨) .

(٣) أخرجه مسلم (١٥ / ٧١) ، أحمد (٦ / ١٣٠) ، الحلية (٧ / ٨٩) لأبى نعيم .

(٤) أخرجه مسلم (١٢ / ٣٣) ، أبو داود (١٦٦٣) ، أحمد (٣ / ٣٤ ، ١٩٥) ، البيهقى فى السنن (٤ / ١٨٢) .

وقال أنس : « جَاءَ سائلٌ إلى النبى ﷺ من الأعرابِ فأمر له بأربعين ألف شاة فَرَجَعَ إلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْم أَسْلِمُوا إنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِى عَطَاءَ من لَا يَخْشَى الفقر أبدًا »[1] .

وقال ابن عمر : « ما رأيتُ واحدًا بعد رسول الله ﷺ أجود من معاوية رضى الله عنه » .

وقال عروة : « بعث معاوية إلى عائشة رضى الله عنها بمائة ألف فما قامت من مجلسها حتى وزعتها فدخلت عليها الخادم فقالت : لو حبست مائتى درهم نشترى به لحما ؟ فقالت : هلا ذكرتنى قبل أن أفرقها ، وكانت ترقع قميصا لها »[2] .

وكان معاوية يلقى الحسن بن على فيقول : مرحبا يا ابن رسول الله ﷺ فيأمر له بثلاث مائة ألف درهم ، ويلقى ابن الزبير فيقول مرحبا يا ابن عمة رسول الله ﷺ فيأمر له بمائة ألف[3] .

وأتى الزهرى إلى يزيد بن يزيد الأموى ولم يكن فى بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز أفضل منه ، فقال له الزهرى : لوكلائك علىَّ تسعون ألف درهم قد ألحوا علىَّ فيها . قال : فتزيد ما زاد يا أبا بكر . قلت : اكتب إليهم أن يرفقوا إلى الميسرة قال : أو غير ذلك ؟ قال : هى لك فوالله إنه فى الله لقليل .

وكان حماد بن أبى سليمان يفطر كل يوم من شهر رمضان خمسين إنسانا فإذا كان يوم الفطر كساهم ثوبا ثوبا وأعطاهم مائة مائة .

وقال ابن السماك لما قدم ابن زياد الكوفة على الصدقة : كلم رجل حماد بن

= [فائدة الحديث] : قال الإمام النووى رحمه الله : فى هذا الحديث الحث على الصدقة والجود ، والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب ، والاعتناء بمصالح الأصحاب ، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج . وأنه يكتفى فى حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء ، وتعريضه من غير سؤال .

(1) مسلم (١٥ / ٧٢) ولم يذكر عدد المعطى ، وأخرجه أحمد (٣ / ١٠٨ ، ١٧٥ ، ٢٥٩ ، ٢٨٤) .

(2) حلية الأولياء (٢ / ٤٧) .

(3) البداية والنهاية (٨ / ١٤٩) .

أبي سليمان أن يكلم ابن زياد ليستعمله فى بعض أعماله ، فقال له حماد : كم تؤمل فى عمل ابن زياد أن تصيب فيه ؟ قال : ألف درهم . قال : قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم ، ولا أبذل وجهى له ، فقال : جزاك الله خيرًا .

وكلم رجل حماد فى ابنه أن يحوله من مكتب إلى مكتبه ، فقال : لدى كله إنما نعطى المعلم ثلاثين درهمًا فى كل شهر ، وقد أجزنا لك خمسين درهما ودع ولدك فى مكانه .

وجاءت امرأة إلى حسان بن أبى سنان تسأله فجعل ينظر إليها ، فقال : يا غلام أعطها أربعمائة درهم ، فقيل له يا أبا عبد الله : سائلة جاءتك تسألك درهمًا فأعطيتها أربعمائة درهم ؟ قال : لما نظرت إلى جمالها خشيت أن يفتتن بها فأحببت أن أغنيها وعسى أن يرغب فيها رجل فيتزوجها[1] .

وقال عبيد الله السراج كان عبيد الله بن أبى بكرة ينفق على جيرانه أربعين ألف درهم وكان يبعث إليهم بالأضاحى ، والكسوة فى الأعياد ، وكان يعتق فى كل عيد مائة مملوك ، واشترى جارية بعشرة آلاف درهم ، فطلب دابة تحملها فناداه رجل هذه دابتى ، فقال عبيد الله : احملوها على دابته إلى منزله .

وقال الثورى رأيت محمد بن سوقة بالغداة صاحب مائة ألف وبالعشى سألنا له من أصحابه خبزة يتعشى بها .

ورأى رجل سعيد بن العاص فسأله ، فقال : يا غلام أعطه خمسمائة درهم ، فأما إذا رجعت فصيرها دنانير ، فجعل الرجل يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : أبكى على أن الأرض تأكل مثلك .

وتزوج رجل من جلساء زيد بن أسلم ، فقال : أعينوا أخاكم فجمعوا له قوت سنة ، وما ساق إليها من المهر .

وكان الحسن بن عمارة ينفق على عدة من القراء ، منهم مسعر بن كدام ، وقال له : كم يكفيك كل سنة ؟ قال : ستمائة ، فكان يجريها عليه كل سنة .

---

(١) الحلية (٣ / ١١٦) بنحوها .

وقال طعمة الجعفرى : كان عمران بن موسى يبعث إلىَّ ألف دينار ، وألفى دينار ، ويقول : اقسمها على إخوانك ، ولا تعلمهم أنها من قِبَلِى .

وقال مطرف بن عبد الله : أتيت عثمان بن أبى العاص أستسلفه ، فقال لى : إن يدى ربك ملأى فانصرفت ، فأتبعنى رسولا بصرة فيها ثلثمائة درهم ، فلما أيسرت أتيته بها ، فقال : لم أعطكها أريد أخذها .

والأخبار فى هذا المعنى كثير عن السلف .

ويحكى عن قيس بن عبادة أنه مرض مرة فلم ير فى عواده كثرة ، فسأل عن ذلك فقيل له : إنهم يستحيون من عيادتك لأن لك عليهم ديونا فقال : لا خير فى مال يحول بيننا وبين إخواننا ، نادوا فيهم أن من عليه شىء فقد وهبناه له ، قال : فلما أمسى كسرت عتبة بابه من كثرة من عاده .

وقال بكر بن عبد الله : « أحب مالى إلىّ ما وصلت به إخوانى ، وأبغضه إلىّ ما خلفته خلفى » .

وقال علىّ بن أبى طالب : « خير المسلمين مَنْ وصل وأعان ونفع » . وقال رضى الله عنه :

ما أحسن الدنيا وإقبالها	إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضله	عرض للإدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل يا مانعا	وأس من دنياك من سألها
فإن مولاك سريع الجزاء	يعطيك بالحبة أمثالها[1]

وقال الشعبى : « لو أن رجلا رحم مسكينا ، وأغاث ملهوفا ، وبر يتيما ، وأعان مسافرا كان أحب إلىّ من اعتكافه حول الكعبة أربعين سنة ، وخير الناس أنفعهم للناس » .

---

(١) الأبيات فى ديوان على (ص / ١١٧) والبيت الثانى جاء على النحو التالى :
فإن ذا العرش جزيل العطا　　　يضاعف بالحبة أمثالها

(فصل)

فى بيان قوله عليه الصلاة والسلام « أنفق يا بلال ولا تخف من ذى العرش إقلالا »[1]

قال العلماء : « خوف الإذلال من سوء الظن بالله تعالى ، وسوء الظن بالله كفر . وذلك أن الله تعالى وعد على الإنفاق خلفا فى الدنيا ، وثوابًا فى العقبى » .

فقال فى الخلف : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾[2] .

وقال فى الثواب : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾[3] .

وقال فى الآية الأخرى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ ﴾[4] .

وقال : ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[5] .

فمن أمسك عن الإنفاق خشية الإقلال والفقر فكأنه لم يصدق الله ورسوله فى قولهما ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول : « وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ »[6] رواه البخارى .

وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « من

---

(١) الطبرانى (١ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢) فى الكبير ، الحلية (٢ / ٢٨٠) ، (٦ / ٢٧٤) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : المشكاة (١٨٨٥) ، صحيح الجامع (١٥٠٨) .

(٢) سورة سبأ : ٣٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦١ .

(٤) سورة البقرة : ٢٦٥ .

(٥) سورة البقرة : ٢٤٥ .

(٦) البخارى (٤ / ١١١) ، وأحمد (٣ / ٣٠٨) موقوفا .

سيدكم يا بني سلمة ؟ قالوا : جد بن قيس على أنّا نبخله قال : فأى داء أدوى من البخل . بل سيدكم عمرو بن الجموح »[1] وكان على أصنامهم فى الجاهلية ، وكان يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوج .

فلما كان البخل يحرم الخلف فى الدنيا والثواب فى الآخرة ويسيء ظنه بالله تعالى استعاذ منه رسول الله ﷺ فى قوله : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالحَزَنِ ، وَالْعَجزِ وَالكَسَلِ ، وَالْبخْلِ وَالْجبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجالِ »[2] . رواه البخارى

والذى يذهب الإقلال عن القلب ، ويزيله شيئان : أحدهما : حسن الظن بالله عز وجل أنه يخلف عليه إن ربى أمين كريم ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَىءٍ فَهُوَ يُخْلِفُه ﴾[3] .

والثانى : أن يكون رجلًا لا مشيئة له فى شيء من الأشياء قط اكتفاء بالقوت المقيم لمهجته فهذا يعطى من عسره ويسره فلا يخاف إقلالًا ، لأنه رفع باله عن جميع ذلك ، وانقطعت مشيئته فى نفسه وغيره لتدبير الله تعالى فيه وفيهم .

وإنما يخاف الإقلال من له مشيئة فى الأشياء ، فإذا أعطى اليوم ، وله غدًا مشيئة فى شيء لأخاف أن لا يطيب غدًا ، فضيق عليه الأمر فى نفس اليوم لمخافة إقلاله غدًا .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى :

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (ص / ٩٠) ، والطبرانى (٢٠ / ٨١ ، ٨٢) فى الكبير ، مجمع الزوائد (٩ / ٣١٥) وقال : رواه الطبرانى بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير شيخى الطبرانى ، ولم أر من ضعفهما من حديث كعب بن مالك عن أبيه . وصححه الشيخ الألبانى ، انظر : صحيح الجامع (٦٩٨١) .

(٢) البخارى (٧ / ٩٩) ، (٨ / ٩٧ ، ٩٨) ، والنسائى (٨ / ٢٥٧) .

(٣) سورة سبأ : ٣٩ .

سَبَقَتْ رَحْمَتِى غَضَبِى »[١] .

وقال الله تعالى : « ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ، يَمِينُ الله مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ »[٢] . لفظ مسلم

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللهَ عز وجل قَالَ لِى أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ »[٣] الحديث .

قلت : وهذا إشارة إلى الخلف فى الدنيا بمثل المنفق فيها . إذا كانت النفقة طيبة وكانت فى طاعة الله تعالى .

كما رواه الدارقطنى وغيره عن عبد الحميد الهلالى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « كلُّ معروفٍ صدقةٌ ، وَمَا أَنْفَقَ الرجلُ عَلَى نَفْسِهِ وأهلِهِ كُتِبَ لَهُ صدقةٌ ، وَمَا وَقَى الرجلُ به عرضَه فهو صدقةٌ ، وَمَا أَنْفَقَ الرجلُ من نفقةٍ فَعَلَى اللهِ خَلَفُها إِلَّا مَا كَانَ مِن نفقةٍ فى بنيانٍ أَوْ معصيةٍ »[٤] .

قال عبد الحميد : قلت : لابن المنكدر ما وقى الرجل به عرضه ؟ قال : يعطى الشاعر وذا اللسان . عبد الحميد وثقه ابن معين وغيره .

وفى الصحيحين « لا يتصدق أحدٌ من كسبٍ طيبٍ »[٥] وقد تقدم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أَيُّها النَّاسُ إِنَّ اللهَ طيبٌ ، لَا يقبلُ إِلَّا

---

(١) البخارى (٩ / ١٩٦) ، ومسلم (١٧ / ٦٨) .

(٢) البخارى (٩ / ١٥٢ ، ١٧٦) ، ومسلم (٧ / ٨٠) وقد أدمج المصنف الجزء القدسى مع النبوى .

قوله : (سحاء) أى : دائمة الصب ، وليس له ذكرٌ على أفعل ، كما يقال ديمة هطلاء .

قوله : (لا يغيضها) أى : لا ينقصها ، من غاض الماء إذا ذهب فى الأرض .

(٣) مسلم (٧ / ٧٩) ، وانظر السابق .

(٤) الحاكم (٢ / ٥٠) فى مستدركه وصححه فتعقبه الذهبى بقوله : قلت عبد الحميد ضعفوه ، وضعف الحديث الشيخ الألبانى ، انظر : ضعيف الجامع (٤٢٥٩) .

(٥) سبق تخريجه فى القسم الأول .

طيبًا »[1] الحديث أخرجه مسلم .

وأما ما أنفق فى معصية فلا خلاف أنه غير مثاب عليه ، ولا مخلوف له ، وأما البنيان فما كان منه ضروريا يكن الإنسان ويحفظه فذاك مخلوف عليه ومأجور فيه وذلك لحفظ نفسه وستر عورته .

وقال ﷺ : « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه ، وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز والماء »[2] وقد تقدم .

وهذا القدر هو الذى لا يسأل عنه العبد فى الآخرة إن شاء الله تعالى .

وقد جاء الحض على بناء المساجد والقناطر إلى غير ذلك من مصالح المسلمين .

وأخرج ابن المبارك فى رقائقه : عن الأوزاعى عن موسى بن سليمان أنه سمع القاسم بن مخيمرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أصابَ مالًا من مَأْثمٍ فَوصلَ بِهِ رحمًا أَوْ تصدقَ بِهِ أَوْ أَنفقَهُ فى سبيلِ اللهِ جُمع ذلك جميعًا ثم قُذفَ به فى جهنم »[3] قلت : هذا صحيح يدل على صحته من الكتاب قوله الحق ﴿ لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾[4] . قيل هذا عام فى كل شىء من الأعمال : النفقات وغيرها ، ومعنى يركمه جميعا أى يجعل بعضه على بعض ، فيكون مما يعذبون به كما قال تعالى : ﴿ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾[5] والله اعلم .

---

(١) مسلم (٧ / ١٠٠) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) الزهد لابن المبارك (٦٢٥) . والجامع الكبير (١ / ٧٤٦) ، وعزاه لابن عساكر من حديث القاسم بن مخيمرة ، وإسناده مرسل ، والمرسل من أقسام الضعيف ، وفى سنده موسى بن سليمان ، قال أبو زرعة وابن أبى حاتم : شيخ للأوزاعى ما نعلم روى عنه غيره ، انظر : الجرح والتعديل (٨ / ١٤٤) ، التهذيب (١٠ / ٣٤٧) .

(٤) سورة الأنفال : ٣٧ .

(٥) سورة التوبة : ٣٥ .

الباب السادس والعشرون فى كرامة من اقتنع بالكفاف وكيفية العمل فى سبيل مال الله تعالى فى هذه الدنيا

أخرج مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « بَيْنَما رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِى سَحَابَةٍ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِى حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ ، فَتَتَبَّعَ الماءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِى حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسْحَاتِهِ ، فقال له : يا عبدَ الله ما اسْمُكَ ؟ قال : فُلانٌ للاسمِ الَّذِى سُمِعَ فى السَّحَابَةِ ، فقال : يا عبدَ الله لِمَ تَسْأَلُنِى عَنِ اسْمِى ؟ فقال : إِنِّى سمعتُ صَوْتًا فى السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسْمِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذْ قُلْتَ ذَلِكَ ، فَإِنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِه ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِى ثُلُثًا ، وَأَرُدُّ فِيهِ ثُلُثَهُ »[1] . فى رواية « وأَجْعلُ ثُلُثَهُ فِى المسَاكِينِ والسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ » .

(فصل)

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لما لم يكن من هذه الدنيا بُدّ ، كان للمأخوذ منه حد ، وذلك القوت كما قال النبى ﷺ فيما رواه المقدام بن معدى كرب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مَلأَ ابْنُ آدمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ،

---

(١) أخرجه مسلم (٨ / ١١٤ - ١١٥) . أحمد (٢ / ٢٩٦) .

قوله : (تنحى) أى : قصد ، يقال تنحيت الشىء وانتحيته إذا قصدته .

قوله : (الحرة) بفتح الحاء فهى أرض ملبسة حجارة سوداء .

قوله : (شرجة) بفتح الشين واسكان الراء ، فى مسائل الماء أى : مواضع الماء .

بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقيماتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ »[1] قال حديث حسن صحيح .

وفى صحيح مسلم « فراشٌ للرجلِ ، وفراشٌ لأهلِهِ ، وفراشٌ للضيفِ ، والرابعُ للشيطانِ »[2] قالوا : فبهذا ينبغى أن تتعلق الهمم ، وعليها ينبغى أن تأتى العزائم إلى أن يفتح الله على العبد بزيادة من غير مداهنة فى دين ولا هوادة على باطل .

فقد قال النبى ﷺ لعمر : « مَا أَتَاكَ مِن هَذَا المالِ من غير مسألةٍ وَلَا إشراف نفسٍ فخذه »[3] الحديث وقد تقدم .

فيقوم بحق نفسه فى المعاش ، والمأمن ، ويقوم بحق الله فى العبادة ، فإن تعارضاوأردهما ، فليقدم أمر الآخرة ، فإنه أفضل له بتقديم أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإنه يحصل أمر الدنيا لآخره وهذا صحيح من جربه وجده .

كما حكى عن بعض السادة وقد سئل عن سبب توبته ، قال : كنت رجلا دهقانا ، فجمع علىَّ فى ليلة ثلاثة أشغال كان لى زرع ، وكانت نوبتى فى الماء ، وكان لى حمار فضاع منى ، وكان لى جوال فى الطاحون ، ومتى اشتغلت بواحدة منها ، فاتنى ما سواها ، وكانت ليلة الجمعة ، وكان بينى وبينها مسافة متى توجهت إليها فاتنى الجميع فرجحت رواحى إلى الجمعة ، وتركت الجميع فلما رجعت من الجمعة وجدت الزرع قد سقى ، ووجدت الحمار على المعلف ، والمرأة تنخل الدقيق ، فقلت : ما أصدق من قال : من أصلح لله أمره ، أصلح الله جميع أموره . وسيأتى لكيفية العمل فى المال زيادة بيان إن شاء الله تعالى .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٨٦) ، (٢٤٨٧) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٩) ، وأحمد (٤ / ١٣٢) ؛ وابن حبان (٧ / ٣٣١) ، والحاكم (٤ / ٣٣١) ، وصححه الشيخ الألبانى ، انظر : صحيح الجامع (٥٥٥٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١٤ / ٥٩) ؛ وأبو داود (٤١٤٢) ، والنسائى (٦ / ١٣٥) ، وأحمد (٣ / ٢٩٣ ، ٣٢٤) .

(٣) سبق تخريجه فى القسم الأول من الكتاب .

الباب السابع والعشرون فى ذم الطمع وحمد اليأس

أخرج ابن أبى الدنيا قال : حدثنى إسماعيل بن عيسى العطار قال : حدثنا الهياج بن بسطام عن جعفر عن القاسم عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « أظهِرُوا اليأسَ ، فإنَّه غنىً ، وإيَّاكُمْ والطمعَ فإنَّه فقرٌ حاضرٌ »[1] .

حدثنى الحسن بن الهياج حدثنا عثمان بن عمر عن عبد الله بن عامر الأسلمى عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن جبير بن نفير عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال : « استَعيذُوا باللهِ مِنْ طَمعٍ يهدى إلى طبعٍ ، ومِنْ طمعٍ فى غير مَطمعٍ ، وَمِنْ طمعٍ حيثُ لَا مَطمع »[2] .

حدثنا أبو عبد الله البجلى قال : حدثنا أبو أسامة عن أسامة بن زيد عن أبى

---

(١) إسناده موضوع ، فيه جعفر بن الزبير ، متروك الحديث ، كذبه شعبة ، أخرج له ابن ماجه ، مات بعد سنة ١٤٠ هـ ، انظر ترجمته فى : التاريخ الكبير (٢ / ١٩٢) ، والصغير (ص / ٧) ، المجروحين (١ / ٢١٢) ، الضعفاء للنسائى (١٠٨) ، والدارقطنى (١٤٣) ، الميزان (١ / ٤٠٦) ، والتهذيب (٢ / ٩١) ، الضعفاء الكبير للعقيلى (٢٢٧) .

وفى إسناده الهياج بن بسطام ، ضعيف الحديث ، أخرج له ابن ماجه ، مات سنة ١٧٧ هـ . انظر ترجمته : التقريب (٢ / ٣٢٥) ، الميزان (٤ / ٣١٨) ، العقيلى (١٩٤٦) ، المجروحين (٣ / ٨٨) ، التهذيب (١١ / ٣٩) ، الضعفاء للدارقطنى (٥٦٢) ، وللنسائى (٦١٣) .

(٢) إسناده ضعيف ، فيه عبد الله الأسلمى ، من الضعفاء ، أخرج له ابن ماجه ، مات سنة ١٥٠ هـ . انظر ترجمته : التقريب (١ / ٤٢٥) ، الضعفاء للعقيلى (٨٤٩) ، التهذيب (٥ / ٢٧٥) ، الميزان (٢ / ٢٤٩) ، المجروحين (٢ / ٦) ، الجرح والتعديل (٥ / ١٢٣) ، الضعفاء للنسائى (٣٢٣) ، وللدارقطنى (٣١٦) .

وقد أخرج الحديث : أحمد (٥ / ٢٣٢) ، والطبرانى (٢٠ / ٩٣) فى الكبير ، والحاكم (١ / ٥٣٣) ، أبو نعيم (٥ / ١٣٦) فى حلية الأولياء ، والبغوى (٥ / ١٦٤) شرح السنة ، والتبريزى (٢٤٧٤) فى المشكاة وفيهم جميعًا عبد الله بن عامر الأسلمى .

قوله : (الطبع) أى : الدنس والعيب ، قال أبو عبيد : كل شين فى دين ودنيا ، فهو طبع ، يقال منه : رجل طبع ، ويقال : أصله من الوسخ والدنس يصيبان السيف .

معن قال : لقى عبد الله بن سلام كعب الأحبار عند عمر بن الخطاب فقال : يا كعب من أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون به . قال : فما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه وعرفوه ؟ قال : الطمع يذهب وشرة النفس ، وتطلب الحاجات إلى الناس . قال : صدقت .

أخبرنا الحكم بن موسى حدثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يقول فى خطبته على المنبر : « أَيُّها النّاسُ إنَّ الطمعَ فقرٌ ، وَإِنَّ اليأسَ غنىً ، وَإِنَّ الإنسانَ إِذَا يئس من الشيءِ اسْتَغنى عنه »[1] .

حدثنى محمد بن الحسين حدثنى محمد بن سلام الجمحى قال : سمعت أبى يذكر عن هزّال القريعى قال : « مفتاح الحرص الطمع ، ومفتاح الاستغناء عن الناس اليأس عما فى أيديهم » .

وقال سعد بن أبى وقاص لابنه : يا بنى « إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها مال لا ينفد ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وعليك باليأس عما فى أيدى الناس فإنك لم تيئس من شيء إلا أغناك الله عنه » .

وفى سنن ابن ماجه عن أبى أيوب قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله علمنى وأوجز قال : « إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ وَأَجْمِعِ اليَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِى النَّاسِ »[2] .

---

(١) الزهد لأحمد (ص / ١٤٦) ، الحلية لأبى نعيم (١ / ٥٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ٤١٢) ، وابن ماجه (٤١٧١) ، والطبرانى (٤ / ١٥٥) فى الكبير ، والتبريزى (٥٢٢٦) فى المشكاة ، وأبو نعيم (١/ ٣٦٢) فى الحلية .

قال الشيخ الألبانى : والحديث وإن كان إسناده ضعيفا ، فإن له شواهد تدل على أن له أصلا ، فقد روى من حديث ابن عمر عند الضياء المقدسى فى (الأحاديث المختارة) ومن حديث سعد بن أبى وقاص عند الحاكم (٤ / ٣٢٦ - ٣٢٧) وصححه ووافقه الذهبى ، انظر السلسلة الصحيحة (٤٠١) ، وقال فى صحيح الجامع : حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٧٥٥) .

قوله : (مودع) أى كن كأنك تصلى آخر صلاتك ، (يعتذر منه) أى يحتاج منه إلى الاعتذار ، (وأجمع) أى واعتقد واعزم .

وقيل لبعض الحكماء : ما مالك ؟ قال : التجمل فى الظاهر ، والقصد فى الباطن ، واليأس عما فى أيدى الناس .

أنشد بعضهم :

فاضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ... إن الغنى من استغنى عن الناس

وقال الأصمعى : بينا أنا بالحاجز من عنزة إذ بصرت بأعرابى إلى جانب أكمة[1] قد اشتمل بشملة فسلمت عليه فرد السلام ، فقلت : يا أعرابى أين منزلك ؟ قال بالخضراء حيث ترى ، وأشار إلى شجرة غير بعيدة ، فقلت : وأين أهلك ؟ قال : فى ملك مالك . قلت : فما مالك ؟ فقال :

للناس مال ولى مالان مالهما ... إذا تحارس أهل الإحراس
مالى الرضى بالذى أصبحت أملكه ... ومالى اليأس مما يملك الناس

قال فأخرجت درهما فأعطيته ، فقال : يا فتى هذا من مالى الذى أخبرتك به .

وروى أن عبد الرحمن الأعرج الفقيه بعث إليه بعض الأمراء شيئا فرده ، فقال له : لم رددت عطاءنا وقد بلغنى أنه ليس فى البلد أفقر منك ؟ قال : كلا كيف أكون فقيرًا ولى مالان أنفق منهما . قال : وما هما ؟ قال : أحدهما رضاى بما قسم لى ، والثانى : اليأس عما فى أيدى الناس وأنشد :

للناس مال ... البيتين المتقدمين

قال : ابن أبى الدنيا وأنشد فى أبى جعفر الأموى شيخ من أهل الحجاز (شعر) :

عليك بتقوى الله واقنع برزقه ... فخير عباد الله من هو قانع
ولا تلهك الدنيا ولا طمع بها ... فقد تهلك المغرور فيها المطامع
صبرا على ما ناب منها فما يستو ... ى عبد صبور وجازع
عادل ما الغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت فى النفس منه الأضالع

---

(١) مكان تداخلت فيه الأشجار ، والأعشاب ، والتف بعضها على بعض .

قال : وأنشد فى الحسين بن عبد الرحمن لإبراهيم بن داود (شعر) :

أقسم بالله لرضخ النوى ... وشرب ماء القلب المالحة
عز الإنسان من صرحه ومن ... سؤال الأوجه الكالحة
فاستشعر اليأس تكن ذا غنى ... مغتبطا بالصفقة الرابحة
فالزهد والتقوى هما سؤدد ... ورغبة النفس لها فاضحة
من كانت الدنيا به برة ... فإنها يومًا له ذابحة

قال وأنشدنى الحسين بن عبد الرحمن (شعر) :

إذا حكى لى طمع راحة ... قلت له الراحة فى الياس
إصلاح ما عندى وترقيعه ... أفضل لى من مسألة الناس

قال وحدثنى الحسين بن عبد الرحمن قال حدثنى الأزرق قال : لقى رجل أبا العتاهية على باب المسجد الجامع فقال له قبل أن يدخل المسجد أبياتا فقال :

نصف القنوع وأينا يقنع ... أو أينا يرضى بما يجمع
لله در ذوى القناعة ... ما أصفى معاشهم وما أوسع
من كان يبغى أن يلذ وأن ... تهدى جوارحه فلا يطمع
فقر النفوس بقدر حاجتها ... وغنى النفوس بقدر ما تقنع

الزهد

للإمام أبي عبد الله القرطبي
صاحب التفسير

وهو
(القسم الثالث)
من كتاب

قمع الحرص بالزهد والقناعة
ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

تحقيق

مجدي فتحي السيد

فى الزهد وبيانه

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(١) .

قال سفيان الثورى رضى الله عنه : (أحسنهم عملا) أزهدهم فيها(٢) . وكذلك قال أبو عصام العسقلانى (أحسنهم عملا) أترك لها(٣) . والزهد فى كلام العرب : هو الإضراب عن المال والجاه .

قال الجوهرى وغيره من أهل اللغة : الزهد خلاف الرغبة ، تقول : زهد فى الشيء ، وعن الشيء ، يزهد زهدًا ، وزهادة ، وزهد يزهد لغة فيه ، وفلان تزهد أى : يتعبد ، والتزهد فى الشيء ، وعن الشيء : خلاف الترغيب ، والمزهد القليل من المال .

وفى الحديث : « **أفضل الناس مؤمن مزهد** »(٤) . والزهيد القليل ، يقال : فلان زهيد الأكل ، وواد زهيد أى : قليل الأخذ للماء ، ويقال : خذ

---

(١) سورة الكهف : ٧ .

(٢) تفسير الجامع للقرطبى (ص/ ٣٩٧٢) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الجامع الصغير (١٢٩٧) وعزاه الحافظ السيوطى إلى الديلمى ، من حديث أبى هريرة ، ورمز له بالضعف ، وضعفه الشيخ الألبانى ، انظر : ضعيف الجامع برقم (١١٤١) . [معنى الحديث] :

(أفضل الناس مؤمن مزهد) أى قليل المال ، لأن ما عنده يزهد فيه لقلته ، هو اسم مفعول أى مزهود فيه ، لقلة ماله ، فهو لفقره ورثاثته لا يؤبه به ، ولا يلتفت إليه ، لكن نقل بعضهم أنه اسم فاعل من أزهد فى الدنيا إذا تخلى عنها العبد ، وزهد المؤمن فى الدنيا يبلغه أقصى المراتب فى العقبى ، ومن ثم لما سئل عيسى عليه السلام عن رجلين مرا بكنز ، فتخطاه أحدهما ، ولم يلتفت إليه ، وأخذه الآخر ، أيهما أفضل ؟ قال : الذى تركه . انتهى قاله العلامة المناوى ، انظر : فيض القدير (٢/ ٥٠) .

زهد ما يكفيك أى : قدر ما يكفيك ، وفلان يزدهد عطاء فلان أى : يعده قليلًا[1] . وكان ﷺ أزهد الناس ، وأغناهم نفسا ، وحسبك من زهده ما أخرجه الترمذى وابن ماجه وغيرهما : عن أبى أمامة عنه عليه الصلاة والسلام قال : « **عرض عليَّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا وفضة ، قلت : لا يارب لكن أشبع يومًا ، وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك ، وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك ، وشكرتك** »[2] . قال الترمذى : حديث حسن .

والزهد هو حال أبى بكر وعمر ، وعلى ، وأبى ذر ، وعثمان ، وأبى الدرداء ، وتميم الدارى ، ومن ماثلهم . وما أكثر الزهاد فى الصحابة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، زاهدان . فلا يلتفت إلى رواية من روى أن عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا . ما يسبقه إليها أحد ، والزبير لا يعادله بشر ، وسيأتى طرق من أحوال من زهد فى الدنيا إن شاء الله تعالى . واختلفت إشارات العلماء فى الزهد .

فقال مالك بن أنس : الزهد التقوى . قال علماؤنا : يريد عن الشبهات فإنه كان له توسع فى المباحات . وقال المسيب بن واضح : سئل ابن عيينة عن الزهد فقال : أن تزهد فيما حرم الله فأما ما أحل الله فقد أباحه ، فإن النبيين قد أكلوا ، وشربوا ، ونكحوا . وقال الزهرى : ليس بالتقشف ولكن بالصبر عن الشهوات . وعنه أيضا أنه قيل له : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك .

وقال سفيان الثورى وأصحابه : قصر الأمل ، وليس بأكل الغليظ ، ولا بلبس العباء . قلت : وهذا قول حسن ، فإن من قصر أمله أضرب عن الدنيا ، وعكف على عبادة المولى . وقال ابن زرارة بن أوفى بعد موته ، قلت له :

---

(1) انظر : لسان العرب (٣/ ١٩٦ – ١٩٧) مادة زهد .

(2) أخرجه الترمذى (٢٤٥١) ، وأحمد (٥/ ٢٥٤) ، والبغوى (٥١٩٠) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف جدًا ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٣٧٠٦) .

رحمك الله ماذا قيل لك ، فأعرض عنى قلت : ما صنع الله بك ؟ فأقبل علىّ ، وقال : تفضل الله علىّ بجوده وكرمه . قلت : فأى الأعمال أبلغ عندكم ؟ قال : الرضا ، وقصر الأمل . وقال قوم : الزهد بغض المحمدة ، وحب الثناء . وقلت : وهذه إشارة منه إلى ترك الدنيا كلها أحب تركها . وعنه أيضا : الزهد فى لقاء الناس . قلت : وهذه إشارة منه إلى الخلوة والتعبد ، والأنس بالوحدة .

ولقد أحسن أبو سليمان الخطابى رحمه الله حيث يقول :

آنست بوحدتى ، ولزمت بيتى ... فدام الأنس لى ونما السرور

وأدبنى الزمان فلا أبالى ... هجرت فلا أزار أو أزور

ولست بسائل مادمت حيا ... أسار الجليس أم ركب الأمير

وقال منصور الفقيه فأحسن :

الخير أجمع فى السكوت ... وفى ملازمة البيوت

فإذا استوى لك ذا ... وذا فاقنع بأقل القوت

وللقاضى أبى بكر بن العربى فى هذا المعنى :

حاز السلامة مسلم ... يأوى إلى مسكن وقوت

ماذا يؤجل بعد أن ... يأوى إلى بيت وقيت

والشعر فى هذا أكثر ، ولقد أحسن أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفى حيث يقول :

طرقى يانفس كى أقصد فردًا صمدًا ... وذرينى لست أبغى غير ربى أحدًا

هو حسبى وأنيسى فدعى الناس ... فما إن تجدى من دونه ملتحدًا

قال جعفر بن سليمان : سألت امرأة من العُبَّاد ، فقلت لها : من معك فى دارك ؟ قالت : من أناجيه معى ، فهل علىّ من وحشة بعد إذ هو أنيسى

يا عبد الله . وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلًا فرحت به ، وقلت أخلو بربي ، وإذا رأيت الصبح قد أدركني ، استرجعت كراهية لقاء الناس ، وأن يجيء من يشغلني عن ربي عز وجل .

وقيل : لا يكون زاهدًا حتى يكون ترك الدنيا أحب إليه من أخذها ، قاله إبراهيم بن أدهم . قلت : وهذا القول جار مع اللغة حسب ما تقدم .

وقال رجل للحسن : إن فقهاءنا يقولون ، فقال الحسن : وهل رأيت فقيهًا !!! الفقيه : الزاهد في دنياه ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه .

وقال قوم : الزهد أن يزهد في الدنيا بقلبه ، قاله ابن المبارك . قلت : وهذا قول حسن جدًا ، وحصولها في اليد ، أو عدم حصولها سواء ، فإن الزهد من أعمال القلوب .

وكذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - كانت الدنيا في أيديهم ، وهم معرضون عنها بقلوبهم ، على ما يأتي بيانه . وقالت فرقة : الزهد حب الموت .

قلت : وهذا القول يعم جميع الأقوال بالمعنى ، فإن في حب الموت ، حب لقاء المولى ، والإضراب عن الدنيا ، فهو أعلاها . وقد فسر النبي ﷺ الزهد تفسيرا يغني عن قول كل قائل ؛ أخرج ابن ماجه في سننه ، والترمذي في الجامع عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : **« ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ، ولا في إضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في أيديك أوثق منك بما في يد الله تعالى ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها ، أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك »**[1] . قال ابن ماجه : قال هشام بن عمار : كان أبو إدريس الخولاني

---

(١) الترمذي (٢٣٤٣) ، وابن ماجه (٤١٠٠) ، البغوي (٥٣٠١) في المشكاة ، قال الشيخ الألباني : ضعيف جدا ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٣١٩٤) .

يقول : هذا الحديث فى الأحاديث كمثل الإبريز فى الذهب .

وقال الترمذى : حديث غريب ، وأبو إدريس الخولانى اسمه عائذ الله بن عبد الله ، وعمرو بن واقد منكر الحديث . قلت : فأشار ﷺ فى هذا الحديث إلى بابين عظيمين ؛ **أحدهما** : التوكل ، وقد تقدمت الإشارة إليه . **والثانى** : الرضا ، وهو على قسمين :

رضا عام : وهو لا يجد غير الله ربًا ، ولا غير الإسلام دينًا ، ولا غير محمد رسولًا ، زهد الرضا لا يخلو عنه مسلم ، إذ لا يصح التدين بدين الإسلام إلا بذلك ، وهو المراد بقوله : « **ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا** »[1] . أخرجه مسلم وغيره .

ورضا خاص : وهو الذى تكلم فيه أرباب القلوب ، وأحسن عبارة فيه ، ما قاله الثورى : هو سرور القلوب عند القضاء . وهو الذى أشار إليه النبى ﷺ فى هذا الحديث ، والله أعلم .

وهو غاية الرضا ، فيظهر العبد التحمل عند أول المصيبة ، ويرضى ثواب الله عوضًا عما أخذ منه ، ولا يسخط شيئا فيرد القضاء .

قال شقيق : اشتريت بطيخة لأمى ، فلما قطعتها سخطت ، قلت : يا أماه على من تسخطين ؟ هل تردين القضاء ، أو تلومين حارثها ، أو مشتريها ، أو خالقها ؟ فأما حارثها ، ومشتريها ، فوالله ما كان لهما ذنب ، فيودان أن تكون من أطيب البطيخ ، ولا أراك تلومين إلا خالقها ، فاتقى الله ولا تلوميه . قال شقيق : فوالله ما سمعت منى أمى كلامًا أنفع لها من هذا . وروى الزبير ابن بكار قال : حدثنى على بن محمد بن عبد الله قال : كتب غيلان إلى بعض إخوانه ، وقد أصيب بابنه :

أما بعد ... فإن الله أعطاك هبته ، وجعل عليك أدبه ، ومؤنته ، وأنت

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٢) فى الإيمان ، وأحمد (١/ ٢٠٨) .

تخشى فتنته ، فاشتد لذلك سرورك ، فلما قبض الله هبته ، وكفاك أدبه ، وأمنت من فتنته اشتد لذلك جزعك[1] لهنئت بما عزيت ، فإذا أتاك كتابى هذا فاصبر على الأمر الذى لا غنى لك عن ثوابه ، ولا صبر لك عن عقابه ، واعلم أن كل مصيبة لم يذهب فرحُ ثوابها حزنَها ، فذلك هو الحزن الدائم . والسلام .

(١) بياض بالأصل ، والمعنى المراد لو أنك صبرت على هذا البلاء لهنئت بما عزيت .

فيما يحمل على التملك من الدنيا والزهد فيها

وهو ثلاثة أشياء : قصر الأمل ، ذكر الموت ، وزيارة القبور . أخرج البخارى عن ابن عمر قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : **« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »**[1] .

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك .

وروى عن عبد الله بن عمرو قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًّا لنا ، فقال : **«ما هذا ؟»** قلنا : قد وَهَى ، فنحن نصلحه ، فقال : **« ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك »**[2] . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وأخرج ابن ماجه عن أبى أيوب قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله علمنى فأوجز ، قال : **« إذا قمت إلى الصلاة ، فصل صلاة مودِّع ، ولا تكلم بكلام تعتذر منه ، واجمع اليأس عما فى أيدى الناس »**[3] . وقد تقدم .

---

(١) أخرجه البخارى (٨/ ١١٠) فى الرقاق ، والترمذى (٢٤٣٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦١) ، وأبو داود (٥٢٣٦) ، والترمذى (٢٤٣٨) ، وابن ماجه (٦٠ ٤١) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح . انظر : تخريج المشكاة (٥٢٧٥) ، صحيح الجامع برقم (٥٤٠٢) .

[معانى المفردات] قوله : (نعالج) أى نصلح ، (خُصًّا) الخص بيت من قصب ، (وهى) أى : ضعف واسترخى ، (ما أرى الأمر) أى أمر الموت .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢) ، ابن ماجه (٤١٧١) ، الطبرانى (٤/ ١٨٥) فى الكبير ، وأبو نعيم (١/ ٣٦٢) فى الحلية ، والبغوى (٥٢٢٦) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله -: حسن ، انظر : السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٠) ، وصحيح الجامع (٧٥٥) . [مفردات الحديث] : قوله (أوجز) أى اقتصر على خلاصة الأمر ليكون أسهل للضبط ، أو أدِّ ذلك العلم المطلوب بكلام مختصر ، موجز لفظا ، جامع للعلم الكثير المعنى ، قوله : (مودع) أى : كن كأنك تصلى آخر صلاتك ، (يعتذر منه) أى : يحتاج منه إلى الاعتذار ، (واجمع) أى اعتقد ، واعزم .

وأخرج عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تزهد فى الدنيا ، وتذكر الآخرة** »[1] . وقال وهيب بن الورد : بنى نوح عليه السلام بيتًا من قصب ، فقيل له : لو بنيت غير هذا ، فقال : هذا كثير لمن يموت[2] .

وقال ابن المهاجر : مكث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فى بيت من شَعْر ، فقالوا : يانبى الله ، لو بنيت غير هذا ؟ فقال : أموت اليوم ، أموت غدا . وروى الترمذى عن عبد الله قال : قام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تنام عليه !! فقال : « **مالى وللدنيا ، ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها** »[3] .

ولقد أحسن من قال :

هب الدنيا تساق إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى زوال
وما دنياك إلا مثل ظل ... ثم أذن بـــــــارتحال

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧١) ، قال الشيخ الألبانى – عفا الله عنه –: ضعيف ، انظر : أحكام الجنائز (ص/ ١٨٠) ، ضعيف الجامع (٤٢٨٤) . لكن أخرجه الحاكم بلفظ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، فإنها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ، ولا تقولوا هجرا) انظر : مستدرك الحاكم (١/ ٣٧٦) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٤٤٦٠) ، أحكام الجنائز (ص/ ١٧٩ – ١٨٠) .

(٢) أورده أبو نعيم(٨/ ١٤٥) فى الحلية فى ترجمة وهيب بن الورد . قوله : (قصب) : القصب : كل نبات ذى أنابيب ، واحدتها : قصبة .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٨٣) وقال :حديث صحيح ، وابن ماجه (٤١٠٩) ، أحمد (١/ ٣٩١) ، والحاكم (٤/ ٣١٠) ، أبو داود الطيالسى (٢٧٧) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة برقم (٤٣٩) ، صحيح الجامع برقم (٥٥٤٤) . [من معانى الحديث] قوله : (مالى وللدنيا) قال القارى : ما نافية أى ليس لى ألفة ومحبة مع الدنيا ، ولا للدنيا ألفة ومحبة معى ، حتى أرغب إليها ، وأنبسط عليها ، وأجمع ما فيها .

أو استفهامية أى : أى ألفة ومحبة لى مع الدنيا ، أو أى شىء لى مع الميل إلى الدنيا ، أو ميلها إلىّ ، فإنى طالب الآخرة ، وهى ضرتها .

وقال آخر فأحسن :

طالب الدنيا بحرص وعجل إنما الدنيا كظل منتقل
نحن فيها مثل ركب نازل فقيل كلما أحل ارتحل

قال علماؤنا : وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغى لعاقل أن يُخدع بها ، ولقد صدق القائل :

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وروى ابن عباس عن النبى ﷺ قال : **« إن أردتم أن تدركوا ما عند الله عز وجل ، فكونوا فى الدنيا نزل الأضياف »**[1] .

وروى منصور عن الحسن قال : لما حضر سلمان الموتُ بكى ، فقيل له : يا أبا عبد الله ما يبكيك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟!!! فقال : أما إنى لا أبكى حزنًا على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا فتركت عهده ، عهد أن يكون بلغة أحدنا كزاد الراكب . قال : فلما مات نظروا ، فإذا نحوًا من ثلاثين درهمًا[2] . ورواه ثابت عن أنس أن سعدًا عاده فقال له : ما يبكيك يا أخى . الحديث أخرجه ابن ماجه فى سننه قال قال ثابت : فبلغنى أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده[3] .

وروى الترمذى قال : حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا سفيان عن منصور والأعمش عن أبى وائل قال : جاء معاوية إلى أبى هاشم بن عتبة وهو مريض يعوده ، فقال : يا خال ما يبكيك ؟ أوجع يشئزك ، أم حرص على الدنيا ، قال : على كل لا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا لم آخذ به ، قال : **« إنما يكفيك من جمع المال خادم ،**

---

(١) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .
(٢) حلية الأولياء (١/ ١٩٦) فى ترجمة سلمان رضى الله عنه .
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٤) ، والحلية (١/ ١٩٧) .

ومركب فى سبيل الله »[1] . وأجد فى بيتى اليوم قد جمعت . أخرجه ابن ماجه أيضا ، وهو صحيح .

---

(1) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٤) ، (٥/ ٢٠٠ ، ٣٦٠) ، والترمذى (٢٤٢٩) ، النسائى (٨/ ٢١٨ - ٢١٩) ، وابن ماجه (٤٠١٣) ، والبغوى (٥١٨٥) فى مشكاة المصابيح ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله -: حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٢٣٨٢) . [من مفردات الحديث] : قوله : (يشئزك) أى يقلقك ، يقال :شئز ، وشئِز ، فهو مشئوز ، وأشأزه غيره ، وأصله الشأز ، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة . قوله : (فى سبيل الله) أى ما كان فى جهاد ، أو طلب للعلم ، والسعى على الرزق ، أو الحج ، والمقصود منه القناعة ، والاكتفاء بقدر الكفاية ، بما يصح أن يكون زادا يوصله إلى الآخرة .

فضل الزهد وثمرته

أخرج ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدى قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله ، وأحبنى الناس ؟ فقال له النبى ﷺ : **« ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس »**[1] .

وأخرج عن أبى خلاد ، وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ : **« إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدًا فى الدنيا ، وقلة منطق ، فاقتربوا منه ، فإنه يلقى الحكمة »**[2] .

وقال عبد الله بن مسعود : أنتم اليوم أكثر صلاة ، وأشد عبادة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانوا خيرا منكم ، قالوا : ولم ؟ قال : كانوا أزهد منكم فى الدنيا ، وأرغب فى الآخرة .

وقال سفيان الثورى : إذا زهد العبد فى الدنيا ، ثبت الله الحكمة فى قلبه ، وأطلق بها لسانه ، وبصره بعيوب نفسه ، وجعل داءها دواءها .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢) ، والحاكم (٤/ ٣١٣) ، والطبرانى (٦/ ٢٣٧) فى الكبير ، البغوى (٥١٨٧) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٩٣٥) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٠١) ، وأبو نعيم (١٠/ ٤٠٥) فى الحلية ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٦٠٧) .

فى أحوال من زهد فى الدنيا

وهى ست : المقال ، اللباس ، المطعم ، والصبر على الفاقة والحاجة ، وترك السؤال ، الخمول .

فأما المقال : وهو أولها : فهو المقصود الأعظم بأن يكون قوله يوافق فعله ، وقد ذم الله تعالى فى كتابه قوما كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها فقال : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[1] .

وقال منصور الفقيه فأحسن (شعر) :

إن قوما يأمرونا	**بالذى لا يفعلونا**
لمجانين وإن هم	**لم يكونوا يصرعونا**

وقال أبو العتاهية :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى	**وريح الخطايا من ثيابك تسطع**
ما أقبح التزهيد من واعظ	**يزهد الناس ولا يزهد**
لو كان فى تزهيده صادقا	**أضحى وأمسى بيته المسجد**
إن رفض الناس فما باله	**يستميح الناس ولا يرقد**
الرزق مقسوم على من ترى	**يسعى له الأبيض والأسود**

وقال أبو الأسود الدؤلى فأحسن :

---

(١) سورة البقرة : ٤٤ .

لا تنه عن خلق وتأتى مثله　　عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها　　فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى　　بالقول منك وينفع التعليم

قال إبراهيم النخعى : إنى لأكره القصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَاأَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾[2] .

الثانية : لباسه : نظر رافع بن ثابت رضى الله عنه إلى الأمير بالكوفة وهو يعظ فقال : انظروا إلى أميركم يعظ الناس ، وعليه ثياب الفساق ، وكانت عليه ثياب رقاق .

الثالثة : مطعمه يكون متوسطا :فتكون هذه الأحوال الثلاثة متصادقة يصدق بعضها بعضا .

الرابعة : صبره على الحاجة والفاقة : إن عرضت أو نزلت به حتى لا يظهر شيء من ذلك عليه كما أخبر عز وجل عنهم بقوله : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾[3] . وهى السمة التى يعرفون بها وهى رضاهم بحكم المولى .

وقيل يقصد بالتعفف التجمل كما قال تعالى : ﴿ فاصْبِر صَبْرًا جَمِيلًا ﴾[4] فى أحد الأقوال .

وقيل : يؤثر على نفسه حتى يوهم المعطى الذى أعطاه أنه غنى وقيل : هو أن لا يدخر خوف غدٍ .

---

(١) سورة الصف : ٢ .
(٢) سورة هود : ٨٨ .
(٣) سورة البقرة : ٢٧٣ .
(٤) سورة المعارج : ٥ .

وقيل : هو أن لا يسأل إلا الله تعالى كما قال العبد الصالح : ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] . المعنى أنا محتاج إلى رزق الذى كتبته لى فإن كان فأرسله إلى وارفع حاجتى .

قلت : هذا القول أحسنها إن شاء الله تعالى ، فينزل حاجته بالله تعالى ، ويظهر التجمل لغيره حتى يظنه أنه غنى . ولقد أحسن من قال :

ويسألنى صديقى كيف حالى فأوهمه الغنى وقد جهدت

تقدم ذكرها . وقال آخر :

إنى لأكرم وجهى أن أوجهه عند السؤال لغير الواحد الصمد

وقد تقدم .

قال القاضى أبو بكر بن العربى : وقد حرم بعض الصوفية السؤال ، فقال : هو تشنيع من العبد على المولى ، وهذا جهل عظيم ، ولقد أخبرنا الله عز وجل أن من عباده غنيًا وفقيرًا ، وأمرنا أن نعود على الفقراء ، وذلك من حكمه وحكمته ، فأى تشنيع فى أن يخبر عن حاله التى يختص بها ، وقد أعلمنا الله تعالى بها فى الجملة .

قالوا : فيها إذلال المرء نفسه ، قلنا : وأى إذلال فى أن يحيلك مولاك بنعمة أعطاها لك على يد أخيك ، أودعها لك عنده . الذل على السؤال لا على السائل ، فهو خازنك ، إن أعطاك ما أمر به أُجر ، وإن كره أو تردد أثم .

قالوا : وفيها إيذاء المسئول لأنه إن سمح به شق عليه مفارقة ماله ، وإن بخل فصورة مذمومة ، قلنا : شق الله عليهم ولم يبخلوا بما آتاهم الله من فضله يحسبونه خيرًا لهم وهو شر لهم . ورووا فى ذلك حديثًا عن النبى ﷺ : « **مسألة الناس من الفواحش** »[2] . قلنا لهم : من أعظم الفواحش وأكبر

---

(١) سورة القصص : ٢٤ .

(٢) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

الكبائر وأشد الموبقات رواية هذا الحديث .

الخامسة : إذا كان عنده ما يكفيه فلا يسأل الله إلا قوت يوم : على حديث سهل بن الحنظلية وقد تقدم .

السادسة :— أن يكون خاملا لا يعرف : كما فى حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ « **إن أغبط أوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من الصلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه فى السر ، وكان غامضا فى الناس ، لا يشار إليه بالأصابع** »[1] . الحديث وقد تقدم .

وقال أويس القرنى لعمر : « دعنى أكون فى غبراء الناس أحب إلىّ »[2] أخرجه مسلم . وكان الصالحون إذا عرفوا هربوا كما فعل أويس فإنه لما فطن به انطلق على وجهه .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٥١) وقال : على بن يزيد يُضعفُ فى الحديث ، وابن ماجه (٤١١٧) ، أحمد (٥/ ٢٥٥) ، الحاكم (٤/ ١٢٣) فى مستدركه ، وابن المبارك (٥٤) فى الزهد ، الطبرانى (٨/ ٢٤٢) فى الكبير ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : تخريج المشكاة (٥١٨٩) ، وضعيف الجامع (١٣٩٧) .
[من معانى الحديث] : قوله (إن أغبط أوليائى) أى أحسنهم حالا ، وأفضلهم مآلا (عندى) أى فى اعتقادى .

(خفيف الحاذ) أى خفيف الحال ، الذى يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال ؛ قال الجزرى : الحاذ والحال واحد ، وأصل الحاذ طريقة المتن ، وهو ما يقع عليه اللبد من ظهر الفرس ، أى خفيف الظهر من العيال .

(كان غامضا فى الناسّ) أى : خاملا خافيا ، غير مشهور ، فيما بين الناس .

(٢) صحيح مسلم (١٦/ ٩٦ بشرح النووى) .

قوله : (غبراء الناس) أى فى أخلاطهم ، وضعافهم الذين لا يهتم بهم أحد ، وهذا إيثار لعدم الظهور .

نذكر فيه طرفا من زهد النبى ﷺ ، فى عيشه ومطعمه ، وملبسه ، ومركبه . قد تقدم من حديث أبى أمامة عنه عليه السلام أنه قال : « **عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا وفضة فقلت لا يارب** »[1] . الحديث .

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ فى حرة المدينة ، عشاء ، ونحن ننظر إلى أحد ، فقال لى رسول الله ﷺ : « **أباذر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ما أحب أن لى أحدا ذاك عندى ذهب أمسى ثالثة عندى منه دينار إلا دينار أرصده لدين ، إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا حثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله** »[2] . وأخرجه البخارى . وأخرج الترمذى عن أبى أمامة قال : ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير[3] . (قال حديث حسن صحيح) .

وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم الشعير [4] . قال حديث حسن صحيح .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخارى (٨/ ١١٧) ، ومسلم (٧/ ٧٥) . قوله : (حرة المدينة) هى الأرض الملبسة حجارة سوداء .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٦٤) وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . قوله : (ما كان يفضل) قال فى القاموس : الفضل ضد النقص ، والمعنى المراد : لم يتيسر لهم من دقيق الشعير ما إذا خبزوه يفضل عنهم ، مما يوضح شدة حالهم .

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥ ، ٣٧٤) ، والترمذى (٢٤٦٥) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٧) ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله -: حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٤٧٧١) .

قوله : (طاويا) أى جائعا ، يقال : طوى من الجوع يطوى طوى ، فهو طاو ، أى : خالى البطن جائع ، لم يأكل .

وعن سهل بن سعد أنه قيل له أآكل رسول الله ﷺ النقي ؟ يعني الحُوَّارَى ، فقال سهل : ما رأى رسول الله ﷺ النقي حتى لقي الله عز وجل . فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما كانت لنا مناخل قيل : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال كنا ننفخه فيطير منه ما طار ثم نُثَرِّيه فنعجنه[1] . قال : حديث صحيح ، أخرجه ابن ماجه أيضا في سننه . وأخرج ابن ماجه عن أم أيمن أنها غربلت دقيقا فصنعته للنبي ﷺ رغيفًا ، فقال : ما هذا ؟ قالت : طعام نصنعه بأرضنا فأحببت أن أصنع لك منه رغيفًا ، قال : « **رديه فيه ثم اعجنيه** »[2] .

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض »[3] . وفي رواية : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض »[4] . وفي رواية : « خبز بر إلا وأحدهما تمر »[5] .

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد من خبز برٍّ مأدُومٍ ثلاثة أيام ، حتى لقي الله عز وجل[6] . وعنها رضي الله عنها قالت : توفي رسول الله ﷺ وما في رفِّي من شيءٍ يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي فأكلت منه حتى طال عليَّ فكِلتُه ففني [7] . رواه البخاري ومسلم.

قلت : فقد أخبرتك عائشة رضي الله عنها بعيش النبي ﷺ زاهدًا في الدنيا مع توالي الفتوحات وكثرة الأموال والجبايات .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٩) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٣٥) .
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٣٦) ، وإسناده حسن .
(٣) أخرجه البخاري (٨/ ١٢١) ، ومسلم (١٨/ ١٠٥) ، أحمد (٦/ ١٢٨ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧) ، ابن ماجه (٣٣٤٤) .
(٤) أخرجه مسلم (١٨/ ١٠٦) ، والترمذي (٢٤٦٢) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٦) .
(٥) البخاري (٨/ ١٢١) بمعناه ، وأخرجه مسلم (١٨/ ١٠٦) .
(٦) البخاري (٧/ ٩٨) ، والنسائي (٧/ ٢٣٦) .
(٧) البخاري (٨/ ١١٩) ، مسلم (١٨/ ١٠٧) ، الترمذي (٢٥٨٩) بمعناه ، وابن ماجه (٣٣٤٥) ، وأحمد (٦/ ١٠٨) .

وفى الصحيحين عنها – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ اشترى من يهودى طعامًا إلى أجل ورهنه درعًا من حديد[1] .

وأخرجه النسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعًا من شعير لأهله[2] .

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يومًا بطعام سخن فأكله فقال : لما فرغ قال : « **الحمد لله ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا** »[3] .

وروى عن عروة بن الزبير أنه قال : قالت لى خالتى : والله يابنى لقد كنا نقعد أربعين ليلة ، وما توقد فى بيت رسول الله ﷺ نار ، ولا مصباح ، قال : فقلت لها وبماذا كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين : التمر والماء لا غير ذلك[4] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : والله لقد كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار[5] . أخرجه مسلم .

وروى أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السنى الحافظ أخبرنا أحمد ابن محمود الواسطى قال حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا عبيد بن يعيش قال : حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك عن أبى الدرداء قال كان رسول الله ﷺ لا ينخل الدقيق ، ولم يكن له إلا قميص

---

(١) البخارى (٣/ ٧٤) ، ومسلم (١٠/ ٤٠) ، وأحمد (٦/ ٤٢ ، ١٦٠ ، ٢٣٠) .
(٢) أخرجه النسائى (٧/ ٣٠٣) .
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٥٠) وفى إسناده سويد بن سعيد . قال الحافظ ابن حجر عنه : صدوق فى نفسه ، إلا أنه عمى فصار يتلقن ما ليس من حديثه ، انظر التقريب (١/ ٣٤٠) .
(٤) البخارى (٨/ ١٢١) بنحوه ، ومسلم (١٨/ ١٠٧) .
(٥) انظر السابق .

واحد[1] .

وأخرج من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما اتخذ رسول الله ﷺ من شيء زوجين لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين إلا من النعال[2] .

وعن الأحنف بن قيس أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لحفصة : أنشدك الله هل تعلمين أن رسول ﷺ كان يضع ثوبه ليغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج فيه للصلاة حتى ييبس فيخرج فيه .

وروى البخارى عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : كان فراش رسول الله ﷺ الذى ينام عليه أدما حشوه ليف[3] .

وأخرجه ابن ماجه ، وقال ضجاع رسول الله بدل فراش[4] ، ورواه البخارى .

وروى الترمذى عنها قالت : كانت وسادة النبى ﷺ التى يضطجع عليها من أدم حشوها ليف[5] . قال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج أبو داود قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا حماد عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن بعض آل أم سلمة قال : كان فراش رسول الله ﷺ نحواً

---

(١) فى إسناده سعيد بن ميسرة . قال البخارى : عنده مناكير ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ، وقال الحاكم : روى عن أنس موضوعات ، وكذبه يحيى القطان . فالإسناد موضوع ، انظر : التاريخ الصغير للبخارى (ص/ ١٩٠) ، والكبير (٣/ ٥١٦) ، المجروحين (١/ ٣١٢) ، الميزان (٢/ ١٦٠) ، الجرح والتعديل (٤/ ٦٣) لابن أبى حاتم .

(٢) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

(٣) البخارى (٨/ ١٢١) ، ومسلم (١٤/ ٥٨) ، الترمذى (١٨١٦) وقال : حسن صحيح .

(٤) ابن ماجه (٤١٥١) .

(٥) الترمذى (٢٥٨٦) وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وأبو داود (٤١٤٦) بنحوه .

مما يوضع الإنسان فى قبره ، وكان المسجد عند رأسه [١] .

وأخرج ابن ماجه قال : حدثنا عمرو بن رافع قال حدثنا جرير عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويشيع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته إكاف من ليف[٢] .

وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير[٣] . الحديث أخرجه مسلم .

---

(١) أبو داود (٥٠٤٤) ، والبغوى (٤٧١٧) فى مشكاة المصابيح ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع (٤٤٧٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٧٩) وفى إسناده مسلم بن كيسان الأعور ، من الضعفاء ، انظر : التقريب (٢/ ٢٤٦) ، الميزان (٤/ ١٠٦) ، التاريخ الكبير للبخارى (٧/ ٢٧١) ، الضعفاء للعقيلى (١٧٢٢) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٩٢) لابن أبى حاتم . قوله : (برسن) هو الحبل الذى تقاد به الدابة . قوله : (إكاف الحمار) : برذعته .

(٣) البخارى (٤/ ٣٥) ، ومسلم (١/ ٢٣٣) .

نذكر فيه طرفًا من زهد صحابته رضى الله عنهم فأول ذلك الصديق رضى الله عنه ، قال بعض الفقهاء للشبلى مختبرًا : ياشيخ كم فى خمس من الإبل ؟ فقال له : على مذهبنا ، أو مذهبكم ؟ قال : وهل لكم مذهب سوى مذهبنا ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ قال : أما على مذهبكم ، ففى خمس من الإبل شاة من الغنم ، وعلى مذهبنا فَبَذْلُك الكل[1] قال : وهل لك فى هذا المذهب إمام ؟ قال : نعم أمير المؤمنين أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – فإنه أتى النبى ﷺ بجميع ماله ، فقال له : **ما تركت لعيالك ؟** قال : الله ورسوله[2] . وقال فى مرضه الذى توفى فيه : رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهى جائية ، وستتخذون ستور الحرير ، ونضائد الديباج وتهجرون مضاجع الصوف ، وكنتم تبيتون فى أشد الأمر على حسائك السعدان ، والله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه فى غير حد خيرًا له من أن يسبح فى غمرة الدنيا[3] .

وقيل له : يا خليفة رسول الله ﷺ ألا تستعمل أهل بدر ؟ فقال : إنى أرى مكانهم ، ولكن أكره أن أدنسهم بالدنيا[4] .

وأما عمر رضى الله عنه فإنه أتى بنصف ماله ، وترك نصفا لعياله ، ولبس قميصًا جديدًا ، ثم دعا بشفرة ، فقال لابنه : يابنى مدّ كُمّ القميص والزق يديك بأطراف أصابعى ، ثم اقطع ما فضل عنها ، قال عبد الله : فقطعت الكمين من جانبيه ، فصار كم القميص بعضه فوق بعض فقلت : يا أبتاه لو سويته

---

(١) بذلك الكل : أى إعطاؤك الكل . يقال : بذل الشيء أى أعطاه وجاد به .

(٢) أخرجه الترمذى (٣٩٢٠) بلفظ : (ما أبقيت لأهلك ؟) وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم (١/ ٤١٤) وقال : صحيح وأقره الذهبى ، وأخرجه أبو نعيم (١/ ٣٢) فى حلية الأولياء .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٤) .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٧) .

بالمقص ، فقال : يابني هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل فما زال عليه حتى تقطع ، وكان ربما رأيت الخيوط تتساقط على قدميه[1] .

وقال الحسن خطب عمر رضي الله عنه وهو خليفة وعليه إزار ، فيه اثنتا عشرة رقعة[2] . وقال قتادة : ذكر لنا أن عمر رضي الله عنه قال : لو شئت كنت أطيبكم طعامًا وألينكم لباسا ، ولكنى أستبقى طيباتى للآخرة[3] .

وقال الأحنف بن قيس : سمعت عمر يقول : لأنا أعلمكم بخفض العيش ، ولوشئت لكنت أطيبكم عيشا إنى والله ما أجهل عن أسنمة وصلاء ، وصناب ، وصلائق ولكنى أستبقى طيباتى ، فإن الله تعالى وصف أقواما[4] فقال : ﴿ أَذْهَبْتُم طَيِّبَاتِكُم فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾[*] . والصلاء بالمد والكسر المشوى سمى بذلك لأنه يصلى بالنار ، والصناب الأصبغة المتخذة من الخردل والزبيب ، والصلائق الخبز الرقاق العريض . فأما السلائق بالسين فهو ما يسلق من البقول وغيرها .

وقال حفص بن العاص كنت أتغدى عند عمر رضي الله عنه الخبز والزيت والخل ، والخبز واللبن والقديد ، وأقل ذلك اللحم الغريض[5] وكان يقول لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله .

وأما عثمان رضي الله عنه فحسبك به زهدًا جهز جيش العسرة بثلاث مائة

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٤٥) .
(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٣) ، وصفة الصفوة (١/ ٢٨٤) .
(٣) حلية الأولياء (١/ ٤٩) ، وأورده صاحب منتخب كنز العمال (٤/ ٤٠٦) وعزاه لعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة .
(٤) حلية الأولياء (١/ ٤٩) ، صاحب منتخب كنز العمال (٤/ ٤٠٢) وعزاه لابن المبارك وابن سعد عن أبي موسى الأشعرى .
(*) سورة الأحقاف : ٢٠ .
(٥) اللحم الغريض : الطرى من اللحم ، يقال : أطعمنا لحما غريضًا أى طريا ، وغريض اللبن واللحم : طريه .

بعير بأحلاسها وأقتابها وألف دينار أتى بها النبى ﷺ[١] فنثرها بين يديه وترك نفسه حياطة على الأمة حتى لا يقع بينهم فتنة ، وكان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل بيته فيأكل الخبز والخل والزيت .

وقال عبد الله بن شداد رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة وعليه إزار عدنى غليظ ثمنه أربعة دراهم ، أو خمسة ، وريطة كوفية ممشقة[٢] .

وأما على رضى الله عنه ، فقال بعض الثقات : دخلت علَى علِىٍّ بالخورنق[٣] وهو يرعد تحت سمل قطيفة[٤] ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وإن الله قد جعل لك ولأهل بيتك فى هذا المال حظًّا فأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال : والله ما رزأتكم من مالكم شيئا ، وإنها لقطيفتى ، أى خرجت بها من منزلى ، يعنى من المدينة[٥] . واشترى قميصا له بدراهم فلبسه ، فإذا هو يفضل على أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه[٦] . وجاءه ابن النباح[٧] فقال : امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء . فأتى بيت المال فجمع مستحقيه ، وأعطى جميع ما فيها ، وهو يقول : يا صفراء اصفرى ، ويا بيضاء ابيضى ، غُرِّى غيرى ، ها ، وها . حتى ما بقى منه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه ، وصلى فيه ركعتين ، رجاء أن يشهد يوم القيامة[٨] .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٧٥) ، وأبو نعيم (١/ ٥٩) فى حلية الأولياء . قوله (أحلاسها) جمع حلس ، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل . قوله : (أقتابها) جمع قتب أى الرحل .

(٢) حلية الأولياء (١/ ٦٠) وتحرف فيها عبد الله بن شداد إلى عبد الملك بن شداد . قوله : (ريطة) الرَّيْطة هى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ولم تكن لفقين ، والجمع ريط ، ورياط .

(٣) الخورنق : هو موضع بالكوفة ، والخورنق أيضا : قصر النعمان بظاهر الحيرة ، بناه سنمَّار صاحب المثل المشهور ، والمعنى الأول هو المراد هنا .

(٤) القطيفة : كساء له خمْل ، والسمل : الخلق من الثياب ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى قطيفة سمل .

(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٢) .

(٦) حلية الأولياء (١/ ٨٣) ، وصفة الصفوة (١/ ٣١٨) .

(٧) هو عامر بن النباح مؤذن على بن أبى طالب ، ويروى عنه ، انظر : طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤) .

(٨) حلية الأولياء (١/ ٨١) .

وأتى بفالوذج فوضع قدامه ، فقال : إنك طيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم ، ولكن أكره أن أعود نفسى مالم تعتده[1] .

قلت : فزهد هؤلاء الخلفاء — لم يكن عن اضطرار ، وإنما كان ذلك منهم اختيارًا ؛ إيثارًا للأفضل من الحال وتواضعًا لله عز وجل ، واقتداء بنبيهم ﷺ .

وقد روى الترمذى من حديث سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : **« من ترك اللباس تواضعا لله ، وهو يقدر عليه ، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها »**[2] قال حديث حسن .

وأما طلحة بن عبيد الله — رضى الله عنه — فقال الحسن : باع طلحة بن عبيد الله أرضا بسبع مائة ألف درهم ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقًا من مخافة ذلك ، حتى أصبح وفرقه على المساكين[3] . وقال زياد بن حدير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف درهم على الناس فى المسجد[4] طرف إزاره بيده[5] . وكان أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — إذا ذكر يوم أحد ، قال ذلك كله يوم طلحة[6] .

وأما الزبير بن العوام — رضى الله عنه — فكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وكان يقسمه كل ليلة ثم يعود إلى منزله ، ليس معه منه شىء[7] .

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٨١) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٥٩٨) ، وأحمد (٣/ ٤٣٩) ، والحاكم (٤/ ١٨٣) ، وأبو نعيم (٨/ ٤٨) فى الحلية ، قال الشيخ الألبانى : حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٦٠٢١) .

(٣) الزهد لأحمد (ص/ ١٨١) ، حلية الأولياء (١/ ٨٩) ، صفة الصفوة (١/ ٣٤٠) وعزاه لأحمد .

(٤) غير واضحة بالأصل لسقوط المداد على الكلام .

(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٨) ، وصفة الصفة (١/ ٣٤١) ونصه كاملا كالتالى : عن سعدى بنت عوف امرأة طلحة قالت : لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف درهم ، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفى ثوبه .

(٦) حلية الأولياء (١/ ٨٧) ، صفة الصفوة (١/ ٣٣٨) .

(٧) الزهد لأحمد (ص/ ١٧٩) ، حلية الأولياء (١/ ٩٠) .

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل . وباع دارًا بستمائة ألف ، فقيل له : يا أبا عبد الله غبنت ، فقال : كلا والله لتعلمن أنى لم أغبن هى فى سبيل الله تعالى .

ولما كان يوم الجمل جعل يوصى بنيه بدينه ويقول : يابنى إن عجزتم عن شيء فاستعينوا عليه بمولاى ، قال عبد الله بن الزبير : فقلت يا أبت من مولاك ؟ قال : الله . قال : فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير اقض دين الزبير ، فيقضى دينه من ساعته[1] .

قتل رضى الله عنه ولم يدع دينارا ولا درهما إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة دارًا بمصر ، وإنما كان دينه الذى عليه أن الرجل يأتيه بالمال ويستودعه إياه ، فيقول له الزبير : لا ولكن سلف فإنى أخشى عليه الضيعة ، قال عبد الله : فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف[2] ، فقضى عنه دينه من تلك التركة حسب ما ذكره البخارى فى صحيحه .

وكان عبد الله ينادى فى الموسم أربع سنين : من كان له على الزبير فليأته . فلما مضى أربع سنين قسمه ، نال الورثة الباقى ، وكان له أربع نسوة ، وأصابت كل امرأة ألف ألف ومائتى ألف ، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف [3] . ذكره البخارى رحمه الله .

وأما عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فأحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضى الله عنهم .

هاجر عبد الرحمن إلى أرض الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها ، وثبت مع النبى ﷺ يوم أحد ، وصلى رسول الله ﷺ خلفه ركعة ، فى غزوة تبوك ، وقال : « **ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته** » وكان من مياسير الصحابة وعامة أمواله من التجارة .

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٩٠ – ٩١) ، صفة الصفوة (١/ ٣٤٨) .
(٢) حلية الأولياء (١/٩١) .
(٣) مسلم (٣/ ١٧٢) ، والنسائى (١/ ٧٧) ، أحمد (٤/ ٢٤٩ – ٢٥٠ ، ٢٥١) .

وقال الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبى ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمس مائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل على مائة ألف ، ومائة راحلة فى سبيل الله ، وقدمت له عير من الشام وكانت سبعمائة راحلة فتصدق بها وبأحمالها وأقتابها ، وأحلاسها فى سبيل الله[1] .

وفى كتاب المستدرك للحاكم أبى عبد الله محمد بن عبد الله عن جعفر بن برقان قال : بلغنى أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت[2] ، وفيه أن عبد الرحمن كان يقال له حوارى رسول الله ﷺ[3] ، هذا على شرط مسلم من حديث محمد بن إسحاق .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأتى أم كلثوم ابنة عقبة فيقول لها هل قال لك رسول الله ﷺ تزوجى عبد الرحمن بن عوف فإنه سيد المسلمين ؟ فتقول نعم .

وروى أن عليًا رضى الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنك أمين فى أهل السماء ، أمين فى أهل الأرض »[4] .

قلت : عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه وأرضاه – أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو أحد الستة الذين أقامهم عمر بن الخطاب ، وأصحاب رسوله الله ﷺ مقام الشورى ، وهو المخصوص من بينهم بترك نصيبه من الخلافة زهدًا منه ليختار للمسلمين ما اختار الله لهم ، فبايع عثمان وتمت له البيعة ببيعته ورضيته الأمة أمينًا ، وقدمته الصحابة إمامًا صلى رسول الله

---

(١) أخرجه الطبرانى (٢٦٥) ، وأبو نعيم (١/ ٩٩) فى الحلية ، وأورده ابن حجر (٢/ ٤١٦) فى الإصابة ، وإسناده منقطع .
(٢) الحاكم (٣/ ٣٠٨) فى مستدركه .
(٣) الحاكم (٣/ ٣٠٩) فى مستدركه .
(٤) الحاكم (٣/ ٣١٠) فى مستدركه ، وتعقبه الذهبى بقوله : قلت : أبو المعلى هو فرات بن السائب تركوه ، وأورده أبو نعيم (١/ ٩٨) فى الحلية ، وفيه أبو المعلى .

ﷺ خلفه ركعة واحدة أدركها وراءه ولم يصل خلف أحد من الصحابة سواه ، والصديق . وهو القائم لله فى ماله بحقه ، وكان من الذين قال رسول الله ﷺ : « **إلا من قال بالمال هكذا وهكذا** » إلى غير ذلك من مناقبه وفضائله .

فلا تلتفت إلى ما روى أنه آخر من يدخل الجنة ، وأنه يحبو يوم القيامة حبوًا ، وأعوذ بالله أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة لأجل ماله وغناه . أفترى من سبق ، وهو من العشرة ، ثم من الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، ومن أهل بدر والحديبية يحبو ، معاذ الله .

قال الله تعالى : ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ** ﴾[1] الآية .

وقال تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾[2] الآية . وحسبك بهذا فضلًا .

ثم الحديث الذى يروونه إنما يرويه عمارة بن زاذان ، قال البخارى فيه : ربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازى : لا يحتج بحديثه ، وقال الدارقطنى : ضعيف .

وقد ذكر المحاسبى وغيره أن عبد الرحمن لما توفى قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ، وما تخافون على عبد الرحمن ، كسب طيبًا ، وأنفق طيبًا ، وترك طيبًا ، فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبًا ، بلحى بعير ، فأخذ بيده ثم انطلق يطلب كعبًا ، فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبه فخرج هاربًا ، حتى دخل على عثمان ، يستغيث به وأخبره الخبر ، وأقبل أبو ذر ينقض الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربًا من أبى ذر ، فقال أبو ذر : يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس مما ترك عبد

---

(١) سورة الحديد : ١٠ .

(٢) سورة الفتح : ١٨ .

الرحمن ، لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال « **الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا** »[1] .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا حديث باطل لايثبت ، ومحال من وضع الجهال .

وقد روى بعض هذا إلا أن طريقه لا يثبت لأن فى سنده ابن لهيعة وقد تكلم فيه ، قال يحيى : لا يحتج بحديثه ، والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين ، وعبد الرحمن بن عوف سنة اثنين وثلاثين ، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين .

قلت : ومما يدل على وضعه فى الحديث نفسه ، وهو قول أبى ذر يا ابن اليهودية وهذا منه تعيير وقد وبخه النبى ﷺ على ذلك كما فى صحيح مسلم ، عنه قال « كان بينى وبين رجل من إخوانى خصومة ، فعيرته بأمه فشكانى إلى النبى – ﷺ – فقال « **يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية** » ، فقلت : يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، فقال : « **يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية** »[2] الحديث . أفترى أن أبا ذر بعد توبيخ النبى ﷺ له يقع فيما وبخ فيه ، هذا بعيد على من دونه ، فكيف به – رضى الله عنه وأرضاه .

وأيضا قوله : «**الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا وهكذا**» وعبد الرحمن بن عوف ممن قال هكذا وهكذا حسب ما ذكرناه ، والحديث باطل من وضع الجهال .

وكما قال علماؤنا فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه ، ثم إن عبد الرحمن أفضل من أبى ذر بما لا يتقارب بماله من السبق وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، فهو من السابقين إليها الفائزين بها ، فلا يلتفت إلى غير هذا ، وبالله التوفيق والعصمة وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) البخارى (١/ ١٤) بنحوه ، ومسلم (١١/ ١٣٤) .

فى فضل من أخذ المال بحقه وأنفقه فى حقه

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن هذا المال خضرة حلوة من أخذه بحقه ، ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حق كان كالذى يأكل ولا يشبع »**[1] .

وروى مسلم عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : **« إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فينفخ فيه بيمينه ، وشماله ، وبين يديه ، ووراءه ، وعمل فيه خيرًا »**[2] .

وأخرج الترمذى عن خولة بنت قيس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« إن هذا المال خضرة حلوة من أصابه بحقه بورك له فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ، ليس له يوم القيامة إلا النار »**[3] . قال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج عن أبى كبشة الأنمارى قال : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **« ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : ما نقص مال عبد من**

---

(١) البخارى (٤/ ٣٢) ومسلم (٧/ ١٢٦) ، والنسائى (٥/ ٦٠) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، وأحمد (٣/ ٧ ، ١٩ ، ٢١) ، (٤/ ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٨) ، (٦/ ٦٨ ، ٣٦٤) .

(٢) البخارى (٨/ ١١٦) ، ومسلم (٧/ ٧٦) .

(٣) الترمذى (٢٤٨٠) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٢٢٤٧) . قوله : (ورب متخوض) أى متسارع ومتصرف ، وأصل الخوض المشى فى الماء ، وتحريكه ، ثم استعمل فى التلبيس بالأمر ، والتصرف فيه ، أى رب متصرف فى مال الله بما لا يرضاه الله ، أى يتصرفون فى بيت المال ، ويستبدون بمال المسلمين بغير قسمة .

صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » أو كلمة نحوها ؛ وأحدثكم حديثا فاحفظوه . قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالًا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقًا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالًا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علمًا ، يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقًا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مالًا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء »[1] قال : حديث حسن صحيح .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : أبان معنى هذا الباب فضل المال وخبثه ، وأن صاحبه إذا أنفقه فى حقه ، ووضعه فى حقه ، كان فى أرفع المنازل ، والدرجات ، وأعلى المقامات والغرفات ، كما نص عليه التنزيل فى قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَادُكُم بِالَّتِى تُقَرِّبُكُم عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُم فِى الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[2] . والآيات فى مدح المال كثير لمن تأمل كتاب الله وذلك مما يدلك على كسبه واتجاره وجمعه .

كان سعيد بن المسيب يقول : لا خير فى منَ لا يطلب المال ، يقضى به دينه ، ويصون به عرضه ، فإن مات تركه ميراثًا لغيره .

---

(١) الترمذى (٢٤٢٧) وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أحمد (١/ ١٩٣) ، (٤/ ٢٣١) ، والبغوى (٥٢٨٧) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٣٠٢١) .
(٢) سورة سبأ : ٣٧ .

وقال رسول الله ﷺ : لسعد : « **إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** »[1] وقال : « **ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر** »[2] .

وقال لعمرو بن العاص « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** »[3] . ودعا لأنس فقال « **اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه** »[4] وهذا كله ثابت فى الصحيح .

وخلف سعيد بن المسيب أربع مائة دينار ، وسفيان الثورى مع زهده وتقشفه مائتين ، وقال : لأن أخلف عشرة آلاف درهم ، وأحاسب عليها خير لى أن أحتاج إلى الناس . وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح .

وقال له رجل : يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنيا ؟ قال : اسكت فلولا هذه الدنانير لتمندل بى[5] هؤلاء الملوك . وفى هذا المعنى قال عبد الرحمن بن عوف : حبذا المال أصون به عرضى ، أقرضه ربى فيضاعفه لى أضعافا كثيرة .

ومازال السلف يمدحون المال ويجمعونه للمنائب وإعانة الفقراء وأكثر الصحابة كسبوا المال ، وخلفوه . خلف طلحة ثلاث مائة بنهار صار فى كل نهار ثلاثة قناطير والقنطار واليها أجمل . وكان مال الزبير خمسين من ألف ألف ومائتى ألف ، وخلف ابن مسعود تسعين ألفا .

---

(١) البخارى (٢/ ١٠٣) ، ومسلم (١١/ ٧٧) ، وأبو داود (٢٨٦٤) ، والترمذى (٢٧٩٩) وقال : حسن صحيح ، والنسائى (٦/ ٢٤١) ، وابن ماجه (٢٧٠٨) ، وأحمد (١/ ١٧٣ ، ١٧٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٣ ، ٣٦٦) ، وابن ماجه (٩٤) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٥٦٨٤) .

(٣) أحمد (٤/ ١٩٧) ، (٤/ ٢٠٢) ، وأورده الحافظ الهيثمى (٤/ ٦٤) فى مجمع الزوائد ، وقال : رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وأبو يعلى بنحوه ، ورجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح ، وقال الحافظ العراقى (٤/ ١٠١) الإحياء : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن العاص ، بسند جيد .

(٤) البخارى (٨/ ١٠١) ، ومسلم (١٦/ ٣٩) ، وأحمد (٦/ ٤٣٠) ، والترمذى (٤٠٨١) والبخارى (٨٨ ، ٦٥٣) فى الأدب المفرد ، الطبرانى (١/ ٢٢١) فى الكبير ، والبيهقى (٣/ ٩٦) فى السنن ، وأبو نعيم (٨/ ٢٦٧) فى حلية الأولياء ، والبغوى (٦١٩٩) فى المشكاة ، (١٤/ ١٨٨) فى شرح السنة .

(٥) تمندل : أى تمسح وتعلق .

وروى أبو مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يأمر بالصدقة فينطلق أحدنا يتحامل حتى يجيء بالمُدِّ ، وإن لأخيرهم اليوم مائة ألف . قال شقيق : كان يعرض بنفسه [1] . وهذا إسناد صحيح . أخرجه ابن ماجه في سننه قال : حدثنا عبد الله بن نمير وأبو بكر قالا : حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن الأعمش فذكره مسلم بمعناه[2] .

والإجماع انعقد على إباحة جمع المال بقوله تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[4] . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُم وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِنَ الأَرْضِ ﴾[5] . إلى غير ذلك من الآيات .

فأباح الله تعالى كسب المال ليوصل به إليه من جهاد عدو ، وإعانة فقير ، وإطعام مسكين وعون مظلوم ، وإغاثة ملهوف . ومتى صح القصد فيه فجمعه أفضل ، بلا خلاف عند العلماء . قلت : وإذا تقرر هذا فهو يدل على بطلان ما ذكروه ، ويروونه من أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة آخرًا ، ويحبو حبوًا ، ثم تعلقهم بعبد الرحمن بن عوف دليل على جهلهم ، إذ لم يروا سير الصحابة الذين خلفوا الأموال ، ولا سير السلف الصالح الذين بهم القدوة وفيهم الأسوة ، لولا التطويل لذكرنا من ذلك العدد الكبير من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، وغيرهم رضى الله عنهم .

وقد أخرج الطبراني سليمان بن أحمد قال : حدثنا محمد بن الفضل الثقفي قال : حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن أبي أسامة عن هشام بن عروة

---

(١) البخاري (٦/ ٨٥) ، وأحمد (٥/ ٢٧٣) ، والنسائي (٥/ ٥٩) ، وابن ماجه (٤١٥٥) .
(٢) كذا بالأصل ، ولم أعثر عليه في صحيح مسلم .
(٣) سورة الأنفال : ٦٩ .
(٤) سورة النساء : ٢٩ .
(٥) سورة البقرة : ٢٦٧ .

عن أبيه قال : أدركت سعد بن عبادة ومنادٍ ينادى على أطمة : من أحب شحماء ولحماء فليأت سعدا ، ثم أدركت ابنه قيسا ينادى على ذلك قال ، قال سعد بن عبادة : اللهم هب لى حمدًا ، وهب لى مجدًا ، لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال ، اللهم إنه لا يصلح لى القليل ولا أصلح عليه[1] . وحسبك بالصديق القائل عند موته لابنته عائشة رضى الله عنها : والله ما أجد أحب بعدى منك ، ولا أعز بعدى فقرًا منك .

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢/ ١٤٣) ، والحاكم (٣/ ٢٥٣) ، وأورده الذهبى (١/ ٢٧٦) .

فى بيان قوله عليه السلام : « لكل أمه فتنة وفتنة أمتى المال » .

وبيان قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ** ﴾[1] الآية أخرج الترمذى عن كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال** »[2] . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(فصل)

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا خبر منه ﷺ بأن كل الأمم افتتنت فأمم منهم افتتنوا عن توحيده بالأصنام فعبدوها ، وقوم بالشمس فتألهوها ، وقوم بالقمر ، وقوم بالكواكب ، وقوم نبى كان فيهم وهم اليهود عبدوا عزيرا ، وقالوا : ابن الله ، ومنهم من افتتنوا بالعجل يعبدونه ، والنصارى افتتنوا بعيسى فقال قوم منهم : هو الإله . وآخرون منهم قالوا هو ابن الله وجعل فتنة هذه الأمة فى حب الدينار والدرهم فغلب على أكثرهم حب المال فكدر عليهم عبودية المتكبر المتعال كما غلب على أكثر الأمم فتنة شرك الأسباب فى توحيد رب الأرباب .

قلت : وقد احتج بهذا ، وما كان فى معناه من لا يرى جمع المال واكتسابه ، واتخاذه واقتناءه لما ينشأ فيه من المفاسد ويحرم صاحبه من الخيرات والفوائد ولا حجة لهم فى ذلك لأن الناس مختلفون بحال فى ذلك وقد كشف هذا حديثان :

---

(١) سورة طه : ١٣١ .

(٢) أحمد (٤/ ١٦٠) ، والترمذى (٢٤٣٩) وقال : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح ، والحاكم (٤/ ٣١٨) ، والبغوى (٥١٩٤) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة (٥٩٤) ، صحيح الجامع (٢١٤٤) .

أحدهما حديث أبي كبشة الأنماري وقد تقدم في الباب قبل .

والثاني : مارواه البخاري وابن ماجه وغيرهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش إن أعطي رضي وإن منع سخط** »[1] . ثم قال ﷺ في تمامه : « **طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كانت الحراسة ، كان في الحراسة ، وإن كانت الساقة ، كان في الساقة ، يطلب الموت من مكانه ، إن أعطي شكر ، وإن منع صبر** »[2] .

قال علماؤنا : فميز ﷺ بين عبد المال والهوى ، وبين العبد الخالص للمولى ، فذلك دعا عليه بسيء الدعاء ليرجع إلى المولى ، والمخلص خصه بحبذا ، وهي درجة المحبوبين الأولياء ، فالمال إذا شغل عن ذكر الله ، وعن القيام بحقوقه ، فبئس المال ، وإذا لم يمنع عن ذلك فنعم المال كما قال عليه الصلاة والسلام : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** »[3] . لكن لما كانت سلامة الدين مع ذلك نادرة ، والفتن والآفات من ذلك غالبة ، تعين التقلل منه والفرار ، وأن لا يأخذ المرء منه إلا ما يكفيه عند الحاجة والاضطرار . وقد قال أرباب الفهوم : ما يشغلك عن الله من أهل أو مال ، فهو عليك مشئوم . وقال يحيى بن المتوكل كنت أمشي مع سفيان الثوري فمررت برجل بنى بناء وشيده ، فقال : لا تنظر إليه ، إنما بناه لينظر إليه .

وقال هشام بن عروة : كان أبي إذا دخل على من عنده شيء من زينة الدنيا أسرع الرجوع إلى أهله ، وقام بالباب ، ونادى ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا** ﴾[4] إلى آخر الآية ، ثم ينادي الصلاة الصلاة فيقومون فيصلون أجمعون .

---

(١) البخاري (٨/ ١١٥) ، وابن ماجه (٤١٣٥) ، (٤١٣٦) .
(٢) البخاري (٤/ ٤٢) بنحوه .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) سورة طه : ١٣١ .

فى حقارة الدنيا وهوانها على الله تعالى أخرج الترمذى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء** »[1] وأنشدوا :

تسمع من الأيام إن كنت حازما — فإنك فيها بين ناه وآمر

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه — فما فاته منها فليس بضاير

ولن تعدل الدنيا جناح بعوضة — ولا وزن من جناح لطائر

فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمن — ولا رضى الدنيا جزاء لكافر

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية ، والناس كنفتيه فمر بجدى أسك ميت فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : « **أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟** » فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ، قال : « **تحبون أنه لكم ؟** » . قالوا : والله لو كان حيًّا لكان عيبا فيه لأنه أسك ، فكيف وهو ميت . قال « **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم** »[2] .

ويروى عن النبى ﷺ قال « **من هوان الدنيا على الله تعالى أن لا يعصى إلا فيها ، ولا ينال ما عنده إلا بتركها** »[3] .

---

(1) أخرجه الترمذى (٢٤٢٢) وقال : حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، قال الشيخ الألبانى – حفظه الله – صحيح ، انظر : صحيح الجامع (٥١٦٨) ، والسلسلة الصحيحة برقم (٩٤٠) .

(2) أخرجه مسلم (١٨/ ٩٣) ، وأحمد (٣/ ٣٦٥) . [من معانى الحديث وفوائده]:

قوله : (كنفتيه) أى جانبيه .

قوله : (جدى أسك) أى صغير الأذنين .

قوله : (أيكم يحب ؟) استفهام إرشاد وتنبيه .

ومن فوائده : ١ – الدنيا أذل وأحقر عند الله من هذا الجدى الميت عند الناس . ٢ – لمس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا ينجس .

(3) أورده الإمام القرطبى بصيغة التضعيف ، ولم أجده فيما تحت يدى من كتب .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : معنى هوان الدنيا على الله هو : أنه لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقًا موصلًا إلى غيرها ، وأنه لم يجعلها دار إقامة ، ولا جزاء وإنما جعلها دار رحلة وبلاء وآتاها فى الغالب الكفرة والجهال وحماها الأنبياء والأولياء الأبدال ، وحسبك بها هوانًا أن الله تعالى صغرها ، وحقرها ، وذمها وأبغضها وأبغض أهلها ، ومحبيها و لم يرض لعاقل فيها إلا بالتزهد ، وذمها والتأهب للارتحال عنها ، ومع هوانها لابد للإنسان منها لأنها السبيل المقصود ، والطريق المحمود .قال ﷺ : « **لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر** »[1] .

وذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال على : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها .

وقال محمود الوراق فأحسن :

لا تتبع الدنيا وأيامها ذمًا ... إذا دارت بك الدائـرة
من شرف الدنيا ومن فضلها ... أن بها تشتد درج الآخرة

وبالجملة فللعبد فى كل وقت من أوقاتها حالة فيها صفة محمودة ، أو مذمومة ، وبتلك الصفات تتعلق الأحكام ، وعليها يترتب الثواب والعقاب ، فإن لم يكن فى الدنيا خير من وجه فلا غنى بها من أخذ به يعود خيرًا ، لأنها مطيه السائر ، وزاد المسافر ، وقنطرة العابر ، لا دار العامد ، وجهد المقل يقتنص منها ولا يستكثر ويتقوت منها ولا يدخر ، ومثالها الصارم تصلح للعادل

---

(١) الفردوس (٧٢٨٨) ، وأورده السيوطى (١/ ٨٩١) فى الجامع الكبير ، وعزاه للديلمى وابن النجار ، من حديث ابن مسعود ، وفى إسناده السرى بن إسماعيل ، قال الحافظ : متروك الحديث ، وكذبه يحى القطان ، انظر ترجمته فى : تاريخ ابن معين (٣/ ٤٤١) ، التاريخ الكبير للبخارى (٢/ ١٧٦) ، والضعفاء الصغير (٥٦) ، الضعفاء للعقيلى (٦٩٧) ، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٢/ ٢٨٢) ، المجروحين (١/ ٣٥٥) ، الكامل لابن عدى (٣/ ١٢٩٥) ، الميزان (٢/ ١١٧) ، التقريب (١/ ٢٨٥) .

والظالم فيصرفه كل واحد منهما على نيته ، وحب إرادته ، فما كان من الدنيا يقرب إلى الله تعالى ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان ، والمحبوب لكل إنسان ، ومثل هذا فلا يسب بل يرغب فيه فيحب وإليه الإشارة بالاستثناء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : **« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالمٌ أو متعلمٌ »**[1] . أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

وروى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : يؤتى بالدنيا يوم القيامة فيقول الرب تبارك وتعالى خذوا ما لنا فيها وألقوا سائرها في النار .

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٤) وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، قال الشيخ الألباني - عفا الله عنه - حسن ، انظر : صحيح الترغيب (١/ ٥٦) ، صحيح الجامع (١٦٠٥) .

فى بيان الدنيا وفيما جعل مثلا لها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَاهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنعامُ حَتَّى إِذَا أَخذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنتْ وَظَنَّ أَهلُها أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاها أَمْرُنا لَيْلا أَونهارًا فجَعلْناهَا حصِيدًا كَأَنْ لَمْ تغْنَ بِالأَمْسِ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّما الحَيَاةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كمثلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّار نَبَاتُهُ ثُم يَهِيجُ فتَراه مُصْفَرًّا ثُم يَكُونُ حُطَامًا ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُم يُخرجُ بِهِ زَرْعًا مُختَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾[3] . إلى غير ذلك من الآيات . وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنسانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾[4] .

وأخرج ابن أبى خيثمة عن الضحاك بن سفيان قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا ضحاك ما طعامك ؟ » قلت : اللحم واللبن ، قال : « ثم يصير إلى ماذا ؟ » قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله ، قال : « فإن الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا »[5] .

---

(١) سورة يونس : ٢٤ .

(٢) سورة الحديد : ٢٠ .

(٣) سورة الزمر : ٢١ .

(٤) سورة عبس : ٢٤ .

(٥) أحمد (٣/ ٤٥٢) ، الطبرانى (٨١٣٨) فى الكبير ، وأورده الهيثمى (١٠/ ٢٨٨) فى مجمع الزوائد ، وقال : رجال الطبرانى رجال الصحيح غير على بن زيد بن جدعان ، وقد وثق ، انظر كلام الشيخ الألبانى على الحديث فى السلسلة الصحيحة (٣٨٢) .

وقال أبي بن كعب قال النبي ﷺ : « إن مطعم ابن آدم جعل مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فلينظر إلى ما يصير »[1] .

وقال أبو الوليد سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر إلى ما يخرج منه قال : فيأتيه الملك فيقول : انظر إلى ما تحلت به إلى ما صار .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فى ضرب الله تعالى المثل فى الدنيا بالماء المنزل من السماء بدائع تسع : **الأولى** : أن المطر لا يستنزل بالحيلة ، كذلك الدنيا لا تنال إلا بالغنيمة .

قال الله تعالى : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[2] .

الثانية : أنه وإن كان المطر لا يجيء إلا بتقدير فإنه يستنزل بالرغبة والسؤال كذلك الرزق يلتمس من الله .

قال تعالى : ﴿ **وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾[3] .

الثالثة : أن الماء إذا جاء به نفع وإذا زاد على الحاجة ضر كذلك المال إذا كان بقدر الكفاية فصاحبه فى نعيم ، وإذا زاد فصاحبه فى نصب وطغيان .

الرابعة : أن الماء إذا كان جاريا كان طيبا ، وإذا اختزن تغير . كذلك المال إذا أجراه صاحبه فى مجاريه فطاب ، وإذا احتجبه خبث عليه وغاب ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيرًا لَّهم بَلْ هو شرٌّ لَّهم سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ** ﴾[4] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٤٨٩) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٥/ ١٣٦) ، الطبرانى (٥٣١) فى الكبير ، قال الهيثمى (١٠/ ٢٨٨) رواه عبد الله والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح . قوله (قزحه) القزح هو التابل ، وهو الذى يطرح فى القدر كالكمون والكزبرة ، ونحو ذلك .

(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٣) سورة النساء : ٣٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٠ .

الخامسة : أن الماء إذا كان طاهرًا صلح للثياب والعبادات ، وإذا كان نجسًا لم يصلح للعبادة . كذلك المال إذا كان حلالا استقام به المعاش والطاعة وخلص من التباعة ، وإذا كان حراما أن[1] عزيته فقد أبدى عورته ، وإن جوعته فقد أسقط حرمته .

السادسة : أن الماء إذا أثار عنه النبات وخرجت به الأشجار ، وأينعت به الثمار ، واختلفت عليه المناظر للنظار ، لا يأمن أن تصيبه آفة من غير أسباب ، وتنقلب عليه الحال بما لم يكن فى الحسبان ، وكذلك المال إذا نمى بيد صاحبه وتفنن فى أنواعه ، وعمم به جميع لذاته ، وكثرت عليه الأعداد من الأزواج والأولاد ، ورأى أن أحواله صافية ومراتبه عالية ، ومقاديره غالية ، وأمواله متدانية ، ورياض ترابه زاهرة ، وغصون أنسه متداولة إذا بالدمار قد أخذ الديار ، والذهاب قد جرى عن الأحباب ، والأموال قد ابتسمت بيد الانتهاب ، واختطف هو من بينها أرجى ما كان لها ، وأحوجه عليها ، وأغبطه بها ، وأشوقه إليها ، وفى هذا المعنى يقول المغربى :

فقدناه لمّا تم واعتز بالعلى كذاك كسوف البدر عند تمامه

السابعة : قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾[2] إن كان هذا عن جائحة فهذه الآية والتى بعدها سواء .

وإن كان هذا الزرع الذى أخرج حبه بذر قشرة ، فصار هشيما تذروه الرياح أو زائلا تتكرم به الأرض وتتدافع فيكون ذلك لبديعه مثلا وهى :

الثامنة : أن المال إذا أخذ منه العبد حاجته فى المعاش ، وأرسل باقيه فى الشهوات كان معدوما فى حق الدنيا هشيما ، صار به صاحبه ملومًا ، وصار وقته مذمومًا .

---

(١) بياض بالأصل .
(٢) سورة الكهف : ٤٥ .

التاسعة : فى وجه الذكر أبان الزرع يخرج مختلف الألوان ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يجعله حطاما ، التنبيه باختلاف أحوال الزرع من حين خلقه واستتباته إلى إتيان على المرء من أول نشأته إلى وفاته ، والزرع لا يخرج زرعه إلا بعد الجفاف ، كذلك المرء لا يطيب عمله إلا إذا راضى نفسه ، وأزال[1] قبل أن يرد إلى أرذل العمر وهو حال الضعف فى القوة ، والوهن فى الأعضاء ، وقد كان النبى ﷺ يقول : « **اللهم إنى أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر** »[2] . وأما بمثل النبى ﷺ فما الدنيا بما يخرج الإنسان فبين المعنى ، وقد مثلها بعض الفضلاء بالجيفة التى تجتنبها الكلاب فقال :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ ... عَلَيْها كِلابٌ هَمُّهُنَّ اجتِذَابُهَا

فإنْ تَجْتَنِبْها كُنْتَ سِلْمًا لأَهلها ... وَإن تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتكَ كِلابُها

فَطُوبَى لنَفْسٍ أُولِعتْ قَعْرَ دَارِها ... مُغلَّقَةَ الأَبْوابِ مُرْخَى حِجابُها

الأبيات للشافعى رحمه الله[*] .

---

(١) غير واضح بالأصل ، لسقوط مداد على الكتابة .

(٢) أخرجه النسائى (٨/ ٢٥٦) .

(*) ديوان الإمام الشافعى (ص/ ٥١) طبعة دار ابن زيدون .

فى أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

أخرج مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** »[1] .

فصل

إنما كانت الدنيا سجنا لأن المؤمن فيها مقيد بقيود التكاليف ، فلا يقدر على حركة ولا سكون إلا أن يفسح له الشرع ، فيفك قيده ويمكنه من الفعل أو الترك ، مع ما هو فيه من أنواع البلايا والمحن ، ثم هو فى هذا السجن على غاية الخوف والوجل ، إذ لا يدرى بما يختم له من عمل . والكافر منفك عن تلك التكاليف ، آمن من تلك المخاوف ، مقبل على لذاته ، منهمك فى شهواته ، مغتر بمساعدة الأيام ، يأكل ويتمتع كما تفعل الأنعام ، وعن قريب يستيقظ من هذه الأحلام ويحصل فى السجن الذى لا يرام .

حكاية : كان سهل الصعلوكى الفقيه الخراسانى الحنفى ممن جمع رئاسة الدين والدنيا ، خرج عليه يوماً وهو فى موكبه فى مسخن حمام يهودىٌّ فى أطمار سجم من خانه فقال : ألستم تروون عن نبيكم ﷺ أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . وأنا عبد كافر وترى حالى ، وأنت مؤمن وترى حالك ، فقال له على البديهة : إذا أنت صرت غدًا إلى عذاب الله كانت هذه جنتك ، وإذا صرت أنا إلى نعيم الله ورضوانه ، كان هذا سجنى . فعجب الخلق من فهمه وبراعته . والحديث صحيح جدا . ومن الحديث الحسن « **الدنيا سجن المؤمن وسنته ، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة** »[2] . ذكره القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين له .

---

(١) مسلم (١٨/ ٩٣) ، والترمذى (٢٤٢٦) ، وابن ماجه (٤١١٣) ، وأحمد (٢/ ١٩٧) ، (٢/ ٣٢٣ ، ٣٨٩ ، ٤٨٥) .

(٢) أحمد (٢/ ١٩٧) ، والحاكم (٤/ ٣١٥) فى مستدركه ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : تخريج المشكاة برقم (٥٢٤٩) ، وضعيف الجامع (٣٠١٥) . قوله : (السنة) : أى الجدب .

فى قوله عليه الصلاة والسلام : « ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا » .

أخرج الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء » . قلنا : يا رسول الله إنا لنستحيى والحمد لله ، قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء »[1] . قال حديث غريب .

فى بيان زينة الدنيا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾[4] الآية .

وننظر إلى هذا من السنة قوله عليه السلام : « إن الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون »[5] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا » . قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ قال : « بركات الأرض »[6] . أخرجهما مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧) ، والترمذى (٢٥٧٥) ، والحاكم (٤/ ٣٢٣) ، والطبرانى (٣/ ٢٤٦) فى الكبير ، (١/ ١٧٧) فى الصغير ، وأبو نعيم (٤/ ٢٠٩) فى الحلية ، والبغوى (١٦٠٨) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : حسن ، انظر : صحيح الجامع (٩٤٨) .

(٢) سورة الكهف : ٧ .

(٣) سورة الكهف : ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران : ١٤ .

(٥) مسلم (١٧/ ٥٥) ، والترمذى (٢٢٨٦) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، وأحمد (٣/ ٧ ، ١٩ ، ٦١) .

(٦) البخارى (٤/ ٣٢) بمعناه ، ومسلم (٧/ ١٤٣) .

والمعنى أن الدنيا مستطابة فى ذوقها ، معجبة بمنظرها كالثمر المستحلى المعجب للرائى ، فابتلى الله بها عباده ، لينظر من أحسن عملًا ، أى من أزهد فيها ، وأترك لها على ما تقدم . ولا سبيل للعباد إلى بعض ما زين الله إلا بقوته على ذلك .

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يقول فيما ذكر البخارى : اللهم إنا لا نستطيع أن نفرح بما زينته لنا ، اللهم إنى أسألك أن أنفقه فى حقه . فدعا الله أن يعينه على إنفاقه فى حقه[1] .

وهذا معنى قوله ﷺ : « **فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس كان كالذى يأكل ولا يشبع** »[2] ، وهذا هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له من الدنيا بل همه جمعها ، وذلك لعدم الفهم عن الله ورسوله ، فإن الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبة كما تقدم . وقد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه .

---

(١) البخارى (٨/ ١١٦) .

(٢) سبق تخريجه .

فى بيان قوله عليه السلام : « من رغب عن سنتى فليس منى »

روى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن أنس قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى — ﷺ — يسألون عن عبادة النبى — ﷺ — فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى — ﷺ — قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدًا ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : **« أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى »**[1] .

وأخرج مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال : أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه النبى ﷺ ولو أجاز له ذلك لاختصينا[2] .

وأخرج الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول عن سعيد بن المسيب قال : جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله غلبنى حديث النفس فلم أر أن أحدث شيئًا حتى أذكر لك ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : **« وما تحدثك به نفسك يا عثمان ؟ »** قال : تحدثنى نفسى أن

---

(١) البخارى (٧ / ٢) ، ومسلم (٩/ ١٧٥ – ١٧٦) ، أحمد (٢/ ١٥٨) ، (٣/ ٢٤١) ، (٥/ ٤٠٩) ، والنسائى (٦/ ٦٠) .

(٢) البخارى (٧/ ٥) ، ومسلم (٩/ ١٧٦) .

قوله : (لاختصينا) الاختصاء من خصيت الفحل ، إذا سللت خصيته أى أخرجتها ، واختصيت إذا فعلت ذلك بنفسك ، وفعله بنفسه حرام ، فليس بمراد ، إنما المراد قطع الشهوة بمعالجة أو التبتل ، والانقطاع إلى الله تعالى بترك النساء ، أى لفعلنا فعل المختصى فى ترك النكاح ، والانقطاع عنه اشتغالا بالعبادة . والنووى حمله على ظاهره ، فقال : معناه لو أذن له فى الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة النساء ، ليمكننا التبتل ، وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم ، ولم يكن ظنهم هذا موافقا ، فإن الاختصاء فى الآدمى حرام صغيرًا كان أو كبيرا ، وما سبق أحسن لما فيه من حمل ظنهم على أحسن الظنون فليتأمل . انتهى قاله السيوطى انظر : حاشية السيوطى على النسائى (٦/ ٥٨ – ٥٩) .

أختصي ، قال : « **مهلًا يا عثمان فإن خصاء أمتي الصيام** »، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أترهب في رؤوس الجبال ، قال : « **مهلًا يا عثمان فإن ترهب أمتي الجلوس في المساجد ، وانتظار الصلوات** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أسيح في الأرض ، قال :« **مهلًا يا عثمان فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أخرج من مالي كله ، قال : « **مهلًا يا عثمان فإن صدقتك يوم بيوم وتكف نفسك وعيالك ، وترحم المساكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي وأهاجر ، قال : « **مهلًا يا عثمان فإن الهجرة في أمتي من هجر ما حرم الله عليه أو هاجر إليّ في حياتي أو زار قبري بعد موتي ، وإن مات وله امرأتان أو ثلاث أو أربع** »، قال : يا رسول الله نهيتني أن أطلقها فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها ، قال : « **مهلًا يا عثمان فإن الرجل المسلم إذا غشي أهله أو ما ملكت يمينه فلم يكن من وقعته ولد كان له وصيف في الجنة ، فإن كان من وقعته تلك ولد فمات قبله كان له فرطًا وشفيعا يوم القيامة ، وإن مات بعده كان له نورًا يوم القيامة** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أمس الطيب ، قال : « **مهلًا يا عثمان فإن جبريل أتاني بالطيب من الجنة غبًّا ، وقال : يوم الجمعة لا تتركه ، يا عثمان لا ترغب عن سنتي ، فمن رغب عن سنتي ، ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة** »[1] .

فصل

قد بان لك يا أخي بما تقدم بهذا الباب ، وبما تقدم من الأبواب أنه ليس

---

(١) إسناده مرسل ، والمرسل من أقسام الضعيف .

من الزهد ترك المباحات ولا تحريم الطيبات .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَات ﴾[1] .

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّة ﴾[3] . الآيات فى هذا كثيرة .

فإن قيل : روى عن جابر أنه قال : اشتهى أهلى لحمًا فاشتريته لهم ، فمررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ما هذا يا جابر ؟ فأخبرته فقال : أو كلما اشتهى أحدكم شيئا جعله فى بطنه أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾[4] . قيل له : هذا عتاب من عمر له على التوسع فى الدنيا وابتياع اللحم والخروج عن جلف الخبز والماء كما رواه الترمذى عن عثمان وقد تقدم .

فإن تعاطى الطيبات من الحلال تستشرى بها الطباع وتستمر بها العادة ، فإن فقدتها استسلمت فى تحصيلها بالشبهات ، حتى تقع فى الحرام المحض بغلبة العادة ، واستشراء النفس الأمارة بالسوء ، فأخذ عمر الأمر من أوله ، وحماه من ابتدائه كما يفعله مثله .

وقد قال على رضى الله عنه حين أتى بالفالوذج : لا أحرمه ، أكره أن أعود نفسى مالم تعتد .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .
(٢) سورة المؤمنون : ٥١ .
(٣) سورة الرعد : ٣٨ .
(٤) سورة الأحقاف : ٢٠ .

قال القاضي أبو بكر بن العربي : والذي يضبط لك هذا الباب ، ويحفظ قانونه على الميزان ، يأكل ما وجد طيبًا كان أو قفارًا ، ولا يتكلف الطيب ، ويتخذه عادة ، فقد كان النبي ﷺ يشبع إذا وجد ، ويصبر إذا عدم ، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها ، ويشرب العسل إذا اتفق له ، ويأكل اللحم إذا تيسر ولا يتعهده أصلًا ، ولا يجعله ديدنًا . ومعيشة النبي ﷺ معلومة ، وطريقة الصحابة منقولة ، فأما اليوم عند استيلاء الحرام ، وفساد الحطام ، فالخلاص عسير فالله يهب الخلاص ، ويعين على الخلاص برحمته إنه ولي التذير ذكر المسألة التي هي كالتتمة للكتاب ، لا ينبغي تركها بل يجب فهمها وتعلمها ، وما للعلماء فيها ما روينا أن الإمام أبا عمر بن عبد البر رحمه الله حين بلغه أن أقوامًا بشاطبه عابوه يأكل طعام السلطان وقبول جوائزهم فقال :

قل لمن يذكر أكلي   من طعام الأمراء

أنت من جهلك هذا   في محل السفهاء

لأن الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين ، وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين .

فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين في العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد .

وكان ابن عمر مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد الله ويأكل طعامه ، ويأخذ جوائزه ، وكان المختار غير مختار .

وقال عبد الله بن مسعود ، وكان قد ملئ علمًا ، لرجل سأله فقال : إني لي جار يعمل بالربا ولا يجتنب الحرام في مكسبه ، يدعوني إلى طعامه أفأجيبه ، قال نعم : لك المهنأ وعليه المأثم ما لم تعلم بعينه حراماً .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه حين سئل عن جوائز السلاطين فقال : لحم ظبي ذكي .

وكان الشعبي وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بني عبد الملك بن

مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه .

وكان إبراهيم النخعي وسائر علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشا سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان .

وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب فى جوائزهم ، وكانت أكثر كسبه ، وكذلك أبو الزناد ، وكان مالك وأبو يوسف والشافعى وغيرهم من فقهاء العراق والحجاز يقبلون جوائز السلاطين والأمراء .

وكان سفيان الثورى مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب إلى من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يمنون والسلطان لا يمن . ومثل هذا عن العلماء الفضلاء كثير وقد جمع فيه الناس أبوابا .

ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس وعالمها كتاب ، حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه فى قبول جوائز عبد الرحمن الناصر إذ نقله إلى المدينة بقرطبة ، وأسكنه دارًا من دور الجامع ، وقربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والإدام والتأمن وله ولمثله فى بيت المال حظ والمسئول فيه عن التخليط هو السلطان .

كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشيء بعينه حراما . ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه ، من علم الشيء بعينه حراما مأخوذا من غير حله ، كالخبزة وشبهها من الطعام أو الدابة ، وما كان مثل ذلك كله من الأشياء المعينة غصبا أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه وسقوط عدالة آكله وأخذه وتملكه ، وما أعلم أحدًا من التابعين تورع عن جوائز السلطان إلا سعيد بن المسيب بالمدينة ، ومحمد بن سيرين بالبصرة ، وهما قد ذهبا مثلا فى التورع، وسلك سبيلهما فى ذلك أحمد بن حنبل ، وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة

الله عليهم أجمعين والزهد فى الدنيا من أفضل الفضائل ، ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها أن يحرم ما أباحه الله منها ، والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات ، ويستحلون المحرمات ، ومثالهم عندى كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن المحرم يقتل الجراد والقمل فقال للسائلين له : من أين أنتم ؟ قالوا من أهل الكوفة ، قال : تسألون عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن على رضى الله عنه .

وروى ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « **ما أتاك من غير مسألة فخذه وتموله** »[1] . وروى أيضا هذا الحديث عن ابن عمر عن النبى ﷺ : « **ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله** » .

وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبى ﷺ بمعناه ، وفى حديث أحدهما « **إنما هو رزق رزقكم الله** » ، وفى لفظ بعض الرواة : « **لا يرد على الله رزقه** » .

وهذا كله مركب مبنى على ما أجمعوا عليه ، وهو الحق فمن عرف الشيء بعينه أنه لا يحل . قلت : هذا آخر كلام أبى عمر رحمه الله ، وقد أشار الخطابى أبو سليمان فى كتاب المعالم له على شرح السنن لأبى داود عند كلامه على قوله عليه السلام : « **الحلال بين والحرام بين** »[2] إلى ذلك ؛ فقال آخر شرح هذا الحديث : ويدخل فى هذا الباب معاملة من كان فى ماله شبهة أو خالطه ربا فإن الاختيار تركها إلى غيرها ، وليس فى ذلك بمحرم علينا ما لم يتيقن أن عينه حرام ومخرجه حرام .

---

(١) البخارى (٢/ ١٥٣) بمعناه ، ومسلم (٧/ ١٣٤) ، والنسائى (٥/ ١٠٤) ، (٥/ ١٠٥) ، وأحمد (٦/ ٤٥٢) .

(٢) البخارى (١/ ٢٠) ، ومسلم (١١/ ٢٧) ، وأبو داود (٣٣٢٩) ، والترمذى . (١٢٢١) ، والنسائى (٧/ ٢٤٢) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) ، وأحمد (٤/ ٢٦٧ ، ٢٦٩) .

وقد رهن رسول الله ﷺ درعه من يهودى على أصوع من شعير أخذها لقوت أهله[1] ، ومعلوم أنهم يربون فى تجارتهم ، ويستحلون أثمان الخمور ، ووصفهم الله تعالى بأنهم سماعون للكذب أكالون للسحت ، فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحرم ما أحل الله من غير علم ولا بصيرة .

ومما يتعلق بما تقدم ويؤكده ويزيده تقريرا قول هشام بن عمار : جئت مالك بن أنس بالمدينة وهو جالس فى وسط فرش قد غرق فيها ، وعلى رأسه خصيان معهم المذاب يذبون عنه ، فقلت يا أبا عبد الله حدثنى ، فقال : أقيموه ، قال : فحملت من بين يديه ، فالتفت إليه ، فقلت : يا أبا عبد الله بالذى تسأله أن يرحم ذل موقفك بين يديه إلا ما رحمت ذل موقفى بين يديك ، قال : ردوه ، فحدثنى تسعة عشر حديثا رضى الله عنه .وقال الإمام أبو حامد دواء المآثر والمحامد فى كتاب منهاج العابدين له : فإن قيل فما يقول فى قبول جوائز السلاطين فى هذا الزمان : فاعلم أن العلماء اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فله أخذه ، وقال آخرون : لا يحل أن يؤخذ ما لا يتيقن أنه حلال ، لأن الأغلب فى هذا العصر على السلاطين الحرام ، والحلال فى أيديهم معدوم عزيز ، وقال قوم : إن صلات السلاطين تحل للغنى والفقير ، إذا لم يتحقق أنها حرام وإنما التبعة على المعطى ، قالوا لأن النبى ﷺ قبل هدية المقوقس ملك الإسكندرية واستقرض اليهودى مع قول الله تعالى : ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[2] .

وقد أدرك جماعة أيام الظلمة فأخذوا ، منهم أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم .

وقال آخرون : لا يحل من أموالهم شىء لغنى ولا فقير ، إذ هم موسرون

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة المائدة : ٤٢ .

بالظلم ، والغالب من حالهم السحت والحرام للغالب فيستلزم الاجتناب .

وقال آخرون : كل ما لا ينتقص أنه حرام فهو حلال للفقير دون الغنى ، إلا أن يعلم الفقير أن ذلك عين الغصب فليس له أن يأخذه إلا ليرده على مالكه ، ولا حرج على الفقير فله أخذها بلا ريب ، وإن كان من فىء أو خراج أو عشير ، فللفقير فيه حق ، وكذلك لأهل العلم قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : من دخل الإسلام طائعا وقرأ القرآن ، فله حله فى بيت مال المسلمين كل سنة مائتا درهم . وروى مالك بن دينار إن لم يأخذها فى الدنيا أخذها فى الآخرة ، وإذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذ عين حقه ، وقالوا : وإذا كان المال مخلطا بمال مغصوب ، ولا يمكن تمييزه أو غصبا ولا يمكن رده على صاحبه ، أو ذريته ، فلا يخلص للسلطان منه إلا أن يتصرف به ، وما كان الله ليأمره بالصدقة على الفقير ، وينهى الفقير عن قبوله ، أو يأذن للفقير فى القبول وهو عليه حرام فإذا للفقير أن يأخذ إلا عين الغصب الحرام فليس له أخذه . وقال أبو عبد الله محمد المالكى فى أحكام القرآن له : وأما أخذ الأرزاق من الأئمة الظلمة فلذلك ثلاثة أحوال :

الأولى : إن كان جميع ما فى أيديهم مأخوذاً على موجب الشريعة فجائز أخذه ، وقد أخذت الصحابة والتابعون من يد الحجاج وغيره .

الثانية : وإن كان مختلطا حلالاً وظلماً كما فى أيدى الأمراء اليوم فالورع عدم الأخذ ، ويجوز للمحتاج أخذه هو خلص فى يده . قال مسروق : ومال جيد حلال قد وكله فيه رجل ، فجاء اللص يتصدق ببعض ما سرق إذا لم يكن معروفا بعينه ، وكذلك لو باع أو اشترى كان العقد صحيحاً لازماً ، وإن كان الورع التنزه لأن الأموال لا تحرم بأعيانها وإنما تحرم بجملتها .

الثالثة : وإن كان ما فى أيديهم ظلما حراما فلا يجوز أن يؤخذ من أيديهم ، أو كان ما فى أيديهم من المال مغصوباً غير أنه لا يعرف له صاحب ولا

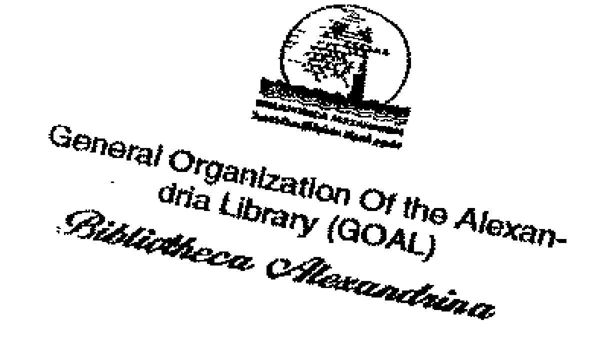
مطالب فهو كما وجد فى أيدى اللصوص وقطاع الطريق ، تجعل فى بيت المال وينتظر طالبه بقدر الاجتهاد ، فإذا لم يعرف صاحبه صرفه الإمام إلى مصالح المسلمين قلت : هذا ما وقفت عليه فى هذه المسألة من أقاويل العلماء ، وكلهم مجمع على أن الشيء إذا تعين وكان حراما محضا لا يحل تناوله ولا أخذه ، وما كان على غير ذلك فالورع الترك . وقد قدمنا هذا المعنى فى الباب الثانى عشر بما فيه كفاية وزدناه بيانا فى هذه المسألة الموعد بذكرها هناك . والحمد لله على ذلك لا رب سواه ، ولا معبود إلا إياه ، سبحانه وتعالى ، ولله الحمد والمنة والشكر على ما أولى وأسدى من النعم ، والفضل على ما فهم وعلم ، وصلى الله وسلم على محمد عبده ونبيه ومجد وعظم . تم الكتاب بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الباب السابع والعشرون : فى ذم الطمع وحمد اليأس	١٥١
الباب الثامن والعشرون : الزهد وبيانه	١٥٧
الباب التاسع والعشرون : فيما يحمل على التملك فى الدنيا	
والزهد فيها وذلك فى :	١٦٣
[١] قصر الأمل	١٦٣
[٢] ذكر الموت	١٦٣
[٣] زيارة القبور	١٦٤
الباب الموفى الثلاثين فى : فضل الزهد وثمرته	١٦٧
الباب الحادى والثلاثون : فى أحوال من زهد فى الدنيا وهى ست :	١٦٨
[١] المقال [٢] اللباس [٣] المطعم	١٦٩
[٤] الصبر على الفاقة والحاجة [٥] ترك السؤال [٦] الخمول	١٧١
الباب الثانى والثلاثون : ذكر فيه طرفا من زهد النبى ﷺ	
فى عيشه ومطعمه وملبسه ومركبه	١٧٢
الباب الثالث والثلاثون : ذكر فيه طرفا من زهد صحابته رضى الله عنهم	١٧٧
• تفنيد الشبهة التى دارت حول الصحابى الجليل	
عبد الرحمن بن عوف	١٨١
الباب الرابع والثلاثون : فى فضل من أخذ المال بحقه	
وأنفقه فى حقه والنماذج على ذلك	١٨٥
الباب الخامس والثلاثون : فى بيان قوله ﷺ :	
« لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال »	١٩٠
الباب السادس والثلاثون : فى حقارة الدنيا وهوانها على الله تعالى	١٩٢
الباب السابع والثلاثون : فى بيان الدنيا وفيما جعل مثلا لها	١٩٥

الموضوع	الصفحة
فصل : فى ضرب الله تعالى المثل فى الدنيا بالماء المنزل من السماء ببدائع تسع	١٩٦
الباب الثامن والثلاثون : فى أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر	١٩٩
الباب التاسع والثلاثون : فى قوله عليه الصلاة والسلام : « ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا »	٢٠٠
الباب الموفى أربعين : فى بيان قوله عليه السلام : « من رغب عن سنتى فليس منى »	٢٠٢
فصل : ليس من الزهد ترك المباحات ولا تحريم الطيبات	٢٠٣
جوائز السلاطين	٢٠٥



رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩٢٨ / ٨٩

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN